كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الخامس عشر

القسم ٥٧ - ٦٠

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الخامس عشر

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى هو ـ كما يعلم كلّ باحث ـ أعظم مرجع فى الأدب والتراجم ، مع عنايته بالأسلوب الممتع الجميل .

ورغبة منا فى أن يجد هذا الكتاب ما يستحقه من الإخراج والتحقيق وحسن الضبط ، رجعنا إلى عدة نسخ من المخطوطات والمصوّرات مقابلين بينها ، لنتبين أوثقها ضبطا وأوفاها أخبارا وأصحها عبارة .

وكان من توفيق الله أن وجدنا ـ والحمد لله ـ نسخا مختلفة يكمل بعضها بعضا ، استطعنا عن طريقها أن نثبت ما نقص فى طبعتى بولاق والساسى من نصوص ، وأن نصحح ما تراكم فيهما من أخطاء شنيعة جعلت كثيرا من الأخبار والأشعار يحيط بها الغموض ويشيع فيها الاضطراب .

ومن يقارن كل صفحة من هذه الطبعة مع طبعتى بولاق والساسى يجد الفرق واضحا جليا ، لا فى الضبط والشرح اللذين خلت منهما هاتان الطبعتان ، بل فى الزيادات المهمة وتحرّى الصواب ما وسعنا الجهد .

ولم نشأ أن نثبت كل خطأ وقع فى الطبعتين المشار إليهما ، لأن ذلك مما يزحم الكتاب ، ومما لا فائدة فيه تُذكر للمراجع إذا تيسّر له الصواب عن مخطوط موثوق به .

ولا ترجع الثقة فى المخطوط إلى حسن خطه ، ولا إلى قِدَمه وحداثته ، بل المعوّل عليه هو صحة ضبطه اللغوى ، وصحة إيراده للأعلام ، واتفاقه مع ما أخذ المؤلف عنه أو مانقله عنه اللاحقون .

وقد وجدنا فى الطبعتين السابقتين نقصا فى التراجم ، من ذلك بقية ترجمة ربيعة ابن مكدَّم وأوّل ترجمة المغيرة بن شعبة ، ومقدار ذلك حوالى أربع صفحات سيراها القارئ فى الجزء السادس عشر . وهذا غير النقص فى الأشعار والنصوص .

كما وجدنا تراجم لأشخاص خلت منها الطبعتان كترجمة مسلم بن الوليد وعنان جارية الناطفى ، وسنجعل ماسقط من التراجم فى موضعه إن لم يكن مضى ، أو نُلحقه فى آخر الأجزاء إن كان قد سبق .

ولم نقتصر فى مراجعتنا لهذا الجزء وما بعده على مخطوطاته ومصوّراته ، بل استعنّا بكلّ المظانّ التى يوجد فيها النصّ أو ما يعين على ضبطه وفهمه ، مثل تاريخ الطبرى ، والشعر والشعراء ، والخزانة ، وجمهرة أنساب العرب ، والاشتقاق ، والإصابة ، ومعجم الشعراء ، ومعجم البلدان ، ومجمع الأمثال ، ونهاية الأرب ، ومعجم الأدباء ، وكتب اللغة ، ودواوين الشعراء والمعلقات . . . .

ومن النسخ الخطية التى راجعنا عليها أجزاءنا التالية :

نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة كتبت سنة ٦١٤ بخط محمد بن أبى طالب البدرى ، ورقمها ٥٧٩ أدب . ونسخة برقم ١٣١٨ .

ومن المصوّرات ما صوّرته الجامعة العربية من مكتبة فيض الله وهى بخطوط مختلفة ، ويكمل بعضها بعضا ، وأغلبها كُتب سنة ٥٢٦ ، ٦١٤ ، مكملا للنسخة رقم ٥٧٩ .

وقد تابعت المراجعة والتحقيق من زمن مضى ، حتى أنجزت بضعة أجزاء سيتوالى ظهورها فى أقرب وقت إن شاء الله ، والعمل مستمرّ فى باقيها ، ليكون الكتاب لدى القرّاء كاملا ، تعقبه فهارس وافية شاملة لجميع الأجزاء .

ورائدنا فيما نعمل هو خدمة تراثنا القديم المجيد ليكون فى أصحّ عرض وأجمل ثوب ، فيظفر القارئ ببغيته دون عُسر ، ويستمتع بالاطلاع دون تعقيد .

والعناوين الجانبية بين التراجم بحروف أكبر ليست من الأصول وقلّلنا منها .

ونسأل الله أن يهدينا إلى مافيه الخير ، وأن يلهمنا التوفيق والصواب .

عبد الستار فراج

المجلد الخامس عشر

من كتاب الأغاني

أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

جعفرُ بنُ الزّبير بنِ العوّام بنِ خُوَيلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ابن كِلابِ بن مُرّة بن كعبِ بن لُؤَىّ بن غالب .

وأمُّ جعفرِ بنِ الزُّبير : زينبُ بنت بِشْر بن عبدِ عَمْرِو بن قَيس بن ثَعلبة ابن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بَكر بن وائل .

أخبرنى الطُّوسىُّ قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى مُصعبُ بن عثمان قال : أخبرنى جدُّك عبدُ الله بن مصعب ، عن أبى عثمان بن مصعب ، عن شُعَيب بن جعفر بن الزبير قال :

فَرَض [١] سليمانُ بن عبد الملك للناس فى خلافته ، وعَرَض الفَرْض [٢] — قال : وكان ابن حزْمٍ فى ذلك محسنا ، يعلم الله أنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خِفافهم ليرفعهم [٣] بذلك — قال شُعيب بن جعفر بن الزبير : فقال لى سليمان ابن عبد الملك : من أنت ؟ فقلت : شعيب بن جعفر بن الزبير . فقال : مافعل

---

(١) فرض للناس : رسم لهم شيئا معلوما فى الديوان .

(٢) الفرض : الجند المفروض لهم .

(٣) فى الطبرى : كان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير ، ذهب عنهم الحجاج فولى سليمان فأطلق الأسارى وخلى أهل السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز .

جعفر؟ فقال له عمر بن عبد العزيز : [يا أمير المؤمنين] على الكِبَرِ والعِيالِ . فقال : قل له يحضُر البابَ . فقال لجعفر : احضُرِ البابَ . فدعا المُنْذِرَ بنَ عُبَيدة بنِ الزبير ، فرفع معه رُقْعة ، وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز ، فيها قوله :

يا عُمَرُ بنَ عُمَرَ بنِ الخطَّابْ . إنَّ وُقُوفِى من وراء البابْ
يَعْدِلُ[1] عندى حَطْمُ بعضِ الأنيابْ

قال : فلما قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان ، فأمر له سليمان بألف دينار فى دَيْنه ، وألف دينار مَعونة على عياله ، وبرقيق من البِيض والسُّودان ، وبكثير من طعام الجار[2] ، وأنْ يُدان من الصدقة بألفى دينار . قال : فلما جاء ذلك إلى أبى قال : أُعطيتَه من غير مسألة ؟ فقيل : نعم . قال : الحمد لله ، ما أسخى هذا الفتى ! ما كان أبوه سخيًّا ولا ابنَ سخىٍّ ، ولكن هذا كأنه من آل حرب ، ثم قال :

فما كنتُ دَيَّانا فقد دِنْتُ إذ بدَتْ صُكُوكُ أميرِ المُؤمنين تَدورُ
بوَصْلٍ [إلى] الأرحامِ قبلَ سؤالهم وذلك أمرٌ فى الكرام كثيرُ

قال بعض من روى هذا الخبر عن ابن الزبير : والناس لاينظرون فى عيب أنفسهم ، وماكان لجعفر أن يعيب أحدا بالبخل وما رُئِىَ فى الناس أحدٌ أبخلَ منهم أهل البيت ولا من عبد الله بن الزُّبير خاصة ، وماكان فيهم جَواد غيرَ مصعب .

قال الزبير : حدثنى عمى قال :

كان السلطانُ بالمدينة إذا جاء مالُ الصدقة أدان من أراد من قريش منه ، وكتب بذلك صكًّا عليه ، فيستعبدهم به ، ويختلفون إليه ويدارونه[3] ؛ فإذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه ، حتى كان هارونُ الرشيد ، فكلمه عبدُ الله ابن مُصْعَب فى صُكُوكٍ بَقِيتْ من ذلك على غير واحد من قُرَيش ، فأمر بها فحُرِقتْ عنهم ، فذلك قول جعفر بن الزبير :

(١) فى مهذب الأغانى : «يعدل» وأراها أصوب .

(٢) الجار : اسم مدينة على ساحل البحر الأحمر . وقرية من قرى أصبهان ذات بساتين جمة . وقرية بالبحرين . ومعنى أمر له بكثير من طعام الجار : أنه أمر له بطعام من الأطعمة التى تأتى من واحدة من هذه البلاد . وقد تكون الجملة أيضا محرفة وأصلها : من الطعام الجارى .

(٣) فى مخطوط : ويديرونه .

فما كنتُ دَيَّانا فقد دِنْتُ إذ بدَتْ صُكوكُ أميرِ المؤمنين تدورُ

قال الزبير : وحدثني عمي مصعب قال :

شهد جعفر بن الزبير مع أخيه عبدِ الله حَرْبَه ، واستعمله عبدُ الله على المدينة ، وقاتل يوم قُتِل عبدُ الله بن الزبير حتى جَمَد الدمُ على يده ، وفي ذلك يقول جعفر :

لعمرك إني يوم أَجلْتُ ركائبي لأَطْيبُ نَفْسا بالجِلاد لدى الرُّكنِ[١]
ضنينٌ بمن خلْفي شحيحٌ بطاعتي طِراد رجال لا مطاردةَ الحُصْنِ

الحُصْن جمع حِصان ، يقول : هذا طراد القتال لا طراد الخيل بالميدان[٢]

غــداةَ تحامَتْنا تُجيبُ وغافقٌ وهمدانُ تبكي من مطاردة الضُّبْنِ[٣]

قال الزبير : وحدثني عمي مصعب بن عثمان أن جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عُروة معاتبةٌ فقال في ذلك :

لا تَلْحَيَنِّي يا ابنَ أُمِّي فإنني عدوٌّ لمن عاديتَ يا عُرْوَ جاهدُ
وفارَقتُ إخواني الذين تتابعوا وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عاندُ
ولولا يمــينٌ لا أزالُ أُبِرُّها لقد جمعتْنا بالفناء المقاعــدُ

قال الزبير : أنشدتني عمتي أسماءُ بنتُ مُصعب بن ثابت لجعفر بن الزبير — وأنشدنيه غيرُها — يرثي ابنا لها :

صوت

أهاجكَ بَيْنٌ من حبيبٍ قد احتمل نعَم ففؤادي هائمُ العقْل مُختَبلْ
وقالوا صُحَيراتُ اليمامِ وقدَّموا أوائلَهم من آخر الليل في الثَّقَلْ

---

(١) في مخطوطة : يوم أجلت كتائبي لطيب نفس

(٢) في مخطوطة : في الميادين .

(٣) تجيب : بطن من كندة . وغافق : قبيلة من الأزد . والضبن جمع ضبنة ، وهم خاصة الرجل وبطانته .

مرَرْنَ على ماءِ العُشَيْرَةِ ، والهوَى ... على مَلَلٍ يا لَهْفَ نفسى على مَلَلْ[١]
فتى السنّ كهْلُ الحلم يَهتزُّ للندى ... أمرُّ من الدِّفْلى وأحلى من العسَلْ[٢]

فى هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر ، نسبه يحيى المكىُّ إلى ابن سُريج ، ونسبه الهشامىُّ إلى الأبجر . قال : ويقال : إنه لابن سهيل .

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائنى ؛ وحدثنيه محمد بن جعفر النحوىُّ . قال : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثنا الخرّاز ، عن المدائنى ـ وخبره أتمّ ـ قال :

اصطحب قوم فى سفر ، ومعهم رجل يُغَنّى ، وشيخٌ عليه أثر النُّسكِ والعِبادة ، فكانوا يشتهون أن يغنيهم الفتى ويَستحون من الشيخ ، إلى أن بلغوا إلى صُخيرات اليمام ، فقال له المغنى : أيها الشيخ ، إن علَىَّ يمينا أنْ أُنشِدَ شعرًا إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، وإنى أهابك وأستحى منك ، فإن رأيتَ أن تأذن لى فى إنشاده ، أو تتقدّمَ حتى أُوَفّى بيمينى ، ثم نلحقَ بك ، فافعلْ ، قال : وما علىّ من إنشادك ؟ أنْشِدْ ما بدا لك . فاندفع يغنى :

وقالوا صُخيراتُ اليَمام وقدّموا ... أوائلهم من آخر اللّيل فى النَّفَلْ
وَرَدْنَ على ماء العُشَيْرَةِ والهوَى ... على مَلَلٍ يا لَهْفَ نفسى على مَلَلْ

فجعل الشيخ يبكى أحرَّ بكاءٍ وأشجاه ، فقال له : مالك يا عمّ تبكى ؟ فقال : لاجُزيتم خيرا ، هذا معكم طولَ هذا الطريق وأنتم تبخلون علىَّ به ! أتفرَّج به ، ويُقْطَعُ عنى طريقى ، وأتذكَّر أيام شبابى ؛ فقالوا : لا واللهِ ، ما كان يمنعنا منه غير هيبتك ، قال : فأنتم إذًا معذورون . ثم أقبل عليه فقال : عُدْ فديتُك إلى ما كنت عليه ، فلم يزل يغنيهم طول سفرهم حتى افترقوا .

قال الزبير : وأخبرنى مصعب بن عثمان أن أمّ عروة بنت جعفر بن الزُّبير أنشدته لأبيها جعفر وكان يُرقصها بذلك :

---

(١) صخيرات اليمام والعشيرة وملل : مواضع بين مكة والمدينة تذكر فى المغازى ، انظر معجم البلدان « صخيرات والعشيرة وملل » . والنفل بفتح النون : الغنيمة ، وبضمها : الليالى الرابعة والخامسة والسادسة من الشهر .

(٢) الدفلى : نبت مر ، زهره كالورد الأحمر ، وحمله كالخروب .

يا حبَّذا عروةُ في الدَّمالجِ أحَبُّ كلِّ داخلٍ وخارجِ

قال : وأخبرني أن أخاها صالحَ بنَ جعفر غزا أرضَ الروم ، فقال فيه جعفر :

قد راح يوم السبت حين راحوا مع الجمالِ ، والتُّقى صلاحُ
من كلِّ حيٍّ نفرٌ سِماحُ بيضُ الوجوه عرَبٌ صِحاحُ
وفزِعوا وأُخِذ السلاحُ [وهُمْ إذا ما كُرِهَ الشِّياحُ][1]
مصاعِبٌ يكرَهُها الجِراحُ[2]

قال الزبير : ولجعفرٍ شعر كثير قد نُحِلَ عمرُ بنُ أبي ربيعة بعضَه ، ودخل في شعره ، فأما الأبيات التي ذكرتُ فيها الغناء ، فمن الناس من يرويها لعمر بن أبي ربيعة ، ومنهم من يرويها للأحوص ، وللعَرْجيّ ، وقد أنشدنيها جماعة من أصحابنا لجعفر بن الزبير :

وأخبرني بذلك الحَرَميّ والطوسيّ وحبيبُ بن نصرٍ المهلبيّ قالوا : حدثنا الزبير ، عن أم عروة قالت :

أبي والله القائل :

• هل في ادِّكار الحبيب من حَرَجِ •

وذكر الأبيات . وأخبرنيه عمي ، عن [ابن] أبي سعد [عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله : قال ابن أبي سعد] : قال الحرميّ :

الناس يروونها للعَرْجيّ وأمُّ عروة أصدق .

وأخبرني الطوسي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني سعيد بن عمرو الزبيري قال :

تزوّج جعفر بن الزبير [امرأة] من خُزاعة وفيها يقول :

• هل في ادِّكار الحبيب من حَرَجِ •

(١) زيادة من مخطوط . والشياح : الحذار . والجد في كل شيء .

(٢) لعلها أيضا : • مصاعب يكرها الجراح •

الأبيات وزاد فيها بيتين وهما :

تَسفرُ عن واضح إذا سفرتْ ليس بذى آمَةٍ ولا سَمِجِ[١]

وسقط البيت الآخر من الأصل .

قال الزبيرى فى رواية الطوسى : حدثنى مصعب بن عثمان وعمى مصعب قالا :

كان جماعة من قريش مُتَنَحِّين عن المدينة ، فصدر عن المدينة بَدَوِىٌّ ، فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم ، مات أبوالناس . قالوا : وأَنّى ذلك؟ قال : شهده أهلُ المدينة جميعا ، وبُكِىَ عليه من كل دار ، فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير ، فجاءهم الخبرُ بعد [ذلك] أن جعفر بن الزبير مات .

تزوج الحجاج وشعر جعفر فيه :

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى إبراهيم بن معاوية ، عن أبى محمدٍ الأنصارىّ ، عن عروة بن هشام بن عروة ، عن أبيه قال :

لما تزوّج الحجّاجُ ــ وهو أميرُ المدينة ــ بنتَ عبدِ الله بن جعفر بن أبى طالب أتى رجلٌ سعيدَ بن المُسيِّب ، فذكر له ذلك ، فقال : إنى لأرجو أن لايجمعَ اللهُ بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتَهل ، وعسى اللهُ ، فإنّ أباها لم يُزَوِّجْ إلا الدراهمِ ، فلما بلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان أبْرد البريدَ إلى الحجاج ، وكتب إليه يُغْلِظ له ويُقَصِّر به ، ويذكر تَجاوُزَه قدْرَه ، ويُقْسم بالله لئن هو مسّها ليقطعَنّ أحبَّ أعضائه إليه ، ويأمره بتسويغ أبيها المَهْرَ ، وبتعجيلِ فراقِها ، ففعل ، فما بقِى أحد فيه خير إلا سَرَّه ذلك . وقال جعفر بن الزبير ــ وكان شاعرا ــ فى هذه القصة :

وجدتَ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسفٍ حَمِيًّا من الأمر الذى جئتَ تَنْكُفُ[٢]

---

(١) الآمة : العيب .

(٢) نكف أثره ينكفه : اعترضه فى مكان سهل . وابن يوسف منادى ، أى يا ابن يوسف .

ونبِّئتُ أن قد قال لما نكحتَها   وجاءت به رُسْلٌ تُخِبُّ وتُوجِفُ[١]
ستعلم أنى قد أنِفْتُ لما جرَى   ومثلك منه - عَمْرَكَ اللهَ - يُؤْنَفُ
ولولا انتكاسُ الدهر ما نال مثلَها   رجاؤُكَ إذْ لم يَرْجُ ذلك يوسفُ
أبِنتَ المُصَفَّى ذى الجناحينِ تبتغى؟   لقد رُمْتَ خَطْباً قدرُه ليس يُوصَفُ

صوت

كأنْ لم يكن بينَ الحَجونِ إلى الصَّفا   أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامِرُ[٢]
بلى ، نحن كنَّا أهلَها فأبادَنا   صروفُ اللَّيالى والجدودُ العواثِرُ

عروضه من الطويل ، الشعر فيما ذكر أبو إسحاق صاحبُ المغازى لِمُضَاضِ بن عمرو الجُرْهُمىّ ، وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض ، أخبرنا بذلك الجوهرىّ عن عمر بن شبة ، عن أبى غسَّان محمد بن يحيى ، عن غسَّان ابن عبد الحميد ؛ وقال عبد العزيز : هو عمرو بن الحارث بن مُضَاض ، والغناء ليحيى المكىّ ، رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لإبراهيم الموصلى ماخُورِىّ بالبنصر ، وفيه لأهل مكة لحنٌ قديمٌ ذكره إبراهيم ولم يُجَنِّسه .

---

(١) تخب : من أخب فرسه حمله على الخبب ، وهو أن يراوح بين يديه ورجليه . وتوجف من أوجف فرسه : أعداه وجعله يسرع فى السير .

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة . والصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس . هو والمروة من المشاعر

ذكر خبر مضاض بن عمرو

هو مُضاض بن عمرو بن الحارث الجُرهميّ ، وكان جدُّه مضادٌ قد زوّج ابنته رعْلة إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ خليلِ الرحمن ، فولدت له اثنى عشر رجلا ، أكبرهم قيذارُ ونابت ، وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمره بذلك ، لأنه لما بنى مكةَ وأنزلها ابنَه قدم عليه قَدْمة من قَدَماته ، فسمع كلام العرب ، وقد كانت طائفة من جُرهم نزلت هنالك مع إسماعيل [وسمع ابنه إسماعيل يكلمهم] فأعجبته لغتهم واستحسنها ، فأمر إسماعيل عليه السلام أن يتزوّج إليهم ، فتزوج بنتَ مُضاض بن عمرو وكان سيِّدَهم .

فأخبرنا محمد بن جرير قال : حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق . وأخبرنى محمد بن جعفر النحويّ قال : حدثنا إسحاق بن أحمد الخُزاعيّ قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأزرقيّ قال : حدثنى جدّى ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساجٍ ، عن محمد بن إسحاق . ورواية إسحاق ابن أحمد أتمّ ، وقد جمعتها :

أن نابت بن إسماعيل ولى البيت بعد أبيه ، ثم تُوفى ، فولى مكانَه جده لأُمه مُضاضُ بنُ عمرٍو الجرهميُّ ، فضمّ ولد نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلتْ جُرْهُم [1] مع ملكهم مُضاض بن عمرو بأعلى مكة ، ونزلت قَطُوراءُ مع ملكهم السَّميدَع أجيادَ أسفل مكة ، وكان هذان البطنان خرَجا سيَّارةً [2] من اليمن ، وكذلك كانوا لايخرجون إلا مع ملك يملّكونه عليهم ، فلما رأوْا مكة رأوْا بلدا طيبًا وماء وشجرا ، فنزلوا ، ورضِيَ كل واحد منهما بصاحبه ولم يُنازعه ،

(١) فى المخطوط : وكانت جرهم نزلت .

(٢) السيارة : القافلة . وأصلها القوم يسيرون .

فكان مُضاض يعشُرُ[١] مَنْ جاء مكة من أعلاها ، وكان السميدَع يعشُرُ من جاءها من أسفلها ومن كُدَىً[٢] ، لايدخل أحدهما على صاحبه فى أمره ، ثم إن جُرْهُما وقَطوراء بَغى كلّ واحد منهما على صاحبه ، فتنافسوا فى المُلك حتى نَشِبَت الحربُ بينهم ، وكانت ولاية البيت إلى مضاض دون السميدَع .

[فخرج مضاض من بطن قُعَيْقِعانَ][٣] مع كتيبته فى سلاح شاكٍ يتقعقع ، فيقال : ما سُمِّيت قُعَيْقِعانَ إلا بذلك ، وخرج السميدَع من شِعْبِ أجيادَ فى الخيل الجياد والرجال ، ويقال : ما سميت أجيادَ إلا بذلك ؛ حتى التقوا بفاضِح فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقُتِل السميدَع وفُضِحت قطوراءُ ، ويقال : ما سُمِّى فاضحا إلا بذلك ، ثم تداعى القوم إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابخَ شِعْبا بأعلى مكة . وهو الذى يقال له الآن شعبُ ابنِ عامر ، فاصطلحوا هناك وسلَّموا الأمر إلى مضاض ، فلما اجتمع أمرُ مكةَ ، وصار ملكها دون السميدَع نحر للناس فطبخوا هناك الجُزُرَ فأكلوا ، وسُمِّى ذلك الموضع المطابخ ، فيقال : إن هذا أوّل بَغْيٍ بمكة ، فقال مضاض بن عمرو فى تلك الحرب :

نحن قتَلنا سيّدَ الحىّ عَنْوَةً   فأصبح منها وهو حيران مُوجَعُ

يعنى أن الحىّ أصبح حيران موجعا .

وما كان يبغى أن يكون سِوَاؤُنا[٤]   بها مَلِكا حتى أتانا السميدَعُ
فذاق وَبالاً حين حاول مُلْكَنا   وحاول منا غُصَّـةً تُتجَرَّعُ
ونحن عمَرْنا البيتَ كُنَّا وُلاتَه   نُضارب عنه من أتانا ونَدْفعُ
وما كان يبغى ذاك فى الناس غيرنا   ولم يكُ حىٌّ قبلَنا ثَمَّ يَمْنَعُ
وكنَّا ملوكا فى الدهور التى مضتْ   ورِثْنا ملوكا لاتُرام فتُوضَعُ

(١) عشر القوم : أخذ عشر أموالهم .
(٢) كدى : موضع بأسفل مكة .
(٣) لاتوجد هذه الجملة فى إحدى المخطوطات .
(٤) سواء بمعنى : سوى وغير .

قال عثمان بن ساج في خبره : وحدثني بعض أهل العلم أن سيلاً جاء فدخل البيت فانهدم ، فأعادته جُرْهم على بناء إبراهيم ، بناه لهم رجل منهم يقال له أبو الجَدَرَة ، واسمه عمر الجارود ، وسمى بنوه الجَدَرَة .

قال : ثم استخفّت جُرهم بحقّ البيت ، وارتكبوا فيه أمورا عظاما ، وأحدثوا فيه أحداثا قبيحة ، وكانت للبيت خِزانة ، وهى بئر فى بَطْنه يُلقى فيها الحَلْىُ والمتاع الذى يُهدى له ، وهو يومئذ لاسقْفَ عليه ، فتواعد عليه خمسةٌ من جرهم أن يسرقوا كل ما فيه ، فقام على كلّ زاوية من البيت رجلٌ منهم ، واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجلّ أعلاه أسفله ، وسقط مُنَكَّسا فهلك ، وفرّ الأربعة الآخرون . قالوا : ودخل إسافٌ ونائلةُ البيتَ ، ففجرا فيه ، فمسخهما الله حَجَرين ، فأُخرجا من البيت ، وقيل : إنه لم يَفْجُرْ بها فى البيت ، ولكنه قَبَّلها فى البيت . وذكر عثمان بن ساج عن أبى الزناد ، أنه إساف بن سُهيل ، وأنها نائلة بنت عمرو بن ذِئب . وقال غيره : إنها نائلة بنت ذئب ، فأُخرجا من الكعبة ؛ ونُصبا ليعتبرَ بهما من رآهما ، ويزدَجِرَ الناسُ عن مثل ما ارتكبا ، فلما غلبتْ خُزاعةُ على مكة نُسِىَ حديثُهما وحوّلهما عمرو بن لُحَىّ بن كِلاب بعد ذلك ، فجعلهما تجاهَ الكعبة يُذْبَح عندهما عند موضع زمزم .

قالوا : فلما كَثُرَ بَغْىُ جُرْهم بمكة ، قام فيهم مُضاض بن عمرو ابن الحارث بن مضاض ، فقال : ياقوم ، احذروا البغىَ فإنه لابقاءَ لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العماليقِ ، استخفّوا بالحَرَم ولم يُعَظّموه ، وتنازعوا بينهم واختلفوا ، حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتُموهم فتفرّقوا فى البلاد ، فلا تستخفّوا بحقّ الحرم وحُرْمَةِ بيت الله ، ولا تَظلموا من دخله وجاءه مُعَظّما لحُرُماته أو خائفا أو رغب فى جواره ، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوّفْتُ أن تخرجوا منه خروج ذُلّ وصَغار ، حتى لايقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذى هو لكم حِرْزٌ وأمْن ، والطير تأمن فيه . فقال قائل منهم يقال لهُ مجدّع : ومن الذى يخرجنا منه ؟ ألسنا أعزّ العرب وأكثرهم

مالاً وسلاحا ؟ فقال مضاض : إذا جاء الأمرُ بَطَلَ ما تَذكرون ، فقد رأيتم ماصنع الله بالعماليق .

قالوا : وقد كانت العماليق بغَت فى الحرم ، فسلط الله عزّ وجلّ عليهم الذَّرَّ فأخرجهم منه ، ثم رُمُوا بالجَدْب من خلفهم حتى ردّهم الله إلى مساقط رءوسهم ، ثم أرسل عليهم الطوفان . قال : والطوفانُ : الموت . قال : فلما رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهم ومُقامَهُمْ عليه ، عَمَد إلى كنوز الكعبة ، وهى غزلان [1] من ذهب وأسياف قَلَعِيَّة[2] ، فحفر لها ليلا فى موضع زمزم ودفنها ، فبينا هم على ذلك ، إذ سارت القبائل من أهل مأرب ومعهم طَرِيفة [3] الكاهنة حين خافوا سيل العَرِم وعليهم مُزَيْقياءُ وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القَيس بن مازن بن الأَزْد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهلان ابن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان ، فقالت لهم طريفة لما قاربوا مكة : وحقّ ما أقول [4] وما علّمنى ما أقول ، إلا الحكيم المُحْكِم ، ربّ جميع الأمم ، من عرَب وعجم ، قالوا لها : ما شأنُكِ يا طريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشَّدْقَم [5] ، فخضبوه بالدم ، تكن لكم أرض جُرْهم ، جيران بيته المُحَرَّم ، فلما انتهوا إلى مكة وأهلُها أرسل إليهم عمرٌو ابنَه ثعلبةَ فقال لهم : ياقوم إنَّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزل بلدة إلا أفسح أهلُها لنا وتزحزحوا عنا فنقيم معهم حتى نُرسل رُوَّادًا فيرتادوا لنا بلدا يحملنا . فافسَحُوا لنا فى بلادكم حتى نُقِيم قدْرَ ما نستريح ونُرسل رُوَّادَنا إلى الشام وإلى الشرق ، فحيثما بلَغَنا أنه أَمْثَلُ لحِقنا به ، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيرًا . فأبَتْ ذلك جُرْهم إباءً شديدا ، واستكبروا فى أنفسهم وقالوا : لاوالله ما نُحبّ أن تنزلوا فتضيّقوا علينا مراتعنا

(١) فى مخطوط : غزالان . ويتفق مع الطبرى .

(٢) سيف قلعى منسوب إلى القلعة وهى موضع بالبادية .

(٣) فى كتاب التيجان : اسمها ظريفة .

(٤) فى المطبوع : فقالت لهم طريفة : لا تؤموا مكة حتى أقول . وفى كتاب التيجان ص ٢٧٩ قالت لهم طريفة : وحق ما نزل من علمى بالبيان وما نطق به اللسان ، ما أعلم منى إلا الرب الأعظم رب جميع الأمم ، إنى لأرى علما يكتم .

(٥) الشدقم : الواسع الشدق ، وشدقم : اسم فحل من فحول العرب ، ولكنه ليس مرادا هنا .

ومواردنا فارحلوا عنا حيث أحببتم ، فلا حاجة لنا بجواركم . فأرسل إليهم إنه لابدّ من المقام بهذا البلد حولا حتى ترجع إلىّ رُسلى التى أرسلتُ ، فإن أنزلتمونى طوعا نزلت وحَمِدتكم وواسيتكم فى المرعى والماء ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معى إلا فضلا ، ولا تشربوا إلاَّ رَنْقا [١] ، وإن قاتلتمونى قاتلتكم ، ثم إن ظَهَرْتُ عليكم سبيتُ النساء وقتلت الرجال ، ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبدا . فأبت جرهم أن تتركهم طوعا وتَعَبّت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أُفْرِغ عليهم فيها الصبرُ ومُنعوا النصرَ ، ثم انهزمت جرُهْم فلم يُفْلِت منهم إلا الشريدُ ، وكان مضاض بن عمرو قد اعتزل حرْبهم ولم يُعِنهم فى ذلك وقال : قد كنت أُحَذّركم هذا . ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قَنَوْنَى [٢] وما حوله ، فبقايا جرُهْم به إلى اليوم وفَنِىَ الباقون ، أفناهم السيف فى تلك الحروب . فلما حازتْ خزاعة أمرَ مكة وصاروا أهلها ، جاءهم بنو إسماعيل ، وقد كانوا اعتزلوا حرب جرُهْم وخزاعة فلم يدخلوا فى ذلك ، فسألوهم السكنى معهم وحوْلهم فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مُضاض بن عمرو بن الحارث — وقد كان أصابه من الصّبابة إلى مكة أمرٌ عظيم — أرسل إلى خزاعة يستأذنها ، ومَتّ إليهم برأيه وتَوْريعه قومَه عن القتال وسوءِ العِشْرة فى الحرم واعتزالِه الحربَ ، فأبتْ خزاعة أن يُقِرُّوهم ،ونفوهم عن الحرم . وقال عمرو بن لحىّ لقومه : من وجد منكم جرُهْميا قد قارب الحرم فدمه هَدَرٌ [٣] ، فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو من قَنَوْنَى تريد مكة ، فخرج فى طلبها حتى وجد [أثر]ها قد دخلت مكة ، فمضى إلى الجبال نحو أجياد ، حتى ظهر على أبى قُبيس يتبصر الإبل فى بطن وادى مكة ، فأبصر الإبل تُنْحر وتُؤكل لاسبيل له إليها ، فخاف إن هبط الوادىَ أن يقتل ، فولّى منصرفا إلى أهله وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسْمُرْ بمكة سامرُ

---

(١) الرنق : الكدر .

(٢) قنونى : من أودية السراة « انظر معجم البلدان » .

(٣) فى المطبوع : وقالوا من دخله منهم فدمه هدر .

ولم يتربَّع واسطا فجنوبه إلى المنحنى من ذى الأُريكة حاضر[١]
بلى نحن كنَّا أهلها فأبادنا صروفُ الليالى والجدود العواثرُ
وأبدلنا ربى بها دار غُرْبة بها الذئب يعوى والعدوُّ المخامِر[٢]
أقول إذا نام الخلىُّ ولم أنم أذا العرش لايبعَدْ سهيلٌ وعامرُ
وبدِّلتُ منهم أوجُها لا أُريدها وحميَرُ قد بدّلتها واليحابِرُ[٣]
فإن تَمِلِ الدُّنيا علينا بكَلْكَل ويُصْبح شرٌّ بيننا وتشاجرُ
فنحن وُلاة البيت من بعد نابت نُعَشّى به والخيرُ إذ ذاك ظاهرُ
وأنكح جدِّى خيرَ شخص علمته فأبناؤه منَّا ونحن الأصاهِرُ
وأخرجنا منها المليك بقُدرة كذلك يا للنّاس تجرى المقادرُ
فصِرْنا أحاديثا وكنَّا بغبطة كذلك عضَّتْنا السُّنونَ الغوابرُ
وسحَّتْ دموعُ العين تبكى لبلدة بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعرُ
ويا ليت شعرى مَن بأجيادَ بعدنا أقام بمُفْضَى سيله والظَّواهرُ[٤]
فبطن مِنًى أمسى كأنْ لم يكن به مضاضٌ ومن حَيَّىْ عَدِىّ عمائرُ
فهل فرجٌ آتٍ بشيءٍ نُحبُّه وهل جزَعٌ منجيك مما تحاذرُ

قالوا: وقال أيضا:

يا أيها الحىُّ سيروا إن قصْرَكمُ أن تُصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
إنا كما أنتمُ كنَّا فغيَّرنا دهرٌ بصَرْفٍ كما صِرْنا تصيرونا
ازْجوا المَطِىَّ وأرْخوا من أزمَّتها قبل الممات وقَضُّوا ماتُقَضُّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم أهلكنا بالبَغْى فيه فقد صرنا أفانينا
كُنَّا زمانا ملوكَ الناس قبلكمُ نأْوِى بلادا حرَاما كان مسكونا

قال الأزرق: فحدّثنى محمد بن يحيى قال: حدثنى عبد العزيز بن عمران قال:

(١) واسط والأريكة: جبلان. وفى مخطوط: بجنوبه.. من ذى الأراكة.
(٢) فى مخطوط: ويروى: بل الجوع باد والعدو المحاصر.
(٣) اليحابر: أبوقبيلة واسمه مراد، انظر الاشتقاق ٢٤٦.
(٤) يريد: والظواهر من أقام بها.

خرج أبو سلَمة بنُ عبد الأسد المخزومى قُبيل الإسلام فى نفر من قريش يريدون اليمن ، فأصابهم عطش شديد ببعض الطريق ، وأمسوا على غير الطريق ، فتشاوروا [١] جميعا ، فقال لهم أبو سلمة : إنى أرى ناقتى تنازعنى شِقًا أفلا أرسلها وأتبعها ؟ قالوا : فافعل ، فأرسل ناقته وتبعها ، فأصبحوا على ماء [وحاضر] فاستقَوْا وسقَوْا ، فإنهم لعلى ذلك إذ أقبل إليهم رجل فقال : مَن القوم ؟ قالوا : من قريش ، فرجع إلى شجرة أمام الماء ، فتكلم عندها بشىء ثم رجع إلينا فقال : لينطلق معى أحدُكم إلى رجل ندعوه ، قال أبو سلمة : فانطلقت معه ، فوقف بى تحت شجرة ، فإذا وَكْرٌ معلّق فصوّت : يا أبت ، فزعزع [٢] شيخٌ رأسه فأجابه ، فقال : هذا الرجل . فقال : مِمَّن الرجل ؟ قلت : من قُريش ، قال : من أيها ؟ قلت : من بنى مخزوم بن يقظة ، قال : من أيِّهم ؟ قلت : أنا أبو سلَمة بنُ عبد الأسد بنِ هلالِ بنِ عبد الله بن عَمْرو بن مخزوم بن يقَظة ، قال : أنبئك [٣] . أنا ويقظة سِنٌّ [٤] ، أتدرى من يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكة سامرُ
بلَى نحنُ كُنَّا أهلها فأبادنا صرُوف اللّيالى والجدود العواثر

قلت : لا [والله] قال : أنا قائلها ، أنا عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمىّ ، أتدرى لم سمّى أجياد أجيادًا ؟ قلت : لا ، قال : جادت بالدماء يوم التقينا نحن وقطوراء . تدرى لم سمّى قُعَيْقِعانُ ؟ قلت : لا ، قال : لتقعقع السلاح على ظهورنا لما طلعنا عليهم منه .

وأخبرنى بهذا الخبر الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزُّبير بن بكار قال : حدثنى إبراهيم بن المنذر الحزامىّ قال : حدثنا عبد العزيز بن عِمران قال : حدثنى راشد بن حَفْص بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال :

---

(١) فى مخطوط : فساروا .
(٢) زعزع : حرك .
(٣) فى مخطوط : أيهات منك .
(٤) سن ، أى عمرنا واحد .

قال أبوسلمة بن عوف : وخرجت فى نفر من قريش يريدون اليمن . وذكر الخبر مثل حديث الأزرقّ والله أعلم [١] .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز [الجوهرى] قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى محمد بن يحيى قال : حدثنا غسان بن عبد الحميد [٢] :

أن رَبيعة بن أُميّة بن خلف كان قد أدمَن الشراب ، وشرب فى شهر رمضان ، فضربه عمر رضى الله عنه وغرّبه إلى ذى المَرْوة ، فلم يزل بها حتى تُوُفّى ، واستُخْلِف عثمان رضى الله عنه ، فقيل له : قد تُوُفّى عمر واستخلف عثمان ، فلو دخلت المدينة ماردّك أحد . قال : لا والله ، لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غرّبه رجلٌ من بنى عَدِىّ بن كعب .

فلحق بالروم وتنصّر ، فكان قيصر يَحْبُوه ويُكرمه ، فأعقب بها .

قال غسان : حدثنى أبى قال :

قَدم رسولُ يزيدَ بن معاوية على معاوية من بلاد الروم ، فقال له معاوية : هل كان للناس خبر ؟ قال : نعم ، بينا نحن محاصِرونَ مدينةَ كذا وكذا إذ سمعنا رجلا فصيحَ اللسان مُشرِفا من بين شُرْفتين من شُرَف الحصن وهو ينشد :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكة سامر

فقال معاوية : ويحك ذاك الربيع بن أميّة يتغنى بشعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجُرهمىّ :

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم قال : قال لى أبى : مُرْ بالدوابّ تُسْرَج سحَرًا حتى نغدو إلى ابن جامع نستقبله بالياسِريّة[٣] بسُحْرَةٍ لاتأخذنا الشمسُ قال : فأمرت بذلك ، وركبنا فى السَّحَر . فأصبحنا دون الياسِريّة وقد طلعت علينا الشمس ، قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مُختَضِب ، وعلى رأسه ولِحيته خِرَقُ الخِضاب ،

(١) جملة « والله أعلم » غير موجودة فى مخطوط .
(٢) فى المطبوع : عبد العزيز ، وهو خطأ .
(٣) الياسرية : قرية على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان « معجم البلدان » .

وإذا بقِدْرٍ تطبخ فى الشمس ، فلما نظر إلينا رحَّب بنا ، وقام إلينا فسلَّم علينا ثم دعا بالماء فغسل رأسه ولحيته ، ثم دعا بالغداء ، فأُتِى بغدائه فغرف لنا من تلك القدر التى فى الشمس فتقزَّزْت وبشِعْت من ذلك الطعام الذى طبخ ، فأشار إلىّ أبى بأن كُلْ ، فأكلنا حتى فرغنا من غدائنا ، فلما غسلنا أيدينا نادَى ابن جامع : ياغلام ، هاتِ شرابَنا ، فأتى بنبيذ فى زُكْرَة[1] قد كانت الزكرة فى الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إلىّ أبى أن لاتمتنعَ ، ثم أتوا بقدح جَيْشانىّ[2] مِلْءِ الكَفّ ، فصبّ النبيذ فيه وهو يَشُوبه[3] ماء أغلى بالنار ، ثم غنى ابن جامع فقال :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامر
بَلَى نحنُ كُنَّا أهلها فأزالنا صرُوف اللَّيالى والجدود العواثر

ثم غنى للعَرْجىّ :

صوت

لو أنّ سَلْمى رأتْنا لايُرَاعُ لنا لَمَّا هبطنا جميعا أَبْطُنَ السُّوقِ[4]
وكَشْرَنا وكُبُولُ القَيْنِ تَنكُؤُنا كالأُسْدِ تَكْشِرِ عن أنيابها الرُّوقِ[5]

ثم تغنى :

صوت

أُجَرَّرُ فى الجوامع كلَّ يومٍ فيالَلهِ مظلمى وصَبْرِى

ثم أمر بالرحيل وقد غنى هذه الثلاثةَ الأصوات ، فقال لى أبى : يا بنى بشعتَ

(١) الزكرة : زق صغير للخمر .
(٢) نسبة إلى جيشان أو جيسان : موضع .
(٣) فى مخطوط : وهو يشبه .
(٤) فى مخطوط : . . . لا نزاع لنا . . . أبطح السوق .
(٥) الكشر : بدو الأسنان عند التبسم . والروق : جمع رائق . والكبول : القيود ، وتنكؤنا : بجرحنا .

لمّا رأيتَ من طعام ابن جامع وشرابه ، فعليَّ عِتقُ ما أملك إن لم يكن شُرْبُ الدّم مع هذا طيّبا ، ثم قال : أسمعت [أى] بنيَّ غناءً قطُّ أحسنَ من هذا ؟ فقلت : لا والله ، ماسمعت ، قال : ثم خرج ابن جامع حتى نزل بباب أمير المؤمنين الرشيد ليلا ، واجتمع المغنون على الباب ، وخرج الرسول إليهم ، فأذن لهم ، والرشيد خلف الستارة ، فغنَّوْا إلى السَّحر ، فأعطاهم ألف دينار ، إلا ابنَ جامع فلم يعطه شيئا ، وانصرفوا متوجّعين له ، وعرضوا عليه جميعا فلم يقبل ، وانصرفوا ؛ فلما كان فى الليلة الثانية دُعُوا فغنَّوْا ساعة ، ثم كُشفت الستارة ، وغنى ابن جامع صوتا عرَّض فيه بحاله وهو :

صوت

تقول أقِمْ فينا فقيرا وما الذى ... ترى فيه ليْلَى أن أُقيم فقيرَا
ذريني أمتْ يا ليْلَ أو أكْسب الغنَى ... فإنى أرَى غيرَ الغنيِّ حقيرَا
يُدَفَّع فى النادى ويُرْفَضُ قوله ... وإن كان بالرأى السَّديد جديرَا
ويُغْفَرُ[1] مايجنى سواه وإن يُطِفْ ... بذنبٍ يكُنْ منه الصَّغيرُ كبيرا

قالوا : فأعجب الرشيدَ ذلك الشعرُ واللّحنُ فيه ، وأمال رأسه نحوه كالمستدعى له وغناه أيضا :

صوت

لئن مِصْرُ فاتَتْنى بما كنت أرتجى[2] ... وأخلفنى منها الذى كنت آملُ
فما كلُّ ما يخشى الفتى نازلٌ به ... ولا كلَّ ما يرجو الفتى هو نائلُ
ووالله ما فرَّطْتُ فى وجْهِ حيلةٍ ... ولكنَّ ما قدْ قدَّر اللهُ نازلُ
وقد يَسْلَم الإنسان من حيث يتّقِى ... ويُؤتى الفتى من أمْنِه وهو غافلُ

ثم أُمِرُوا بالانصراف فانصرفوا ، فلما بلغوا السّتر صاح به الخادم : ياقرشيُّ

(١) فى مخطوط : ويلزم .

(٢) فى المطبوع : لئن حرمتنى كل ما كنت أرتجى .

مكانَك ، فوقف مكانه ، فخرج إليه بخِلَع وسبعة آلاف دينار ، وأُمِرَ إن شاء أن يُقيم ، وإن شاء أن ينصرف .

أخبرنى الحُسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه قال : ذكر الكلبىّ عن أبيه : أن الناس بيناهم فى ليلة مُقمرة فى المسجد الحرام إذ بَصُروا بشخص كأن قامته رمح ، فهربوا من بين يديه وهابوه ، فأقبل حتى طاف بالبيت الحرام سبعا ، ثم وقف فتمثّل :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكة سامر

قال : فأتاه رجل من أهل مكة فوقف بعيدا منه ثم قال : سألتُك بالذى خلقك أجِنّى أنت أم إنسى ؟ فقال له : بل إنسى ، أنا امرأة من جُرهم ، كنا سكّان هذه الأرض وأهلَها ، فأزالنا عنها هذا الزمان الذى يُبْلِى كلَّ جديد ويغيِّره . ثم انصرفت [خارجة] عن المسجد حتى غابت عنهم ، ورجعوا إلى مواضعهم .

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثنى أبى عن جدى قال :

قال لى يحيى بن خالد : أخبرك برؤيا رأيتها ؟ قلت : خيرًا رأيت . قال : رأيت كأنى [قد] خرجتُ من دارى راكبا ، ثم التفت يمينا وشمالا ، فلم أر معى أحدا حتى صرت إلى الجسر ، فاذا بصائح يصيح من ذلك الجانب :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصّفا أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامر

فأجبته :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف اللّيالى والجُدود العواثرُ

فانصرفت إلى الرشيد فغنّيته الصوت وخبّرته الخبر ، فعجب [منه] ، وما مضت الأيام حتى أوقع بهم .

صوت

شاقنى الزائراتُ قصرَ نفيسٍ مُثْقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البطونِ

يتربّعْنَه الربيعَ وينزلْـ نَ إذا صِفْنَ منزِلَ الماجشونِ

يتربَّعنه : ينزلنه فى أيام الربيع ، يقال لمنزل القوم فى الربيع مُتَرَبَّعُهُم ، قال الشاعر :

أمِن آل ليلى بالملا مُتَرَبَّعُ كما لاح وَشْمٌ فى الذِّرَاع مُرَجَّعُ

والماجشون : رجل من أهل المدينة يُرْوى عنه الحديث ، والماجشون : لقب لقَّبته به سُكَيْنة بنتُ الحُسين بن علىٍّ بن أبى طالب عليهم السلام ، وهو اسم لَوْن من الصِّبغ يخالطه حُمْرة ، وكذلك كان لونه ، ويقال : إنها ما لَقَّبَتْ أحدًا قط بلقب إلا لصِق به .

أخبرنى الحسن بن علىٍّ قال : حدثنا أحمد بن زُهَير قال : حدثنا مصعب الزبيرى قال : حدثنى ابنُ الماجشون قال :

نظرَتْ سُكينةُ إلى أبى فقالت : كأنَّ هذا الرجلَ الماجشونُ . وهو صبغ أصفر يخالطه حُمرة . فلُقِّب بذلك .

قال عبد العزيز : ونظرَتْ إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت فيه غِلْظة ، فقالت : هذا الرجل فى قُريش كالشَّيرج فى الأدهان . فكان ذلك الرجل يسمى فلان شِيرج حتى مات .

الشِّعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لإبراهيم الموصلى ، خفيف رمل مطلق فى مجرى البِنصر ، وفيه لبَصْبَص جاريةِ بن نفيس التى قيل هذا الشعر فيها رمل ، وذكر حَبَش أن لها فيه أيضا ثقيلا أوَّلَ بالوسطى .

ذكر بصبص جارية ابن نفيس وأخبارها

كانت بَصْبَص هذه جارية مُوَلَّدة من مولَّدات المدينة ، حلُوةَ الوجه ، حسنةَ الغناء ، قد أخذت عن الطبقة الأولى من المغنين ، وكان يحيى بن نُفيس[1] مولاها ـ وقيل نفيس بن محمد ، والأوّل أصحّ ـ صاحبَ قيانٍ يغشاه الأشراف ويسمعون غناء جواريه ، وله فى ذلك قصص نذكرُها بعدُ ، وكانت بصْبص هذه أنفسَهن وأشدَّهن تقدُّما ، وذكر ابن خُرْدَاذْبَةَ أن المهدىَّ اشتراها وهو ولىُّ العهد سرّا من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار ، فولدت منه عُلَيَّةَ بنتَ المهدى ، وذكر غيرُه أن ابن خرداذبة غلط فى هذا ، وأن الذى صحّ أن المهدى اشترى بهذه الجملةِ جاريةً غيرَها وولدت عُلَيَّةَ ، وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القدَّاح حدّثه قال :

كانت مكنونةُ جاريةُ المروانية ـ وليستْ من آل مروانَ بنِ الحَكم ، وهى زوجةُ الحُسَين بن عبد الله [بن عبيد الله] بن العبَّاس ـ أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجْهًا ، وكانت رَسْحاء[2] ، وكان بعض من يُمازحها يَعبث بها ويَصيح : طست طَسْت . وكانت حسنة الصدر والبطن ، وكانت تُوَضِحُ بهما وتقول : ولكن هذا . فاشْتُرِيت للمهدى فى حياة أبيه بمائةِ ألفِ درهم ، فغلبَتْ عليه حتى كانت الخَيْزُرانُ تقول : ما مَلَكَ أَمَةً أغلظَ علىَّ منها . واستتر أمرها عن المنصور حتّى مات ، وولدت من المهدى عُلَيَّة بنت المهدى . والذى قال ابن خرداذبة غير مردود إذا كان هذا صحيحا .

---

(١) ضبط فى نهاية الأرب ج ٥ ص ٧٠ : نفيس بفتح فكسر وكذلك فى معجم البلدان « نفيس » ، وضبط فى مخطوط للأغانى بالتصغير .

(٢) الرسح : قلة لحم العجز والفخذين .

أخبرنى الحُسين بن يحيى ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن غُرير بن طلحة قال :

اتَّعد محمد بن يحيى بن زيد بن علىّ بن الحسين ، وعبدُ الله بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير وعبدُ الله بن مصعب الزُّبيرى وأبو بكر بن [1] محمد ابن عثمان الرَّبَعى ويحيى بن عقبة أن يأتوا بَصْبَص جاريةَ ابن نفيس ، فعُجِّل محمدُ بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ليخرج إلى الكوفة ، فقال عبد الله بن مصعب :

أرائحٌ أنتَ أبا جَعفَــرٍ   من قبل أن تسمعَ مِن بَصْبَصا
هيهاتَ أنْ تســمع منها إذا   جاوَزَتِ العِيسُ بك الأعْوَصا [2]
فخُذْ علَيها مجلسَى لَذَّةٍ   ومجلِسا من قبلِ أن تَشخصا
أحلِف بالله يمينا ، ومَن   يَحْلِف بالله فقد أخْلَصا
لو أنها تدْعو إلى بَيْعَــةٍ   بايعتُها ثم شَقَقْتُ العَصَا

قال : وفيها غناء لبصبص . قال : فاشتراها سابق أبو غسان مولى مُنيرة للمهدى بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار .

قال حماد : وحدثنى أبى ، عن الزُّبير [3] ، أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشِّعر أبا جعفر المنصور لما حجّ فاجتاز المدينة منصرفا من الحجّ لاأبا جعفر محمدَ ابن يحيى بن زيد .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى إجازةً ، قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى محمد بن سلاّم قال : حدثنى موسى بن مِهْران قال :

كانت بالمدينة قَيْنة لآل نفيس بن محمد يقال لها بصبص ، وكان مولاها [نفيس] صاحب قصر نفيس الذى يقول فيه الشاعر :

شاقنى الزائراتُ قصر نفيسٍ   مثقلاتِ الأعجاز قُبَّ البطونِ

(١) فى مخطوط : أبو بكر محمد .
(٢) الأعوص : موضع قرب المدينة ، وأيضا واد فى ديار باهلة .
(٣) فى مخطوط : الزبيرى .

قال : وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير يأتيها فيسمع منها ، وكان يأتيها فتيانُ قريشٍ فيستمعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور مُنْصرِفا من الحجّ ومرّ بالمدينة يذكر بَصْبَص :

أراحلٌ أنتَ أبا جَعفرٍ من قبلِ أن تسمعَ من بَصْبَصَا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفر فغضب فدعا به فقال : أما إنّكم يا آلَ الزُّبير قديما ما قادَتكم النساءُ ، وشققتم معهن العصا ، حتى صرتَ أنت آخرَ الحمقى تُبابع المغنيات ، فدونكم يا آلَ الزُّبير وهذا المرتعَ الوخيمَ . قال : ثم بلغ أباجعفر بعد ذلك أن عبد الله بن مصعب قد اصْطَبَح مع بصبص وهى تغنيه بشعره :

صوت

إذا تمزّزتُ صُراحيّةً كمثلِ ريح المسك أو أطيَبُ[1]
ثم تغنّى لى بأهزاجه زيدٌ أخو الأنصارِ أو أشْعَبُ
حسبتُ أنى ملِكٌ جالس حفّت به الأملاكُ والموكبُ
فلا أُبالى وإلهِ الورَى أشرّقَ العالَمُ أمْ غرَّبُوا

الغناء لزيد الأنصاريّ هزَجٌ مطلق فى مجرى الوسطى عن الهشاميّ وغيره . وذكر غيره أنه لأشعب .

المنصور والحادى

فقال أبوجعفر : العالَمُ لايبالون كيف أصبحتَ ولا كيف أمسيت . ثم قال أبوجعفر لكن الذى يعجبنى أن يَحْدُوَ بى الحادى الليلةَ بشعر طَريف العنبريّ ، فهو آلَفُ فى سمعى من غناء بصبص ، وأحرَى أن يختاره أهلُ العقل . قال : فدعا فلانا الحادىَ - قد ذكَرَه وسقط اسمُه - وكان [هذا] إذا حدا وضعت الإبلُ رءُوسَها لصوته ، وانقادت انقيادا [عجيبا] ، فسأله المنصورُ : ما بلغ من حُسن حدائه ؟ قال : تعطش الإبل ثلاثا أو قال خمسا وتدنو من الماء ، ثم أحْدُو فتتبع كلُّها صوتى ولا تَقْرَبُ الماء . فحفظه هذا الشعر :

(١) تمزز الشراب : تمصصه . والصراحية : الخمر الخالصة .

إنى وإن كان ابن عمى كاشحا لمُزَاجِمٌ ١ من دونه وورائهِ
ومُمِدُّه نَصرى وإن كان امرأ متزحزحا فى أرضه وسمائهِ
وأكون مأوى سِرّه وأصونه حتى يَحِقَّ علىَّ يومُ أدائهِ
وإذا أتى من غَيْبَةٍ بطريفَـةٍ لم أطّلِعْ ماذا وراءَ خِبائهِ
وإذا تَحَيَّفَتِ٢ الحوادثُ مالَه قُرِنَتْ صَحيحَتُنا إلى جَرْبائهِ
وإذا تَرَيَّش فى غِناه وفَرْتُه وإذا تصعلَكَ كنتُ من قُرنائهِ
وإذا غدا يوما ليركب مَركَبا صَعْبا قعدْتُ له على سِيسائهِ٣

فلما كان اللّيل حدا به الحادى بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحثُّ على المروءة وأشبهُ بأهل الأدب من غناء بصبص . قال : فحدا به ليلته فلما أصبح قال : يا ربيع أعطِه درهما . فقال : يا أمير المؤمنين حَدَوْتُ بهشام بن عبد الملك فأمر لى بعشرين ألف دينار ، وتأمر لى أنت بدرهم ! فقال : إنّا لله ، ذكرت مالم يجب أن تذكره ، ووصفت رجلا ظالما أخذ مال الله من غير حِلّه ، وأنفقه فى غير حقّه ، ياربيع اشدُدْ يديك به حتى يَرُدَّ المال . فبكى الحادى وقال : يا أمير المومنين قد مضت هذه السّنون ، وقضيت به الديون، وتمزّقتْه النفقاتُ ، ولا والذى أكرمك بالخلافة ما بقى عندى منه شىء . فلم يزل أهلُه وخاصّته يسألونه حتى كفَّ عنه ، وشرط عليه أن يحدُوَ به ذاهبا وراجعا ولا يأخذ منه شيئا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنى القاسم بن زيد المدينى قال :

اجتمع ذاتَ يوم عند بَصْبص جاريةِ ابن نفيس عبدُ الله بن مصعب [الزُّبيرى] ومحمد بن عيسى الجعفرىّ فى أشراف من أهل المدينة فذكروا مُزَبِّدًا المدينى صاحبَ النوادر وبخلَه ، فقالت بَصْبص : أنا آخذ لكم منه درهما ، فقال لها مولاها : أنت حرّة لئن فعلت إن لم أشتر لك مِخْنَقةً٤ بمائة ألف دينار ،

(١) مراجم : مناضل .
(٢) تحيفته : تنقصته من نواحيه .
(٣) السيساء : الظهر والحد .
(٤) المخنقة هنا : القلادة .

وإن لم أشتر لك ثوبَ وَشْيٍ بما شِئْتِ ، وأجعَل لك مجْلسا بالعَقيق أنحر لك فيه بَدَنَةً[١] لم تُقتَبْ ولم تُرْكب . فقالت : جِىءْ به وارفَعْ عنى الغَيرة . فقال : أنت حرّة أنْ لو رفع برجليك لأعنته على ذلك . قال عبد الله بن مصعب : فصليت الغداةَ فى مسجد المدينة ، فاذا أنا به ، فقلت : يا أبا إسحاق أما تحبّ أن ترى بَصْبَص جارية ابن نفيس ؟ فقال : امرأته الطلاق إن لم يكن اللهُ ساخطا علىّ فيها ، وإن لم أكن أسأله أن يُرِينيها منذ سنة فما يفعل ، فقلت له : اليوم إذا صلّيْتَ العصر فوافنى هاهنا . قال : امرأته طالق إن برحتُ من هاهنا حتى تجىء صلاة العصر ، قال : فانصرفت فى حوائجى حتى كانت العصر ، ودخلت المسجد فوجدته فيه ، فأخذت بيده فأتيتهم به ، فأكلوا وشربوا وتساكر القوم وتناوموا ، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبّد فقالت : أبا إسحاق كأنى فى نفسك تشتهى أن أغنّيك الساعة :

لقد حثّوا الجِمال لِيَهْ ربوا منّا فلم يَئِلُوا[٢]

فقال : زوجته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللّوْح المحفوظ . قال : فغنته ثم مكثت ساعة ، فقالت : أبا إسحاق كأنى فى نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جانبى فتقرُصَنى قرصات وأغنّيك :

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به قد كنتَ عندى تُحبُّ السترَ فاستَتِرِ[٣]
ألستَ تبصر من حولى فقلت لها غَطّى هواكِ وما ألقى على بَصرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام وما تكسِب الأنفس غدا ، وبأىّ أرضٍ تموت . فغنّته ثم قالت : بَرِحَ الخفاءُ[٤] أنا أعلم أنك تشتهى أن تُقبلنى شَقّ التين وأُغنّيك هزَجا :

أنا أبْصرتُ بالليْلِ غُلاما حَسَنَ الدَّلّ

(١) البدنة : الناقة . ولم تقتب : لم يوضع عليها القتب .

(٢) لم يئلوا : لم ينجوا .

(٣) فى المطبوع : « وجدى أبحت به قد كنت قدما » .

(٤) برح الخفاء : وضح الأمر وزالت خفيته .

كغُصْنِ البانِ قد أصبـ ح مسقِيًّا مِنَ الطَّلِّ

لم يذكر صانعه ، وهو هزج على ما ذكره .

فقال : أنت نبيّة مرسلة . فقبّلها وغنته ثم قالت : أبا إسحاق ، أرأيت أسْقَطَ من هؤلاء ؟ يَدْعونك ويُخرجوننى إليك ولا يشترون ريحانا بدرهم ، أى أبا إسحاق هَلُمَّ درهمًا نشترى به رَيحانا . فوثب وصاحَ وَاحَرَباه ، أىْ زانية ، أخطأتْ استُك الحُفْرَة[1] . انقطع والله عنك الوحْىُ الذى كان يُوحى إليك . وعَطعطَ[2] القومُ بها وعلموا أنّ حيلتها لم تنفُذ عليه ، ثم خرج فلم يعد إليها ، وعاود القومُ مجلسهم فكان أكثرُ شغلهم فيه حديثَ مُزَبِّد معها والضحك منه .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات : أنشدنى الزُّبير بن بكّار قال : أنشدنى غُرير بن طلحة لابن أبى الزوائد وهو ابن ذى الزوائد فى بَصْبص :

بَصْبصُ أنتِ الشّمسُ مزدانةً فإن تبذّلْتِ فأنت الهلالُ
سُبحانَكَ اللّهمَّ ما هكذا فيما مَضى كان يكون الجمالُ
إذا دَعَتْ بالعُود فى مَشهدٍ وعاونَتْ يُمْنى يديها الشّمالُ
غنّتْ غناءً يستفزُّ الفتى حِذْقا وزانَ الحِذْقَ منها الدلالُ

قال هارون : قال الزُّبير : وأنشدنى غُرير أيضا لنفسه يهجو مولاها :

ياويح بصبص من يحيى لقد رُزقت وجها قبيحا وأنفا من جعاميس[3]
يَمُجُّ مِن فيه فى فيها إذا هجعَتْ ريقا خبيثا كأرواح الكرابيس[4]

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزُّبير قال : حدثنى عمى قال : هَوِىَ محمدُ بن عيسى الجعفرىُّ بَصْبَصَ جاريةَ ابن نفيس ، فهام بها وطال ذلك عليه ، فقال لصديق له : لقد شغلتنى هذه عن ضيعتى وكلِّ أمرى ، وقد وجدتُ مَسَّ السلوّ ، فاذهب بنا حتى أُكاشفها بذلك فأستريح ، فأتياها ، فلما غنّت لهما قال لها محمد بن عيسى : أتُغَنّين :

(١) مثل يضرب لمن رام شيئا فلم ينله « انظر مجمع الأمثال » . وأى زانية : يازانية .
(٢) العطعطة : تتابع الأصوات ، أو حكاية صوت المجان .
(٣) الجعموس : الرجيع ، جمعه جعاميس .
(٤) الكرابيس جمع كرياس : الكنيف « ماتقضى فيه الحاجات » .

وكنتُ أُحِبّكُم فسلَوْتُ عنكم عليكم فى دِيارِكُمُ السَّلامُ

فقالت : لا ، ولكنى أغنى :

تَحمَّلَ أهلُها عنها فبانُوا على آثار من ذَهَبَ العَفاءُ

فاستحيا وازداد بها كَلَفا ولها عشقا ، فأطرق ساعة ثم قال : أتغنين :

وأخضع بالعُتْبى إذا كنتُ مُذنبا وإن أذنبتْ كنتُ الذى أتنصَّلُ

قالت : نعم ، وأغنى أحسن منه :

فإن تُقْبِلوا بالوُدّ نُقبِلْ بمثلِه ونُنْزِلْكُمُ مِنّا بأقرَبِ منْزِلِ

قال : فتقاطعا فى بيتين ، وتواصلا فى بيتين .

وفى هذه الأبيات الأربعة غناءٌ كان محمد قُرَيص وذُكاءُ وغيرهما ممن شاهدنا من الحُذّاق يُغنونه فى الابتداءين لحنين من الثقيل الأوّل ، وفى الجوابين لحنين من خفيف الثقيل ولا أعرف صانعهما .

أخبرنى عمى قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنى أبو أيوب المَدِينىُّ ، عن مصعب قال :

حضر أبو السائب المَخْزومىُّ مجلسا فيه بصبصُ جاريةُ يحيى بن نفيس فغنَّت :

قلبى حبيسٌ عليك موقوفُ والعين عَبْرَى والدمعُ مَذْرُوفُ

والنَّفسُ فى حَسْرَةٍ بغُصَّتِها قد شَفَّ أرجاءَها التساويفُ

إن كنت بالحسن قد وُصِفْتَ لنا فإننى بالهوَى لموصوف

يا حَسْرَتا حسرَةً أموتُ بها إن لم يكن لى لديك معروف

قال : فطرب أبو السائب ونعر وقال : لاعَرَفَ اللهُ قدْرَه إن لم يعرِف لكِ معروفكِ ، ثم أخذ قناعها عن رأسها [وجعله على رأسه] وجعل يلطم ويبكى ويقول لها : بأبى والله أنتِ ، إنى لأرجو أن تكونى عند الله أفضل من الشهداء لِما تُولِيناهُ من السرور ، وجعل يصيح : واغوثاه يالله لِما يَلْقَى العاشقون .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : [حدثنى أبو بكر العامرىّ قال :

حدثني عمرو بن عبد الله البصريّ قال : حدثنا الحسين] بن يحيى ، عن عثمان بن محمد الليثيّ قال :

كنت يوما في مجلس ابن نفيس فخرجت إلينا جاريته بصبص. وكان في القوم فتى يحبها ، فسألتْه حاجةً ، فقام ليأتيها ، فنسى أن يَلْبَس نعله، ومشى حافيا. فقالت : يافلان نسيتَ نعلك . فلبسها وقال : أنا واللهِ كما قال الأوّل :

وحبُّكِ يُنْسيني عن الشيء في يدى ... ويَشغلنى عن كلّ شيءٍ أُحاوِلُهْ

فأجابته فقالت :

وبى مثلُ ما تشكوه منى وإننى ... لأُشفق من حُبٍّ أراك تُزاوِلُهْ

صوت

يشْتاق قلبى إلى مُلَيْكَةَ لو ... أمست قريبا ممَّنْ يُطالِبُها

ما أحْسَنَ الجيدَ من مُليكة واللَّبَّ ... اتِ إذْ زانها تَرَائِبُها

يا لَيْتَنِى ليلةً إذا هَجَعَ النّ ... اسُ ونام الكلابُ صاحبُها

فى ليلةٍ لا يُرَى بها أحَدٌ ... يسعى علينا إلا كواكِبُها

الشّعر لأُحَيحة بن الجُلاح ، والغناء لابن سُرَيج ، رَمَلٌ بالخنصر فى مجرى البنصر ، وفيه لحن من رواية يونس .

ذكر أحيحة بن الجلاح

ونسبه وخبره والسبب الذى من أجله قال الشعر

هو أُحيحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبَا بن كُلْفَة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ويكنى أُحيحةُ أبا عمرو .

أخبرنى الحرمىُّ بن أبى العلاء قال : حدثنى الزبير بن بكار قال : حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال :

ركب الوليد بن عبد الملك إلى المساجد ، فأتى مسجد العُصْبَة[1] ، فلما صلى قال للأحوص : يا أحوص ، أين الزوراءُ التى قال فيها صاحبكم :

إنّى أُقيمُ على الزَّوْرَاءِ أعمُرُها ... إنّ الكريم على الإخوانِ ذُو المال

لهـا ثلاثُ بِئارٍ فى جوانبها ... فكلُّها عُقَبٌ يَسْقِى بإقْبالِ

استغنِ أومُتْ ولا يغرُرْكَ ذونَشَبٍ ... من ابنِ عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ

قال الزُّبير : العُقَبُ : الذى فى أوّل المال عند مدخل الماء ، والطَّلَب الذى فى آخره .

قال : فأشار له الأحوص إليها وقال : هاهى تلك، لو طوّلْتَ لأشقرك هذا لجالَ عليها . فقال الوليد : إن أبا عمرو كان يُراهُ غَنِيًّا بها . فعجب الناس يومئذ لعناية الوليد بالعلم حتى علم أن كُنية أُحيحةَ أبو عمرو .

وفى هذا الشعر غناء هو :

صوت

استغنِ أو متْ ولا يغرُرْك ذونشَبٍ ... من ابن عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ

يَلْوُونَ ما لَهُمُ عن حقِّ أقربهم ... وعن عشيرتِهِمْ والحقُّ للوالى[2]

(١) العصبة : دار بنى جحجبا « معجم البلدان » .

(٢) يلوون : يجحدون .

غناه الهُذَلى رملا بالوسطى من رواية الهِشامى وعمرو بن بانة .

وأما السبب فى قول أُحيحة هذا الشعر فإن أحمد بن عبيد المكتِّب[١] ذكر أن محمد بن يزيد الكلبىّ حدثه ، وحدثه أيضا هِشام بن محمد [جميعا] عن الشرْقى ابن القطامىّ ، قال هشام : وحدثنى به أبى أيضا قال : وحدثنى رجل من قريش عن أبى عُبيدة بن عمار بن ياسر [قال] وحدثنى عبد الرحمن بن سليمان الأنصارى قالوا جميعا :

أقبل تُبَّعٌ الأخير وهو أبو كَرِب بن حسَّان [بن تُبَّع] بن أسعد الحِمْيرى من اليمن سائرا يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل ، فمرّ بالمدينة فخلّف بها ابنا له ، ومضى حتى قدِم الشامَ ، ثم سار من الشام حتى قدِم العراق ، فنزل بالمُشَقَّر فقتِل ابنُه غِيلَةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمشقر مقتلُ ابنه فكرّ راجعا إلى المدينة وهو يقول :

يإذا المعاهِـــد ما تزال تَرُودُ[٢] ... رَمَدٌ بعينك عادها أم عُودُ

مَنَع الرُّقادَ فما أُغمِّض ساعة ... نَبَطٌ بيثربَ آمنون قُعُودُ

لا تَسْقِنِى بيديك إن لم تَلْقَها ... حَرْبا كأنّ أشاءَها مَجْرُودُ[٣]

ثم أقبل حتى دخل المدينة وهو مُجمِع على إخرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسَبْى الذرِيَّة ، فنزل بسفح أُحُد فاحتفر بها بئرا ، فهى البئر التى يقال لها إلى اليوم بئر الملك ، ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه ، فكان فيمن أرسل إليه زيدُ بن ضُبَيْعة بن زيد بن عمرو بن عوف ، وابن عمه زيد بن أُميَّة بن زيد ، وابن عمه زيد بن عُبيد بن زيد ـ وكانوا يُسمَّون الأزياد ـ وأُحيحةُ بن الجُلاح .

فلما جاء رسولُه قال الأزيادُ : إنما أرسل إلينا ليملّكنا على أهل يثرب ، فقال أُحيحة : واللهِ مادعاكم لخير . وقال :

ليتَ حظِّى من أبى كرب ... أنْ يَرُدَّ خيرُه خَبَـــلَهْ

(١) فى المطبوع : الكاتب . هذا ومحمد بن يزيد الكلبى ، لعلها النحوى لا الكلبى .

(٢) المعاهد : جمع معهد وهو الموضع الذى كنت عهدته . وترود : تطلب ، أى ما تزال تطلبها . وقد تكون ذو المعاهد من ألقاب ملوك اليمن .

(٣) الأشاء : صغار النخل . ومجرود : منزوع .

فذهبت مثلا ، وكان يقال : إن مع أُحَيحة تابعا من الجنّ يعلمه الخبر لكثرة صوابه ، لأنه كان لا يظنّ شيئا فيخبر به قومه إلا كان كما يقول : فخرجوا إليه وخرج أُحَيحة ومعه قَيْنة له وخِباء وخمر ، فضربَ الخباءَ وجعل فيه القينة والخمر ، ثم خرج حتى استأذن على تُبّع ، فأذن له وأجلسه معه على زَرْبيّة [١] تحته ، وتحدّث معه وسأله عن أمواله بالمدينة ، فجعل يخبره عنها ، وجعل تُبّع كلما أخبره عن شيء منها يقول : كلّ ذلك على هذه الزَّرْبيّة ؟ يريد بذلك تُبّع قتلَ أُحيحة ، ففطن أُحيحة أنه يريد قتله ، فخرج من عنده فدخل خباءه ، فشرب الخمر وقرَض أبياتا ، وأمر القينة أن تغنيه بها ، وجعل تُبّعٌ عليه حرسا ، وكانت قينته تُدعى مُليكة فقال :

يشتاق شوقى إلى مليكةَ لو … أمْست قريبا ممّن يُطالبُها

الأبيات ، وزاد فيها مما ليس فيه غناء :

لِتَبْكِنى قينةٌ ومِزْهَرُها … ولْتبكنى قهوةٌ وشاربُها
ولْتَبْكنى ناقةٌ إذا رحلت … وغاب فى سَرْدَحٍ [٢] مناكبها
ولتبكنى عصبةٌ إذا اجتمعت … لم يعلم الناسُ ماعواقبها

فلم تزل القينة تغنيه بذلك يومه وعامة ليلته . فلما نام الحرس قال لها : إنى ذاهب إلى أهلى فشُدّى عليك الخِباء ، فاذا جاء رسول الملك فقولى : هو نائم ، فإذا أبَوْا إلا أن يوقظونى فقولى : قد رجع إلى أهله وأرسلنى إلى الملك برسالة ، فإن ذهبوا بك إليه فقولى له : يقول لك أُحيحة : اغْدِرْ بقينةٍ أوْ دَعْ . ثم انطلق فتحصن فى أُطُمِه الضَّحْيان ، وأرسل تُبّعٌ من جوف الليل إلى الأزياد فقتلهم على فَقَارةٍ من فَقار [٣] تلك الحَرّة ، وأرسل إلى أحيحة ليقتله ، فخرجت إليهم القينة فقالت : هو راقد ، فانصرفوا وتردّدوا عليها مرارا كل ذلك تقول : هو راقد ، ثم عادوا فقالوا : لتُوقِظِنّه أو لندخُلَنّ عليك . قالت : فإنه قد رجع إلى أهله

(١) الزربية وجمعها زرابى : كل ما بسط واتكئ عليه .
(٢) السردح : الأرض اللينة المستوية . وفى مخطوط : سربخ ، والسربخ : الأرض الواسعة أو هى البعيدة أو المضلة . ويتفق مع الخزانة ٢ / ٢٠ .
(٣) الفقارة : أصلها ما انتضد من عظام الصلب وجمعها فقار . وهنا شبهت نتوءات الحرة بالفقار .

وأرسلنى إلى الملك برسالة . فذهبوا بها إلى الملك ؛ فلما دخلت عليه سألها عنه ، فأخبرته خبره وقالت : يقول لك : اغْدِرْ بقينةٍ أوْ دَعْ . فذهبت كلمة أُحيحة هذه مثلا ، فجرَّد له كتيبة من خيله ثم أرسلهم فى طلبه ، فوجدوه قد تحصَّن فى أُطُمه ، فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار ويرميهم بالنبل والحجارة ، ويرمى إليهم بالليل بالتَّمْر ؛ فلما مضت الثلاث رجعوا إلى تُبَّع فقالوا : تَبعثُنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار ويُضَيِّفُنا بالليل ، فتركه وأمرهم أن يحرقوا نخله ، وشبَّت الحرب بين أهل المدينة أوسِها وخزْرجِها ويهودِها وبين تُبَّع ، وتحصَّنوا فى الآطام ، فخرج رجل من أصحاب تُبَّع حتى جاء بنى عَدِىّ بن النجَّار ، وهم متحصّنون فى أُطمهم الذى كان قبلة[١] مسجدهم ، فدخل حديقة من حدائقهم ، فرَقِىَ عِذْقا منها يَجِدُّه ، فاطَّلع إليه رجل من بنى عدىّ بن النجار من الأطم يقال له أحمر أوصخر بن سلمان من بنى سلمة ، فنزل إليه فضربه بِمِنْجَلٍ حتى قتله ثم ألقاه فى بئر وقال : جاءنا يجذُّ نخلتنا إنما النخل لمن أبَّره . فأرسلها مثلا ، فلما انتهى ذلك إلى تبَّع زاده حَنَقا وجرَّد إلى بنى النجار جَرِيدةً من خيله ، فقاتلهم بنو النجار ورئيسُهم عمرو بن طَلَّة[٢] أخو بنى معاوية بن مالك بن النجار ، وجاء بعضُ تلك الخيول إلى بنى عدىّ وهم متحصّنون فى أُطْمهم الذى فى قبلة مسجد هم فرَاموْا بنى عدىّ بالنَّبل ، فجعلت نبلهم تقع فى جدار الأُطم ، فكان على أطمهم مثل الشَّعر من النبل ، فسمى ذلك الأُطم الأَشعر ، ولم تزل بقايا النبل فيه حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، وجاء بعض جنوده إلى بنى الحارث بن الخزرج فجَدَموا نخلهم من أنصافها ، فسميت تلك النخل جُذْمان ، وجَدَعوا هم فرسا لتبع . فكان تبع يقول : لقد صنع بى أهل يثْرب شيئا ما صنعه بى أحد . قتلوا ابنى وصاحبى وجدعوا فرسى . قال : فبينا تبع يريد إخراب المدينة وقتل المقاتلة وسبى الذريّة وقطع الأموال أتاه حَبْران من اليهود فقالا : أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنا نجد اسمها كبيرا فى كتابنا ، وإنها مُهاجَر نبىّ من بنى إسماعيل

(١) فى مخطوط : الذى فى قبلة مسجدهم .

(٢) فى المطبوع : طلحة ، وانظر الطبرى فهو أيضا كما أثبتنا عن مخطوط وكذلك التيجان ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

اسمه أحمد يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذى بمكة ، تكون دارَه وقرارَه ، ويتبعه أكثر أهلها . فأعجبه ما سمع منهما وكفَّ عن الذى أراد بالمدينة وأهلها . وصدَّق الحبرين بما حدثاه . وانصرف تبع عما كان أراد بها وكفَّ عن حربهم وآمنهم حتى دخلوا عسكره ودخل جُنده المدينة، فقال عمرو بن مالك بن النجار[1] يذكر شأن تبع ويمدح عمرو بن طلّة :

أصَحَا أمْ ما انْتَحَى ذِكَرَهْ ... أمْ قَضَى من لَذَّةٍ وطَرَهْ
بعد ما ولَّى الشبابُ وما ... ذكرَتْ شُبَّانُه عُصُرَه[2]
إنها حربٌ يمانيةٌ ... مثلها آتى الفتى عِبَرَهْ
سائلى همدان أو أسدا ... إذ أتت تَعْدُو مع الزُّهَرَهْ
فَيَلْقٌ فيه أبو كَرِبٍ ... تُبَّعٌ أبدانُه ذَفِرَهْ
ثم قالوا من يَؤُمُّ بنا ... أبنو عَوْف أم النَّجَرَهْ
يا بنى النجار إنَّ لنا ... فيكُمُ ذَحْلا وإنَّ تِرَه[3]
فتلقَّتْهمْ مُسايِفَةٌ ... مَدُّها كالغَبْيَةِ النَّثِرَهْ

الغَبْيَةُ : السحابة التى فيها مطر وبرق برعد .

فيهمُ عمرو بن طَلّةَ لا ... هُمَّ فامنح قَوْمَهُ عُمُرَهْ
سيِّدٌ سامى الملوكَ ومَنْ ... يَدْعُ عمْرًا لا يَجِدْ قَدَرَهْ

وقال فى ذلك رجل من اليهود[4] :

تُكلِّفُنى من تكاليفها ... نخيلَ الأَساويفِ والمصنَعَه[5]
نخيلا حمتها بنو مالك ... جنودَ أبى كَرِبَ المُقْطِعَهْ

وقال أُحيحة يرثى الأزياد الذين قتلهم تبع :

ألاَ يا لهْفَ نفسى أىَّ لهْفٍ ... على أهل الفَقَارَةِ كُلَّ لهْفِ

---

(١) فى الطبرى اسمه : خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو .
(٢) فى مخطوط : ذكره الشباب أو عصره .
(٣) فى الطبرى : فيهم قبل الأوان ترة . وفى المطبوع : وإن نتره .
(٤) فى الطبرى : إن القائل من الأنصار .
(٥) الأساويف ، لعلها جمع جمع للسائفة : وهى الرملة الدقيقة . والمصنعة : القرية ، وأيضا الحصن .

مضوا قَصْدَ السبيل وخلّفونى إلى خلْفٍ من الأبرام خلْفِ[1]
سُدًى لايَكْنُفون ولا أراهم يَصُونون امْرًأ إن كان يكفى

قالوا : فلما كفّ تبع عن أهل المدينة اختلطوا بعسكره فبايعوهم وخالطوهم ، ثم إن تبعا استوبأ بئره التى حفرها وشكا بطنَه من مائها ، فدخلت عليه امرأة من بنى زُريق يقال لها فَكْهَةُ بنْت زيد بن كلدة[2] بن عامر بن زُريق وكانت ذات جَلَدٍ وشرف فى قومها ، فشكا إليها وَباء بئره ، فانطلقت فأخذت قِرَبا وحمارين حتى استقت له من ماء رُومة فشربه فأعجبه وقال : زِيدينى من هذا الماء ، فكانت تختلف إليه فى كل يوم بماء رُومة ، فلما حان رحيله دعاها فقال لها : يا فَكْهة ، إنه ليس معنا شىء من الصفراء والبيضاء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج تبع نقلت ما تركوه من أزوادهم ومتاعهم ، فيقال : إنه لم تزل فَكْهة أكثرَ بنى زُريق مالا حتى جاء الإسلام .

قال : وخرج تبع يريد اليمن ومعه الحَبْران اللذان نهياه عن المدينة ، فقال حين شخص من منزله : هذه قناة الأرض فسميت قناة[3] ومرّ بالجرف فقال هذا جُرْف الأرض فسمى الجُرْف وهو أرفعها ، ومرّ بالعرْصة[4] وكانت تسمى السَّليل فقال هذه عَرْصَة الأرض ، ثم انحدر فى العَقيق فقال : هذا عَقيق الأرض فسمى العقيق ، ثم خرج يسير حتى نزل [البقيع فنزل] على غدير ماء يقال له بَراجم فشرب منه شَرْبة فدخلت فى حلقه علَقة فاشتكى منها ، فقال ، فيما ذكر أبو مِسكين ، قوله :

ولقد شربت على بَراجِمَ شربةً كادتْ بباقيةِ الحياة تُذيعُ[5]

ثم مضى حتى إذا كان بِجُمْدانَ جاءه نفر من هُذيل فقالوا له : اجعل لنا جُعْلاً

---

(١) الأبرام جمع برم : الذى لايدخل مع القوم فى الميسر . والأبرام أيضا : اللئام . والخلف : القرن بعد القرن ، ويقال لأناس لاحقين بأناس أكثر منهم .

(٢) فى مخطوط : جلدة . وفى معجم البلدان « بئر رومة » اسمها فاكهة .

(٣) قناة واد بالمدينة ، انظر معجم البلدان . وفى المطبوع : قباء ، وهوخطأ .

(٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، والعرصة : بالعقيق من نواحى المدينة .

(٥) تذيع بها : تذهب بها .

وندُلُّك على بيتِ مالٍ فيه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب ، ليست لأهله مَنَعَة ولا شرف ، فجعل لهم على ذلك جُعلاً فقالوا له : هو البيت الذى تحجُّه العرب بمكة ، وأرادوا بذلك هلاكه ، فتوجه نحوه فأخذته ظُلمة منعته من السير فدعا الحبرين فسألهما فقالا : هذا ـ لما أجمعت عليه فى هذا البيت ، والله مانعه منك ولن تصل إليه ، فاحذر أن يُصيبك ما أصاب من انتهك حرماتِ الله ، وإنما أراد القوم الذين أمروك به هلاكَك ، لأنه لم يَرُمْه أحد قط بشرّ إلا أهلكه الله . فأكرِمْهُ وطُف به واحلق رأسك عنده . فترك الذى كان أجمع عليه وأمر بالهذَلِيِّين فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم خرج يسير حتى أتى مكة فنزل بالشِّعب من الأبطح ، وطاف بالبيت وحلق رأسه وكساه الخصَف [١] .

قال هشام : وحدثنى ابنٌ لجرير بن يزيد البَجَلىّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال هشام : وحدثنى أبى ، عن صالح ، عن ابن عباس قال :

لما أقبل تُبَّع يريد هدْمَ البيت وصَرْفَ وجوه العرب إلى اليمن بات صحيحا فأصبح وقد سالت عيناه على خدَّيه ، فبعث إلى السحرة والكهان والمنجِّمين فقال : [مالى] والله لِقد بِتُّ ليلتى ما أجد شيئا ، وقد صرت إلى ما ترون ، فقالوا : حَدِّثْ نفسك بخير ، ففعل ، فارتد بصيرا وكسا البيت الخَصَفَ .

هذه رواية جعفر بن محمد عن أبيه ، وفى رواية ابن عباس :

فأُتى فى المنام فقيل له اكْسُهُ أحسن من هذا ، فكساه الوصائل قال وهى برود العَصْبِ سُميت الوصائل لأنها كانت توصل بعضها ببعض ، قال :

فأقام بمكة ستة أيام يطعم الطعام وينحر فى كل يوم ألف بعير ثم سار إلى اليمن وهو يقول :

ونحرنا بالشِّعب ستَّةَ آلا ... فٍ ترى الناسَ نحوهن وُرُودا [٢]
وكسونا البيت الذى حرَّم اللـ ... ـه مُلاءً منضَّدا وبُرُودا
وأقمنا به من الشهر ستًّا ... وجعلنا له به إقليدا

(١) الخصف جمع خصفة : وهو ثوب غليظ جدا .
(٢) فى مخطوط : يرى الناس نحرهن .

ثم أُبْنا منه نَوْمُ سُهَيلاً   قد رفعنا لواءنا المعقودا

قال : وتهوَّد تبع وأهلُ اليمن بدينك الحبرين .

أخبرنى محمد بن يزيد قال : أخبرنى حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : حدثنى أبو البَخْتَرِىّ ، عن ابن إسحاق قال : أخبرنى أيوب بن عبد الرحمن :

أن رجلا من بنى مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو تزوج امرأة من بنى سالم بن عوف وكان يختلف إليها ، فقعد له رهط من بنى جَحْجَبا بمَرْصَدٍ فضربوه حتى قتلوه أو كادوا ، فأدركه القوافل فاستنقذوه ، فلما بلغ ذلك أخاه عاصمَ بن عمرٍو خرج وخرج معه بنو النجار ، وخرج أُحيحةُ بن الجلاح ببنى عمرو بن عوف فالتقوا بالرُّحابة [1] فاقتتلوا قتالاشديدا فقتل أخاعاصم يومئذ أحيحةُ بنُ الجلاح ، وكان يكنى أبا وَحْوَحة فأصابه فى أصحابه حين انهزموا ، وطلب [عاصمٌ] أحيحةَ حتى انتهى إلى البيوت فأدركه عاصمٌ عند باب داره فزجّه بالرمح ، ودخل [2] أحيحةُ الباب ووقع الرمح فى الباب ، ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياما ، ثم إن عاصما طلب أُحيحةَ ليلاً ليقتله فى داره ، فبلغ ذلك أحيحةَ وقيل له إن عاصما قد رُئى [البارحة] عند الضَّحْيان والغابَة [3] وهى أرض لأحيحة والضحيان أُطم له ، وكان أحيحةُ إذ ذاك سيد قومه من الأوس ، وكان رجلا صَنَعا للمال شحيحا عليه يتبع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم وكان له تسع وتسعون بعيرا [4] كلُّها يَنْضح عليها ، وكان له بالجُرْف أصْوَارٌ [5] من نخل قلَّ يوم يمر به إلاَّ يطلع فيه، وكان له أُطُمان: أُطُم فى قومه يقال له المُستَظِلّ ، وهو الذى تحصّن فيه حين قاتل تُبَّعا أسْعَدَ أبا كَرِبٍ الحميرىّ وأُطُمه الضَّحْيان بالعُصْبَة فى أرضه التى يقال لها الغابة بناه بحجارة سود وبنى عليه نَبْرَةً بيضاء [6] مثل الفضة ، ثم جعل عليها مثلها يراها الراكب من مسيرة

(١) الرحابة : أطم بالمدينة .
(٢) فى المطبوع : وقفل .
(٣) فى مخطوط التبابة . وفى الخزانة ٢ ـ ٢٢ كما أثبتنا .
(٤) فى مخطوط : بئرا .
(٥) الأصوار : جمع صور ، وهوالنخل الصغار .
(٦) النبرة : كل مرتفع من شىء .

يوم أو نحوه ، وكانت الآطام هى عزّهم ومَنَعَتهم وحصونَهم التى يتحرَّزُون فيها من عدوّهم، ويزعمون أنه لما بناه أشرف هو وغلام له ثم قال : لقد بنيت حِصْنا حصينا ما بَنَى مثلَه رجلٌ من العرب أمْنَعَ ولا أكرم ، ولقد عرفتُ موضع حجر منه لو نُزِع لوقع جميعا . فقال غلامه : أنا أعرفه ، فقال : فأرنيه يا بنىّ . قال : هوهذا ، وصرف إليه رأسه ، فلما رأى أحيحة أنه قد عرفه دفعه من رأس الأُطم فوقع على رأسه فمات ، وإنما قتله إرادة أن لايَعرف ذلك الحجرَ أحدٌ . ولما بناه قال :

بنيت بعد مُستظِلّ ضاحيا بنيتُه بعُصْبَة من ماليا[١]
للسِّتر مما يُتْبِع القواضيا أخشى رُكَيْبا أو رُجيلا عاديا[٢]

وكان أحيحة إذا أمسى جلس بحذاء حِصنه الضحيان ، ثم أرسل كلابا له تنبح دونه على من يأتيه ممن لايعرف حذرًا من أن يأتيه عدوّ يصيب منه غِرّة ، فأقبل عاصم بن عمرو يريده فى مجلسه ذلك ليقتله بأخيه، وقد أخذ معه تَمْرًا، فلما نبحته الكلاب حين دنا منه ألقى لها التمر فوقفت ، فلما رآها أحيحة قد سكنت حَذِر فقام فدخل حصنه ، ورماه عاصم بسهم فأحرزه منه الباب فوقع السهم بالباب ، فلما سمع أحيحة وَقْعَ السهم صرخ فى قومه ، فخرج عاصم بن عمرو فأعجزَهم حتى أتى قومه، ثم إن أحيحة جمع لبنى النجار فأراد أن يغترّهم، فواعده قومه لذلك ، وكانت عند أحيحة سَلْمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خِداش إحدى نساء بنى عَدِىّ بن النجار ، له منها عمرو بن أُحيحة، وهى أم عبد المطلب ابن هاشم ، خلف عليها هاشم بعد أُحيحة ، وكانت امرأة شريفة لا تَنْكِح الرجال إلاّ وأمْرُها بيدها ، إذا كرهت من رجل شيئا تركته .

فزعم ابن إسحاق أنه حدثه أيوب بن عبد الرحمن وهو أحد رهطها قال : حدثنى شيخ منا :

أن أحيحة لما أجمع الغارة على قومها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة ، وهو يومئذ

---

(١) فى مخطوط : . . . مستطيل . . . بقوة من ماليا
(٢) فى مخطوط : والسر مما يتبع القواصيا . . . أو رجيلا غاديا .

فَطِيمٍ أو دون الفطيم ، وهى مع أحيحة فى حصنه ، عَمدت إلى ابنها فربطَتْه بخيط ، حتى إذا أوجعت الصبيَّ تركته فبات يبكى وهى تحمله ، وبات أحيحة معها ساهرا يقول : ويحك مالابْنى ؟ فتقول : والله ما أدرى ما له . حتى إذا ذهب الليل أطلقت الخيط عن الصبى فنام ، وذكروا أنها ربطت رأس ذَكَرِه ، فلما هدأ الصبى قالت : وارأساه ، فقال أحيحة : هذا واللهِ مالقيتِ من سهرِ هذه الليلة ، فبات يَعْصِب لها رأسها ويقول : ليس بِك بأس ، حتى إذا لم يبق من الليل إلا أقلُّه قالت له : قمْ فنمْ فإنى أجِدُنى صالحةً قد ذهب عنى ما كنت أجده ؛ وإنما فعلتْ به ذلك ليثقل رأسهُ وليشتدَّ نومُه على طول السهر ، فلما نام قامت وأخذت حبْلاً شديدا وأوثقته برأس الحِصْن ثم تدلت منه ، وانطلقت إلى قومها فأنذرتْهم وأخبرتْهم بالذى أجمع هو وقومه من ذلك ، فحذر القومْ وأعدُّوا واجتمعوا ، فأقبل أحيحة فى قومه فوجد القوم على حذرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتال ، ثم رجع أحيحة فرجعوا عنه وقد فقدها أحيحة حين أصبح ، فلما رأى القومَ على حذر قال: [هذا] عَمَلُ سلمى ، خدعتْنى حتى بلغَتْ ما أرادت ، وسماها قومها المُتَدَلِّيَة لتدلِّيها من رأس الحِصن ، فقال فى ذلك أحيحة وذكر ما صنعت به سلمى :

تَفَهَّمْ أيها الرجلُ الجهولُ ولا يَذْهَبْ بك الرأىُ الوبيلُ
فإن الجهل محمَلُه خفيفٌ وإن الحِلْم محمله ثقيلُ

[وفيها يقول :

لعَمر أبيك ما يُغْنِى مقامى مِن الفتيانِ رائحة جهولُ[1]
نَؤُوم ما تَقَلَّصَ مُسْتَقِلاً على الغايات مَضْجَعُهُ ثقيلُ
تَبُوعٌ للحَلِيلة حيثُ حلَّتْ كما يعتاد لِقْحَتَهُ الفَصِيلُ]
إذا باتتْ أُعصِّبها فنامتْ علىَّ مكانها الحُمَّى الشَّمُول
لعل عِصَابَها يبغيك حَرْبا ويأتيهم بعورتك الدليلُ
وقد أعددْتُ للحدَثانِ أصْلاً لو آنَّ المرءَ يَنفعه العُقُول

وقال فيها وفيما صنعت به :

(١) انظر روايته فى جمهرة أشعار العرب ١٢٤ بولاق وما بعده .

أَخْلَقَ الرَّبْعُ من سعادَ فأمسى رَسْمُه مُخْلِقًا كَدَرْسِ المُلاة[١]
باليا بعد حاضرٍ ذى أَنيسٍ من سُلَيمى إذ تغتدى كالمهاةِ

وهى قصيدة طويلة ، يقال : إن فى هذين البيتين منها غناء .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنى عمى ، عن العباس بن هشام ، عن أبيه ، عن أبى مسكين :

أن قيس بن زُهير بن جَذِيمة أتى أحيحة بن الجلاح — لمَّا وقع الشر بينه وبين بنى عامر ، وخرج إلى المدينة لِيُجَهِّزَ بَعْثًا[٢] إليهم حين قتل خالدُ بنُ جعفرٍ [زهيرَ] بنَ جذيمة — فقال قيس لأحيحة : يا أبا عمرو ، نبئت أن عندك درْعا ليس بيثربَ دِرْعٌ مثلها، فإن كانت فَضْلاً فبعنيها أوفهبْها لى . فقال: يا أخا بنى عَبْس ليس مثلى يبيع السلاح ولا يفضُل عنه ، ولولا أنى أكره أن أستَلِمَ إلى بنى عامر لوهبتها لك ، ولحملتك على سوابق خيلى ، ولكن ابتزَّها يا أبا أيوب[٣] فإن البيع مُرْتَخص وغال . فأرسلها مثلا ، فقال له قيس : فما تكره من استلامك إلى بنى عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذى يقول :

إذا ما أردتَ العزَّ فى آل يثربٍ فنادِ بصوتٍ يا أحيحةُ تُمْنَعِ[٤]
رأيتُ أبا عمرو أحيحةَ جاره يبيت قريرَ العين غير مُرَوَّعِ
ومن يأته من خائف يَنْسَ خوفه ومن يأته من جائعِ البطن يَشْبَعِ
فضائلُ كانت للجُلاح قديمةٌ وأكرِمْ بفخرٍ من خصالك الاربَعِ

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لوم ؛ فلَهَا عنه ثم عاوده فساومه ، فغضب أحيحةُ وقال له : بِتْ عندى ، فبات عنده ، فلما شرب تغنى أحيحةُ وقيسٌ يسمع :

ألا ياقيسُ لا تَسُمَنَّ دِرعى فما مثلى يُساوَمُ بالــدُّورعِ

(١) الملاة مخفف : الملاءة : وهى ثوب ذو لفقين .
(٢) فى الأصول : ليتجهز بعث .
(٣) فى مخطوط : ولكن اشترها ياابن أيوب .
(٤) فى المطبوع : امنع .

فلولا خلّةٌ لأبى حُوَىٍّ وأنى لست عنها بالنَّزُوع
لأُبْتَ بمثلها عشْرًا وطِرْفٍ لحوقِ الإطْلِ جياشٍ تَليعِ [١]
ولكنْ سَمِّ ما أحببتَ فيها فليس بمُنْكرٍ غَبْنُ البُيوعِ
فما هِبَةُ الدُّروع أخا بَغيضٍ ولا الخَيْلِ السَّوابق بالبديعِ

قال : فأمسك بعد ذلك عن مساومته .

خبر لإسحاق الموصلى

أخبرنا يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى أخى أحمد بن على ، عن عافية ابن شبيب قال : حدثنى أبو جعفر الأسدىُّ عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعى إجازة ، عن عمر بن شبة .

عن إسحاق قال : دعانى الفضل بن الربيع يوما فأتيته فإذا عنده شيخ حجازىّ حسن الوجه والهيئة فقال لى : أتعرف هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا ابن أُنيسة بنت مَعْبَدٍ ، فسلْه عما أحببتَ من غناء جدّه . فقلت : يا أخا أهلِ الحجاز كم غِناء جدّك ؟ قال : ستون صوتا ، ثم غنانى :

ما أحسنَ الجيدَ من مُلَيْكةَ والْـ ـلَّبَّات إذا زانها ترائبُها

قال : فغناه أحسن غناء فى الأرض ، ولم آخذه منه اتكالا على قدرتى عليه ؛ واضطرب الأمر على الفضل وصار إلى التغيُّب ، وشخص الشيخ إلى المدينة ، فبقيت أُنشِد الشعر وأسأل عنه مشايخ المغنين وعجائز المغنيات ، فلا أجد أحدا يعرفه ، حتى قدمت البَصْرة ، وكنت آتى جزيرتها فى القيظ فأَبيت بها وأُبَكِّر بالغداة إلى منزلى ، فإنى لداخل يوما إذا أنا بامرأتين نبيلتين قد قامتا فأخذتا بلجام حمارى ، فقلت لهما : مَهْ – قال أبو زيد فى خبره – فقالت إحداهما : كيف عشقُك اليوم لـ « ما أحسن الجيد من مليكة » وشغفُك به ؟ فقد بلغنى أنك كنت تطلبه من كل أحد ، وقد كنتُ رأيتك فى مجلس الفضل وقد استخفّك الطرب لهذا الصوت حتى صفّقت . قال : فقلت لها : أشهدُ والله ما كنتُ عشقا له ،

(١) الطرف : الكريم من الخيل . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .

ولقد ألهَبْتِ بذكراك إياه فى قلبى جَمْرا ، ولقد طلبتُه ببغداد كلِّها فلم أجد أحدا يُسمعنيه ، قالت : أفتحِبُّ أن أغنِّيك إياه ؟ قلت : نعم ، فغنته واللهِ أحسنَ مما سمعتُه قديما بصوت خافض ، فنزلت إليها فقبلت يديها ورجليها وقلت : جعلنى الله فداك ، لو شئْتِ لصرتِ معى إلى منزلى . فقالت : أصنع ماذا ؟ فقلت : أغنيكِ وتغنيني يوْمَنا إلى الليل . فقالت : أنت والله أنفس [1] من أن تفعل ذاك ، وإنما هو عَرَضٌ ولكنى أغنيك حتى تأخذه ، فقلت : بأبى أنت وأمى وجعلنى اللهُ فداكِ من أنت : فقالت : أنا وَهْبَةُ جاريةُ محمد بن عِمْران القَرَوىّ التى يقول فيها فَرُّوجٌ الرَّفَّاء الطَّلْحِيُّ [2] :

صوت

يا وهبَ لم تُبْقِ لى شيئا أُسرُّ به ... إلاّ الجلوسَ فتسقيني وأسقيكِ

وتمزُجين بريقٍ منكِ لى قَدَحا ... كأنّ فيه رُضَابَ المسكِ من فيكِ

يا أطيبَ الناس رِيقا غير مُختَبرٍ ... إلاّ شهادةَ أطرافِ المَساويكِ

قد زُرْتِنا زورةً فى الدهر واحدة ... فاثْنى ولا تجْعليها بيضةَ الدِّيكِ

ما نلتُ منك سوى شىء أُسرُّبه ... ولستُ أُبصر شيئا من مَساويكِ

قالتْ مُلِكْتَ ولم تَمْلِكْ فقلت لها ... ما كلُّ مالكةٍ تُزْرِى بمَمْلُوكِ

قال أبو زيد خاصة : قال إسحاق : وأنشدتنيه وغنّتنى فيه بصوت مليح قد صنعته فيه ، ثم صارت إلىّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناس غناء وأكثرهم رواية فمما كانت تفوق فيه من صنعتها سائرَ الناس صوتُها وهو :

صوت

لا بُدَّ من سَكْرةٍ على طَرَبِ ... لعلَّ رَوْحا يُدالُ من كُرَبِ [3]

فعاطنيها صفراءَ صافيــةً ... تضحك من لؤلؤ على ذهبِ

(١) فى مخطوط : أطفس . وتكون حينئذ ذما له ، أى أقذر . وليس هذا مما يوافق القصة .

(٢) وردت منها أبيات منسوبة لبشار ، انظر طبقات ابن المعتز ومراجعها ص ٣١ ، ٤٦٧ .

(٣) الروح : الراحة . ويدال : أى تكون الكرة للراحة على الكرب .

قال : ولها فيه عمل فاضل ، ومن صنعتها :

صوت

الكاسُ بعد الكاسِ قد تُصْبى لك الرجلَ الحليما
وتُقَـرِّب النسب البعيـ ـد وتبسُط الوجْهُ الشَّتيما[1]

قال : ومما بَرَّزَتْ فيه من صنعتها :

صوت

ماتَها سُكَّرِيَّةً كشعاع الـ ـشمس لاقَرْقَفا ولا خَنْدَرِيسا[2]
فى رُباً يخلع الوَلِىُّ عليهـا ما يُحَبِّى به الجليسُ الجليسا[3]
فلنُوَّارها نسـيمٌ إذا ما حرّكتْه الرياحُ ردَّ النفوسا

صوت

أمسى لسَلّامةَ الزرقاءِ فى كبدى صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدهرِ والأبدِ
لاتستطيع صَناعُ القوم تَشْعَبُه وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ فى الكبد
إلاَّ بوصْلِ التى من حُبِّها انصدعت تلك الصُّدوعُ من الأسقامِ والكَمدِ

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فَجْوَة[4] الكاتب الكوفى أحد بنى زُهرة من قريش ، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالبنصر . وسَلّامة الزرقاء هذه جارية ابن رامين ، وكانت إحدى القَيْنَاتِ المحسنات .

---

(١) الشتيم : الكريه .
(٢) القرقف : من أنواع الخمر ، وكذلك الخندريس .
(٣) الولى : المطر يسقط بعد المطر .
(٤) فى المطبوع : نجوة ، وسيأتى : فجوة كما أثبتنا هنا .

ذكر خبر سلامة الزرقاء

وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب [هارون بن] محمد بن عبد الملك الزيات، ذكر أن أبا أيوب المدينى حدثه عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال :

كان محمد بن الأشعث القُرشىُّ ثم الزُّهرىُّ كاتبا ، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم ، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه ، فمن ذلك قوله فى زرقاءَ جاريةِ ابن رَامين وكان يألفها :

ه أمسى لسَلّامةَ الزرقاءِ فى كبدى ه

وذكر الأبيات قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها ، وقد كان حجّ وأخرج معه جواريه كلّهن ، هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم [١] — وهذا الشعر الثانى لإسماعيل ابن عمار الأسدىّ ، وقد ذكرت أخباره فى موضع آخر — :

صوت

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رَامينِ … حالُ المُحِبّينَ المساكينِ
تركتهم موتَى ولم يتْلَفُوا … قد جُرِّعوا منكَ الأمَرّينِ [٢]
وسرتَ فى رَكْبٍ على طيّةٍ … رَكْبِ تِهامٍ ويَمانينَ
يا راعىَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهم [٣] … ويلك من رَوْعِ المُحبّينِ
فرّقتَ جمْعاً لا يُرى مثلُهم … بين دروب الرُّوم والصّينِ

[ويروى : تركتَهم موتى وما مُوّتوا .

وجدته بخط حماد .

(١) فى المطبوع اضطراب فى هذه الجملة .
(٢) جر الجمع المذكر السالم بالكسرة هنا على لغة . وعليه : وقد جاوزت حد الأربعين .
(٣) يقال : مضى لطيته : أى لنيته التى نواها .

يا راعيَ الذَّود لقد رعوتهم ويحهمُ بالرَّبْرَبِ العِـين]

الغناء لمحمد بن الأشعث نشيد ً خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى فى مجراها عن ابن المكى وغيره .

قال : ودخل ابن الأشعث يوما على ابن رامين فخرجت إليه الزرقاء ، فبينما هو يلقى عليها إذ بَصُر بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعرا من وقته وتغـنّى فيه ، فأخذته منه الزرقاء وهو قوله :

صوت

قلْ لأختِىَ التى أُحبُّ رضاها أنت لى - فاعلميه - ركْنٌ شديدُ

إنّ لى حاجة إليكِ فقولى بين أُذْنِى وعاتقى ما تُرِيد

يعنى قولى : ما تُريد فى عنقى حتى أفعله . ففطنت الزرقاءُ للذى أراد ، فوهبت له الوصيفة فخرج بها . الغناء فيه رمل بالوسطى ، ذكر عمرو بنُ بانةَ أنه لابن سُريج . وقد وَهِمَ فِى ذلك ، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لا يُشَكّ فيه .

قال هارون : وحدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال ، وحدثنى أبو عبد الله الأسكّ أميرُ المغنين :

أن محمد بن الأشعث الزهرى وهشام بن محمد بن أبى عثمان السُّلَمى اجتمعا عند ابن رامين ، وكان هشام قد أنفق فى منزله مالاً عظيما وكان يقال لأبيه بِسِيارْدِرَم وتفسيرُه بالعربية : الكثيرُ الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام ، قال : ما تشاء ؟ قال :

قل لأختِى التى أُحب رضاها أنت لى - فاعلميه - ركنٌ شديد

وأشار بذلك إلى سَلّامة الزرقاء، فقالت وقد سمعتْ : فقل : فقال :

إنّ لى حاجةً إليكَ فقولى بين أذنى وعاتقى ما تريدُ

ففطنت الزرقاء للذى أراد فقالت : بين أذنى وعاتقى ما تريد ، فما هو ؟ قال : وصيفتك هذه فإنها قد أعجبتنى . قالت : هى لك ، فأخذها ، فما رَدّ ذلك ابنُ رامين ولا تكلم فيه . وهذا الشعر والغناء فيه لمحمد بن الأشعث .

قال هارون : وحدثنى أبو أيوب ، عن أحمد بن إبراهيم قال: ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التميمى :

أن محمد بن الأشعث كان ملازما لابن رامين ولجاريته سَلّامة الزرقاء فشُهر بذلك ، وكان رجلا قَصَّافا ، [١] فلامه قومه فى فعله فلم يَحْفِل بمقالتهم ، وطال ذلك منه ومنهم ، حتى رأى بعضَ ما كَرِه فى منزل ابن رامين ، فمال إلى سَحِيقةَ جاريةِ زُرَيق بن مَنيح مولى عيسى بن موسى ، وكان زُرَيقٌ شيخا كريما نبيلا يجتمع إليه أشراف الكوفة من كل حيّ ، وكان الغالبُ على منزله رجلا من ولد القاسم بن عبد الغفار العِجلىّ كغَلَبةِ محمد بن الأشعث على منزل ابن رامين ، فتواصلا على ملازمة بيت زُرَيق ، فى ذلك يقول محمد بن الأشعث :

يا ابن رامينَ بحتُ بالتصريحِ ... فى هوَاىَ سَحيقةَ ابنِ مَنيحِ
قَيْنَةٌ عِفّةٌ ومولىً كريمٌ ... ونديمٌ من اللُّبابِ الصَّريحِ
رَبَعىّ مهذَّبٌ أريَحىٌّ ... يشترى الحمد بالفَعالِ الرَّبيحِ
نحن منه فى كلّ ما تشتهى الأنْـ ... ـفُسُ من لذّةٍ وعيشٍ نَجيحِ
عند قومٍ من هاشمٍ فى ذُراها ... وغناءٍ من الغزالِ المَليحِ
فى سرورٍ وفى نعيمٍ مُقيمٍ ... قد أمِنّا من كلّ أمرٍ قَبيحِ
فاسْلُ عنا كما سلوناك إنى ... غيرُ سالٍ عن ذات نَفْسٍ وروحى
حافظٌ منك كلَّ ما كنْتَ قد ضيّـ ... ـعْتَ مما عَصَيْتُ فيه نَصيحى
فاكْتَفِ ما حييت منى لك الدهْـ ... ـرَ بودّ يا مُنْيَتى مَمْنُوحِ [٢]
يا ابن رامين فالْزَمَنْ مَسْجِدَ الحىّ ... وطولَ الصلاةِ والتسبيحِ

قال عمرو بن نوفل : فلم يَدَع ابنُ رامين شريفا بالكوفة إلاّ تحمّل به على ابن الأشعث ، وأن يرضى عنه ويعاودَ زيارته فلم يفعل ، حتى تحمّل عليه بالجَحْوانى وهو محمد بن بشر بن جَحْوان الأسدى ، وكان يومئذ على الكوفة ، فكلّمه فرضى عنه ورجع إلى زيارته ، ولم يقطع منزل زُرَيق ، وقال فى سَحيقة :

---

(١) التقصاف : مبالغة فى صفة القصف ، وهو اللهو .

(٢) فى مخطوط : فالقل ما حييت منى لك الدهـــــر بود لمنيتى ممنوح

سَحِيقَةُ أنتِ واحدة القِيانِ فما لكِ مُشْبِهٌ فيهنّ ثانى
فَضَلْتِ على القيانِ بفضْلِ حِذق فحُزْتِ على المدَى قَصَبَ الرّهانِ
سَجَدْن لك القيانُ مُكَفِّرَاتٍ كما سجد المجوس لمرْزُبانِ
ولاسيما إذا غنّيْتِ صوتا وحرّكْتِ المثالِثَ والمثانى
شَرِبْتُ الخمر حتى خِلْتُ أنى أبو قابوسَ أو عبدُ المَدانِ
فإعمالُ اليسارِ على المَلاوِى ومِن يمناكِ ترجمةُ البَيانِ

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان ، عن حماد ، عن أبيه قال :

كان رَوْحُ بن حاتم المهلبىُّ كثير الغِشيانِ لمنزل ابن رامين ، وكان يختلف إلى الزرقاء جارية ابن رامين ، وكان يهواها محمد بن جميل وتهواه ، فقال لها : إنّ روح بن حاتمٍ قد ثقُل علينا فما أصنع ؟ فقالت : قد غمر مولاىَ بِبِرّه . فقال : احتالى له ، فبات عندها رَوْحٌ ليلة من الليالى ، فأخذت سراويله وهو نائم فغسلته ، فلما أصبح سأل عنه فقالت : غسلناه ، فظنّ أنه أحدث فيه فاحتيج إلى غسله ، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها ، وخلا وجهها لابن جميل .

قال هارون : وأخبرنى حماد ، عن أبيه قال :

ابن رامين اسمُه عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بِشْر ، وجواريه سَعْدَةُ ورُبَيْحَة وسَلّامة الزرقاء ، وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدى ، وأنشدناه الحرَمىُّ عن الزبير عن عمه وروايته أتم :

هل من شِفاءٍ لقلبٍ لجّ محزونِ صَبا وصَبّ إلى رِئْمِ ابن رَامينِ
إلى رُبَيْحةَ إن الله فضّلها بحسنها وَسماعٍ ذى أفانينِ
نَعَمْ شفاؤكَ منها أن تقول لها قتلتِنِى يوم دَيْرِ اللُّجّ فاحْيِينى
أنتِ الطبيب لداءٍ قد تَلَبّس بى من الجوى فانْفُثِى فى فِىّ وَارْقِينى
نَفْسِيَ تأْبى لكم إلا طَوَاعِيَةً وأنت تَحْمِينَ أنفا أن تُطيعينى

فتلك قسمةُ ضِيزَى قد سمعت بها وأنت تتلينها ، ماذاك فى الدِّينِ[1]
ما عائذُ الله لى إلفٌ ولا وطَنٌ ولاابنُ رامين لولا ما يُمنّينى
يا ربّ مالابنِ رامين له بقرٌ عِينٌ وليس لنا غير البراذِين
لو شئتَ أعطيتَه مالاً على قدَرٍ يرضى به منك غيرَ الخُرَّدِ العِين
لعائذِ الله بيتٌ ما مررْتُ به إلاّ وُجِئْتُ على قلبى بسكّينِ
يا سعْدةُ القينةُ البيضاءُ أنتِ لنا أُنْسٌ لأنك فى دار ابنِ رامين
لاتحسَبنّ بياضَ الجِصّ يؤْنسنى وأنتِ كنتِ كمثل الخزّ فى اللّين
لولا رُبَيْحَةُ ما استأنستُ ،ما عمَدت نفس إليك وقدمُثّلْت من طِينِ
لم أنس سعْدةَ والزرقاءَ يومهما باللُّجّ شرقيّةً فوق الدكاكين
تُغنّيان ابنَ رامينٍ ضُحاهما بالمِسْجَحِيّ وتشبيب المُحبّين
فما دعوتُ به من عيشِ مملكة ولم نَعِشْ يومنا عيش المساكين
أذاك أنْعمُ أم يومٌ ظَلِلْتُ به مُنَعّم العيش فى بُستان سُورين
يشوى لنا الشيخُ سُورِينٌ دَوَاجنه بالجرْدناج وسحّاجَ الشقّابين
نُسْتَقى شرابا لعِمْرانٍ يُعتّقُه يُمسى الأصحّاءُ منه كالمجانين
إذا ذكرْنا صلاةً بعدما فرطَتْ قُمْنا إليها بلا عقلٍ ولا دينِ

يعنى عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله :

نمشى إليها بِطاءً لا حَراك بنا كأنّ أرجلنا تُقْلَعْنَ من طينِ
نمشى وأرجُلُنا عُوجٌ مَطارحُها مشْىَ الإوزّ التى تأتى من الصّين
أوْ مشْىَ عُمْيانِ دَيْرٍ لا دليل لهم إلا العِصِىّ إلى عِيد السّعانين

وقال فيه أيضا :

لابن رامين خُرّدٌ كمها الرمْـ ـلِ حسانٌ وليس لى غير بَعْـلٍ[2]
ربِّ فضّلته علىّ ولـو شئْـ ـتَ فضّلتَنى عليه بفضْلِ

قال حماد : وأخبرنى أبى قال : حدثنى السَّكُونىّ :

---

(١) بعد هذا فى مخطوط ، ترك بقية الشعر وقال : وهى طويلة ، وقد تقدمت قبل هذا الموضع فى أخبار ابن عمار الأسدى .
هذا وانظر تفسير بعض ألفاظ هذه القصيدة فى آخر الجزء الحادى عشر فى ترجمة إسماعيل بن عمار .
(٢) البعل : يطلق أيضا على الزوجة . وفى مخطوط : بغل .

أن جعفر بن سليمان اشترى رُبيحة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ بنُ علىّ سَعْدَةَ بتسعين ألف درهم ، واشترى مَعْنُ بن زائدة الزرقاء .

قال مؤلف هذا الكتاب : هذا خطأ ، الزرقاء اشتراها جعفر بن سليمان . ولعل مَعْناً اشترى غيرها .

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى على بن الحسن الشيبانى ، عن عبد الملك بن ثوبان قال :

قال إسماعيل بن عمار : كنت أختلف إلى منزل ابن رامين فأسمع جاريته الزرقاء وسَعْدَةَ ، وكانت سعدة أظرف من الزرقاء ، فأُعجبت بها ، وعلمت ذلك منى ، وكانت [سعدة] كاتبة فكتبتُ إليها أشكو ما ألقى بها ، فوعدتنى فكتبت إليها رقعة مع بعض خدمهم :

يارِبّ إنّ ابن رامينٍ له بَقَـرٌ عِينٌ وليس لنا غيرُ البراذيـنِ

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءنى الخادم وقال : ما زالت تقرأ رقعتك وتضحك من قولك :

فإن تجودى بذاك الشيءِ أحْيَ به وإن بخلْتِ به عَنّى فَزَنّينى

وكتبت إلىّ : حاشاك من أن أُزَنّيَك ولكنى أصير إليك فأغنيك وألهيك وأرضيك ، وصارت إلىّ فأرضتنى بعد ذلك .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد ، عن أبيه عن الحسين بن محمد الحُدانىّ ، وأخبرنى الجوهرىّ ، عن علىّ بن محمد النوفلى ، عن أبيه :

أن جعفر بن سليمان اشترى الزرقاء صاحبة ابن رامين بثمانين ألف درهم ، وسترها عن أبيه ، وأبوه يومئذ على البصرة فى خلافة المنصور ، وقد تحرّك فى تلك الأيام عبدُ الله بنُ علىّ ، فهجم عليهما يوما سليمان بن على ، فخَبّآ[1] العُود تحت السرير ، ودخل فقال له : ويحك ، نحن على هذه الحال نتوقع الصَّيْلَم[2] وأنت

(١) فى مخطوط : فأخفيا .

(٢) الصيلم : السيف والأمر الشديد والداهية .

تشترى جارية بثمانين ألف درهم ! وأظهر له غضبا عليه وتسخُّطا لما فعل ، فغمز خادما كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان ، فأكبّت على رأسه فقبلته ودعت له ، وكانت عاقلة مقبولة متكلمة ، فأعجبه ما رأى منها وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك . قال : ولما مضت لها مدة عند جعفر سألها يوما : هل ظفر منكِ أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قُبلة : فخشيت أن يبلغه شيء كانت فعلته بحضرة جماعة أو يكون بلغه فقالت : لا والله إلاّ يزيد بن عون العبادى الصّيرفى ، فإنه قبلنى قبلة وقذف فى فىّ لؤلؤةً بثلاثين ألف درهم . فلم يزل جعفر يحتال له [ويطلبه] حتى وقع فى يده فضربه بالسياط حتى مات .

قال هارون : وحدثنى حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال : حدثنى أبو عوف الدَّوْسىُّ عن عبد الرحمن بن مُقَرّن[١] قال : كتبتُ إلى ابن رامين أستاذنه فى إتيانه فكتب إلىّ : قد سبقك روح بن حاتم فإن كنتَ لا تحتشم منه فرُحْ . فرُحتُ ، فكنا كأننا فرسا رِهان ، والتقينا فعانقنى وقال لى : أين تريد ؟ قلت حيث : أردْتَ ، قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجت الزرقاء فى إزار ورداء قُوهيّين مُوَرّدين كأن الشمس طالعة من بين رأسها وكتفيها[٢] ، فغنتنا ساعة ثم جاء الخادم الذى يأذن لها ، وكان الإذن عليها دون مولاها ، فقام دون الباب وهى تغنى ، حتى إذا قطعت نظرت إليه فقالت : من ؟ فقال : يزيد بن عون العبادى الصّيرفى الملقّبُ بالماجن على الباب . فقالت : أدخله ، فلما استقبلها كفَّرَ[٣] ثم أقعى بين يديها . قال : فوجدتْ والله به ، ورأيتُ أثر ذلك ، وتنوّقتْ تنوّقا[٤] خلاف ما كانتْ تفعل بنا . فأدخل يده فى ثوبه فأخرج لؤلؤتين وقال : انظرى يا زرقاء ، جُعِلتُ فداكِ ، ثم حلف أنه نقَد فيهما بالأمس أربعين ألفَ درهم ، فقالت : فما أصنع بذلك ؟ قال : أردتُ أن تعلمى . فغنّت صوتا ثم قالت : يا ماجن هَبهُما لى ويحك ، قال : إن شئتِ والله فعلتُ ، قالت : قد شئتُ ، قال : واليمينُ التى حلفتُ بها لازمةٌ لى إنْ أخذتِهما إلاّ بشفتيك من شفتىّ . قال :

(١) فى نهاية الأرب ٥ : ٧٦ : مقرون .
(٢) فى مخطوط : وكمها .
(٣) كفر : خضع ، بأن وضع يده على صدره وطأطأ رأسه وتطامن تعظيما . وفى المطبوع : طفر .
(٤) تنوق : تجود وتأنق وترفق .

فذهب رَوْحٌ يتسرَّع إليه ، فقلت له : أَلَكَ فى بيت القوم حاجة ؟ قال : نعم . فقلت : إنما يتكسَّبون مما ترى . وقام ابنُ رامين فقال : ضع لى يا غلامُ ماءً . ثم خرج عنا ، فقالت : هاتِهِما . فمشى على ركبتيه وكفَّيه وهما بين شفتيه فقال هاكِ . فلماذ هبتْ بشفتيها جعل يصُدُّ عنها يمينا وشمالا ليستكثر منها ، فغمزتْ جارية على رأسها فخرجت كأنها تريد حاجة ثم عطفتْ عليه ، فلما دنا منها وذهب ليروغ دفعت منكبيه وأمسكتهما حتى أخذت الزرقاءُ اللؤلؤتين بشفتيها من فه ، ورشح جبينها حياءً منَّا ، ثم تجلَّدت علينا ، فأقبلت عليه فقالت له : المغبون فى استهِ عُود ، فقال : أما أنا فما أُبالى ، لايزال طيبُ هذه الرائحةِ فى أنفى وفمى أبدا ما حييت .

قال هارون : وحدثنى ابنُ النَّطَّاح ، عن المدائنى ، عن علىّ بن أبى سليمان عن أبى عبد الله القُرشىّ ، عن أبى زاهر بن أبى الصَّباح قال :

أتيت منزل ابن رامين مع رجل من قريش ، فأخرج الزرقاء وسعدة ، فقام القرشى ليبول وترك مِطرَفَه ، فلبستْه سعدةُ وخرجت ، فرجع القرشىّ وعليها المِطْرَفُ قد خاطته فصار دِرْعا ، فقالت : أرأيتم أسرع من هذا ؟ صار المطرف دِرعا ، فقال : القرشى هو لكِ . قال : وعلىّ طَيلسانٌ مَشْنِىّ فأردتُ أن أبول فلففته وقمت ، فقالت سعدة : دع طيلسانك ، فقلت : لا أدعه ، أخاف أن يتحول مِطرَفا .

وحدثنى قَبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أُشْرِبَتْ زرقاءُ ابن رامين دواءً ، فأهدى إليها ابن المقفع ألف دُرَّاجة على جَمل قُراسِىّ[1] .

قال هارون : وحدثنى حماد ، عن أبيه :

أن محمد بن جميل كان يتعشَّق الزرقاءَ ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كل يوم يسأل من يَقْدَم عن ابنه محمد ، إلى أن مرّ به صديق له يكنى أبا ياسر ، فسأله

(١) القراسى : الضخم الشديد . والدراجة : نوع من الطيور ، وفى نهاية الأرب ٥ : ٧٧ : شربت .

عنه فقال له أبو ياسر : تركته أعظم الناس قَدْرًا ، يعامل الخليفة فى كلّ يوم فى خراجه فيحتاج إليه ولدُه وصاحبُ شرطته وصاحب حرسه وخدمه ، فقال له : يا أخى فكيف بهذه الجارية التى قد شُهِرَ بها : فقال له الرجل : لا تَهْتَمّ بها ، قد مازحه أمير المؤمنين فيها وخاطبه بشعر قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال :

وابن جميلٍ فاعلموا عاجلا لا بدّ موقوف على مَسْطَبَهْ
يوقف فى زرقاءَ مشهورةٍ تُجيد ضرب العود والعَرْطَبَهْ[1]

فقال جميل : والله ما بى من هذا الأمر إلا أنى أتخوّف أن يكون قد شهر بها هذه الشهرةَ ولم ينكها .

قال هارون : وأحسب هذه القصة لزرقاء الزرّادةِ لا زرقاءِ ابنِ رامين .

قال هارون : وحدثنى أبو أيوب قال : حدثنى محمد بن سلاّم قال :

اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة ورَوح بن حاتم وابن المقفّع ، فلما تغنت الزرقاء وسعدة بعث معنٌ إليها بَدْرَةً فَصُبَّت بين يديها ، فبعث روح إليها أخرى فصُبَّت بين يديها ولم يكن عند ابن المقفع دراهم ، فبعث فجاء بصَكّ ضيعتِه وقال : هذه عُهدة ضيعتى خُذيها ، فأما الدراهم فما عندى منها شىء .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا فضل اليزيدى قال : حدثنى إسحاق الموصلى قال :

قال سليمان الخشاب : دخلت منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريته وهى وصيفة حين شال[2] نهودُها ثوبها عن صدرها ، لها شارب كأنه خطّ بمسك ، يلحظه الطَّرف ويَقْصُر عنه الوصف ، وابنُ الأشعث الكوفىُّ يلقى عليها والغناءُ له :

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامينِ حالُ المحبّينَ المساكينِ
تركتَهم مَوتى وما موِّتوا قد جُرِّعُوا منك الأمَرّينِ
وسرْتَ فى رَكْبٍ على طيّةٍ رَكْبٍ تَهامٍ ويَمانينِ

(١) العرطبة : العود من الملاهى ، وقيل الطنبور ، وقيل الطبل .

(٢) المعروف ، أشاله : رفعه ، وجاءت فى اللسان ضمناج ١٣ ص ٣٩٨ السطر الأخير : التى تشول ذنبها .

يا راعيَ الذَّوْد لقد رُعتنا ويلك من رَوْع المُحِبّينِ
فرّقتَ جمْعا لا يُرَى مثلُهم فجعتَهم بالرَّبْرَبِ العِينِ

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنى هارون بن محمد بن الزيات قال : قال أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل :

كان ابن رامين مولى الزرقاء أجلّ مُقَيِّنٍ بالكوفة وأكبرهم ، ورامين أبوه مولى بشر بن مروان .

قال هارون : فحدثنى سليمان المدنىّ قال : قال حماد بن إسحاق : قال أبى : قال مُعاذ بن الطبيب :

أتيت ابن رامين وعنده جواريه الزرقاء وصواحباتها ، وعندهن فتى حسن الوجه نظيف الثياب عَطِرُ الريح يُلْقِى عليهن ، فسألت عنه فقيل لى : هذا محمد ابن الأشعث بن فجوة الزهرىّ ، فمضيت به إلى منزلى وسألته المقام ففعل ، وأتيته بطعام وشراب وغنيته أصواتا من غناء أهل الحجاز ، فسألنى أن ألقيها عليه فقلت : نعمْ وكرامةً وحُبّا ، على أن تُلْقِىَ علىّ أصواتا من صنعتك ألتذُّ بها وأقطع طريقى بروايتها أُطرف أهلَ بلدى بها ، ففعلتُ وفعل ، فكان ما أخذته عنه من صنعته .

صوت

صاحِ أنّى عاذِلِى ما ذَهَبا من هوًى هاج لقلبى طرَبا
أذكرتْنى الشَّوْقَ سَلامةُ أنْ لم أكن قضّيْتُ منها أرَبا
وإذا مالام فيها لائمٌ زاد فى قلبى لحبّى عجبا
من ذوات الدَّلّ لو دبَّ على جِلْدِها الذَّرُّ لأبْدى نَدَبا(١)

الغناء لمحمد بن الأشعث ثقيل أول عن الهشامىّ ، وفيه ليونس خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ،وذكر أحمد بن عبيد أن فيه لحنا من الثقيل الثانى لايدرى لمن هو ، قال : ومنها :

---

(١) الندب : أثر الجرح .

صوت

لذِكرِ الحبيبِ النازحِ المتعتّبِ طربْتُ ومن يَعرِضْ له الشَّوْقُ يطربِ

لحنه رمل ؛ قال : ومنها :

صوت

خليليَّ عُوجا ساعةً ثم سَلِّما على زَيْنَبٍ سقْيا ورَعْيا لزينبِ

لحنه رمل قال : ومنها :

صوت

رَحُبَتْ بلادُك يا أُمامَــهْ وسلِمتِ ما سجعتْ حمامَــهْ
وسَقَى ديارَكِ ـ كلّمـا حنَّتْ إلى السُّقيا ـ غمامَــهْ
إنى وإنْ أقصيتِيــنى سفَهاً[١] أُحِبُّ لكِ الكَرامَهْ
وأرى أمورَك طاعــة مفروضةً حتى القيامَــهْ

لحنه خفيف رمل قال : ومنها :

صوت

ما بالمغانى من أحَــدْ إلاّ حمامات فُــرُدْ
أضحتْ خلاءً دُرَّسـا للريح فيها مُطَّــرَدْ
عهدى بها فيما مضى يَنْتابها بيضٌ خُرُدْ[٢]
فاستبدلَتْ وحْشا بهم والوُرْقَ تَدْعُو والصُّرَدْ[٣]

لحنه هزج قال : ومنها :

---

(١) فى نهاية الأرب ٥ : ٢١ : شفق .

(٢) الخرد جمع خريدة ، وهى البكر ، أو المرأة الحيية .

(٣) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن ... يصطاد صغار العصافير . والورق ، جمع ورقاء : وهى الحمامة التى يضرب لونها إلى خضرة .

صوت

ليت من طيَّرَ نوْمِى ردَّ فى عينى المناما
أو شَفَى جسما سقيما زاده الهجر سَقاما
نظرتْ عينى إليها نظرةً هاجتْ غراما
تركتْ قلبى حزينا بهواها مستَهاما

لحنه رمل ، قال ابن الطبيب : وأخذت منه مع هذه أصواتا كثيرة ، ورأيت الناس بعد ذلك ينسبونها إلى قدماء المغنين .

قال هارون : وحدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حدثنى إسماعيل بن جعفر ابن سليمان :

أن الزرقاء [صاحبة ابن رامين] صارت إلى أبيه ، وكان يقال لها أمّ عثمان وأن ربيحة جارية ابن رامين صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيَّةً عنده ، قال إسماعيل : فأتى سليمان بن ُعلىّ ابنَه جعفرا فأخرج إليه الزرقاءَ فقال لها سليمان : غنينى ، قالت : أىّ شىء تحب ؟ قال غنينى :

إذا ما أمُّ عَبْدِ اللهِ لم تحْلُلْ بواديه
ولم تَشْفِ سقيا هيَّجَ الحزْنَ دواعيه

فقالت : فديتك قد ترك الناس هذا منذُ زمان ، ثم غنَّته إياه ، قال إسماعيل : قد مات سليمانُ منذ ثلاث وسبعين سنة ، وينبغى أن يكون رأى الزرقاء قبل موته بسنتين أو ثلاث ، قال : وقالت هى : قد ترك الناس هذا منذ زمان . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

قال هارون : وقال شُراعَةُ بن الزَّنْدَبُوذ :

قالوا شُراعَةُ عِنِّينٌ فقلت لهمْ اللهُ يعلم أنى غيرُ عِنِّينِ
فإنْ أبيتمْ وقلتمْ مثل قولهمُ فأَقْحِمُونِىَ فى دار ابن رَامِينِ
ثم انظروا كيف طَعْنِى عند مُعْتَركى فى حِرِ مَن كنتُ أرْميها وتَرْمِينى

قال هارون ؛ : وحدثنى أبو أيوب المَدِينى ، عن أحمد بن إبراهيم قال :

قال بعض المَدنيِّين : أتيت منزل ابن رامين فوجدت عنده جارية قد رفع ثدْيها قميصها ، لها شاربٌ أخضرُ ممتدّ على شفتها امتداد الطِّراز ، كأنما خُطّتْ طُرّتها وحاجباها بقَلَم ، لايلحقها فى ضَرْبٍ من ضُروب حُسنها وصفُ واصفٍ ، فسألت عن اسمها فقيل : هذه الزرقاء .

نسبة الصوت الذى فى الخبر

صوت

إذا ما أُمُّ عبد الله لم تَحْلُلْ بواديهِ
ولم تشفِ سقيما هيّجَ الحُزْنَ دواعيهِ
غزالٌ رَابَه القَنَّاصُ تَحْميه صَياصيه[١]
عرفتَ الرَّبْع بالإكليل عفَتْه سوافيه[٢]
بِجَوٍّ ناعِمِ الحَوْذَانِ مُلْتَفّ رَوابيه[٣]
وما ذِكْرِى حَبيبا وقليلا ما أُواتيهِ
كذِى الخمر تَمنّاها وقد أسرف ساقيهِ

ذكر الزبير بن بكار أن الشعر لعدىّ بن نوفل ، وقيل : إنه للنُّعمان بن بَشير الأنصارى وذلك أصح[٤] وقد أخرجتُ أخبارَ النعمان فيه مفردة فى موضع آخر ، وذكرت القصيدة بأسرها ، ورواها ابن الأعرابى وأبوعمرو الشيبانى للنعمان ، ولم يَذْكُرْ أنها لعدىّ غيرُ الزبير بن بكار ، والغناء فيما ذكر عمرو ابن بانةَ لمَعْبَد خفيف رمل بالوسطى ، وذكر إسحاق . أن فيه خفيفَ رملٍ بالسبابة فى مجرى البنصر [يَمانٍ] وفيهِ للغَريض ثقيلٌ أوّل [بالوسطى] عن الهِشامىّ فى الأول والثانى والرابع والخامس .

(١) الصياصى : جمع صيصية ، وهى قرن البقر والظباء ، وأيضا الحصن وكل ما امتنع به .
(٢) الإكليل : موضع ، انظر معجم البلدان .
(٣) الحوذان : نبات سهل حلو طيب الطعم .
(٤) فى معجم البلدان نسب لعدى بن نوفل ، انظر « إكليل » . وسيأتى اختلاف نسبته فى ج ١٦ .

ذكر نسب عدى بن نوفل وخبره

هو عدىّ بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ، وأُمُّه آمنة بنت جابر بن سُفيان أُخْتُ تأبَّط شرًّا ، وكان عمر ابن الخطاب رضوان الله عليه استعمله أوعثمانُ بن عفان رضى الله عنه — فيما أخبرنا به الطّوسىّ عن الزبير بن بكار — على حَضْرَمَوتَ، قال الزبير : ودار عدىّ بن نوفل بين المسجد والسوق [معروفة] وفيها يقول إسماعيل بن يَسار النَّسائى :

إنّ مَمْشاكَ نَحْوَ دارِ عدىٍّ ... كان للقلب شِقْوةً وفُتُونا

إذ تراءت على البَلاطِ فلما ... واجهَتْنا كالشمس تُعْشِى العيونا

قال هارون قِفْ فياليتَ أنى ... كُنتُ طاوعْتُ ساعةً هارونا

وقد قيل : إن هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة[1] .

قال الزبير : كانت تحتَ عدىّ بن نوفل أمّ عبد الله بنت أبى البَخْتَرِىّ ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، فغاب مدة وكتب إليها أن تَشَخَص إليه فلم تفعل فكتب إليها يقول :

إذا ما أُمّ عبد الله ... لم تَحْلُلْ بواديه

وذكر البيتين فقط ، فقال لها أخوها الأسود بن أبى البَخْتَرى — وهما لأب وأُمّ ، أُمُّهما عاتِكةُ بنت أُميّة بن الحارث بن أسد بن عبد العزى — : قد بلغ الأمر هذا من ابن عمك فأشْخَصى إليك[2] .

(١) منسوب له فى ديوانه ٥٨٢ « السعادة » .

(٢) هكذا هو فى النسخ ، ولعله : فاشخصى إليه .

صوت

أعَيْنَىَّ جُودا ولا تَجْمُدا ... ألا تبكيانِ لصخْرِ النَّدَى
أَلا تبكيانِ الجَرِىءِ الجميل ... ألا تبكيانِ الفَتَى السيِّدا

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشَّرِيد ترثى أخاها صخْرًا ، والغناءُ لإبراهيم الموصلى ثقيل أول مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رمل بالوسطى عن عمرو والهِشامىّ وحَبَش .

نسب الخنساء وخبرها

ومقتل أخويها صخرٍ ومُعاوية

هى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح[١] بن يَقَظَة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرىء القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة ابن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضر .

واسمها تُماضِر ، والخنساء لقبٌ وقع عليها ، وفيها يقول دُريدُ بن الصِّمَّة وكان خطبها فردَّته وكان رآها تَهْنأ بعيرا :

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صحبى ... وقفوا فإن وقوفكم حَسْبى[٢]
أخُناسُ قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تَبْلٌ من الحب[٣]
ما إن رأيتُ ولاسمعت به ... كاليوم طالِى أينُقٍ جُرْبِ
مُتَبَذِّلاً تبدُو محاسنُه ... يَضَعُ الهِناء مواضعَ النُّقْبِ[٤]

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لما خطبها دريد بعثت خادمة لها وقالت : انظرى إليه إذا بال ، فإن كان بولُه يَخْرِق الأرض ويَخُدُّ فيها ففيه بَقيَّةٌ ، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيَّةَ فيه ، فرجعت إليها وأخبرتها فقالت : لا بقية فى هذا ، فأرسلت إليه : ماكنتُ لأَدعَ بنى عمى وهم مثل عوالى الرماح وأتزوَّجَ شيخا ، فقال :

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آل عمرو ... من الفتيان أشباهى ونَفْسى
وقالت : إننى شيخٌ كبير ... وما نبَّأْتُها أنى ابنُ أمْسِ

---

(١) فى مخطوط : رباح وكذلك الإصابة ، وفى الخزانة ١ : ٢٠٨ كما أثبتنا ، وفى جمهرة أنساب العرب : الشريد اسمه عمرو بن يقظة .

(٢) اربعوا : قفوا وانتظروا .

(٣) التبل : السقام .

(٤) الهناء : القطران ، والنقب : الجرب ، وتهنأ البعير : تطليه بالهناء .

فلا تلدى ولا ينكحكِ مثلى إذا ما ليلةٌ طرقتْ بنحسِ

تريد شَرَ نْبثَ القدمينِ شثْنا يباشر بالعشيّة كلَّ كِرْسِ [١]

فقالت الخنساء تجيبه :

معاذ الله ينكحنى حَبَرْكى يقال أبوه من جُشَمِ بن بكْرِ [٢]

ولو أصبحتُ فى جُشَمٍ هَدِيًّا إذًا أصبحت فى دنسٍ وفقرِ [٣]

وهذا الشعر ترثى به أخاها صخرا وقتله زيدُ بن ثَوْر الأسدىُّ يوم ذى الأثل [٤] .

أخبرنا بالسبب فى ذلك محمد بن الحسن بن دُرَيد ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة ، وأضفت إليه رواية الأثرم ، عن أبى عبيدة قال :

غزا صخرُ بن عمرو وأنسُ بن عبّاس الرِّعْلىُّ فى بنى سُلَيم بن أسد بن خُزيمة — قال أبو عبيدة : وزعم السُّلَمِىُّ أن هذا اليوم يقال له يوم الكلاب ويوم ذى الأثل — فى بنى عوف وبنى خُفاف وكانا متساندَيْن ، وعلى بنى خُفافٍ صخرُ بن عمرٍو الشريدىُّ ، وعلى بنى عوف أنسُ بن عباس ، قال : فأصابوا فى بنى أسد بن خُزيمة غنائمَ وسبْيا ، وأخذ صخر يومئذ بُدَيلة امرأته ، قال : وأصابت صخرًا يومئذ طعنةٌ ، طعنه رجل يقال له رَبيعة بن ثور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حَلَقا من الدرع فاندمل عنه حتى شقَّ عليه بعد سنين ، وكان ذلك سببَ موته ، قاله أبو عبيدة .

وقال غيره : بل ورد هو وَبلْعاءُ بن ُقيسٍ الكنانىُّ قال : وكانا أجمل رجلين فى العرب ، قال : فشربا عند يهودىّ خمّارٍ كان بالمدينة ، قال : فحسدهما لِما رأى من جمالهما وهيئتهما وقال : إنى لأحسُدُ العربَ أن يكون فيهم مثل هذَين ،

(١) شرنبث القدمين : الخشنهما ، والشثن : الغليظ ، والكرس أقرب معنى له هنا : أبوال الغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض فى الدار ، وهو ما يناسب الشرنبث والشثن . ومن معانى الكرس : القلادة المضموم بعضها إلى بعض والأصل .

(٢) الحبركى : الطويل الظهر القصير الرجلين أو الضعيف الرجلين . والمراد . وبه فسر فى اللسان « حبرك » .

(٣) الهدى : العروس .

(٤) فى المصادر الأخرى وسيأتى : ربيعة بن ثور . وذو الأثل يقال له ذات الأثل « نهاية الأرب ١٥ : ٣٦٨ ، والعقد ٣ : ٧٤ بولاق » .

فسقاها شَرْبَةً جَوِيا [١] منها ، قال : فمرَّ بصخرٍ طبيبٌ بعدَ ما طال مرضُه فأراه ما به فقال : أشُقُّ [٢] عنك فتُفِيق ، قال : فعَمَدَ إلى شِفارٍ فجعل يُحميها ثم يشقُّ بها [٣] عنه فلم ينشبْ أن مات .

قال أبو عبيدة : وأما أبو بلال بن سهم فإنه قال :

اكتسح صخرٌ أموال بنى أسد وسبى نساءهم ، فأتاهم الصَّريخُ فتبعوه فتلاحقوا بذات الأثل فاقتتلوا قتالا شديدا ، فطعن ربيعة بن ثور الأسدى صخرًا فى جنبه وفات القومَ فلم يُقْعَص [٤] وجَوِيَ منها ومرض قريبا من حول حتّى ملّه أهله ، قال : فسمع صخرٌ امرأةً وهى تسأل سَلْمى امرأة صخرٍ : كيف بَعلُك ؟ فقالت سلمى : لا حىٌّ فيُرْجَى ولا ميتٌ فيُنْعَى ، لقينا منه الأمرّين ، قال : وزعم آخر أن التى قالت هذه المقالة بُدَيلة الأسدية التى كان سباها من بنى أسد فاتخذها لنفسه فأنشد هذا البيت :

ألا تِلكُمُ عِرْسِى بُدَيْلةُ أوْجستْ ... فِراقى وملَّتْ مضجعى ومكانى

وأما أبو بلال بن سهم فزعم أن صخرًا حين سمع مقالة سلمى امرأتَه قال :

أرى أُمَّ صخرٍ لا تملُّ عِيادتى ... وملَّتْ سُلَيْمى مَضجعى ومكانى
وماكنت أخشى أن أكون جِنازة ... عليكِ ، ومَن يغترُّ بالحدَثان
أهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوانِ
لَعمرى لقد نبَّهْتِ مَن كان نائما ... وأسمعْتِ مَن كانت له أُذُنانِ
ولَلْموتُ خيرٌ من حياة كأنّها ... مَحلّةُ يَعْسُوبٍ برأسِ سِنانِ
وأىُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حَليلَةً ... فلا عاش إلاَّ فى شقا وهَوانِ

فلما طال عليه البلاءُ وقد نَتَأتْ قطعةٌ مثل الكبد [٥] فى جنبه فى موضع الطعنة قالوا له : لو قطعتَها لرجوت أن تبرأ ، فقال : شأنكم ، فأشفق عليه بعضهم

---

(١) جويا : أصابتهما حرقة وشدة .
(٢) فى مخطوط : اسر عنك .
(٣) فى مخطوط : ثم يشد بها .
(٤) لم يقعص : لم يقتل مكانه .
(٥) فى مخطوط : مثل اليد .

فنهاهم ، فأَبى وقال : الموتُ أهونُ عليّ مما أنا فيه . فأَحْمَوا له شَفْرة ثم قطعوها [فيئس] من نفسه ، قال : وسمع صخرٌ أختَه الخنساء تقول : كيف كان صبرُه ؟ فقال صخر فى ذلك :

أجارتَنا إن الخطوب تَنُوبُ ... على الناس كلَّ المخطِئين تُصِيبُ
فإنْ تسأليني هل صَبَرْتُ فإنَّني ... صبورٌ على ريب الزمانِ صَلِيبُ[1]
كأنّي وقد أدْنَوْا إليَّ شِفارهُمْ ... من الصبر دامى الصفحتين رَكُوبُ[2]
أجارتنا لست الغداةَ بظاعنٍ ... ولكنْ مقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

عن أبي عبيدة ، عسيب : جبل بأرض بنى سُلَيم إلى جنب المدينة ، فقبره هناك مُعْلَم . وقال أبوعبيدة : فمات فدفن هناك ، فقبره قريب من عَسِيب ، فقالت الخنساء ترثيه :

ألا ما لعينك أمْ مالَها ... لقد أخْضَلَ الدمعُ سِرْ بالَها
أبعْدَ ابن عمرو من آل الشَّرِيـ ... ـدِ حلَّتْ به الأرضُ أثقالَها
فإنْ تَكُ مُرَّةُ أوْدَتْ به ... فقد كان يُكْثِرُ تَقْتالَها
سأحمل نفسى على خُطَّة ... فإما عليها وإما لَها
فإن تَصْبِرِ النفسُ تَلْقَ السرورَ ... وإن تَجْزَعِ النفسُ أشقى لَها

غنى فيه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، قال السُّلَمى : ليست هذه فى صخر وإنما رَثَتْ بها معاويةَ أخاها وبنو مُرَّة قتلته ، ولكنها قالت فى صخر :

قذى بعينك أمْ بالعين عُوّارُ ... أمْ أقفرتْ إذْ خَلَتْ من أهلها الدّارُ
تبكى لصخرٍ هى العبرى وقدذرَفتْ[3] ... ودونه من جديد التُّرْبِ أستارُ
لا بُدَّ من ميتةٍ فى صرْفها غِيَرٌ ... والدهر فى صَرْفه حَوْلٌ وأطوار
يا صخرُ واردَ ماءٍ قد تناذَرَهُ ... أهْلُ المواردِ ما فى وِرْدِه عارُ
مَشْيَ السَّبَنْتَى[4] إلى هيجاءَ مُعضِلةٍ ... له سلاحان أنيابٌ وأظْفارُ

(١) فى مخطوط : أريب .
(٢) الركوب : التى تركب من الإبل .
(٣) فى مخطوط : وقد ثكلت .
(٤) السبنتى : الجرىء المقدم من كل شىء .

فما عَجُولٌ علَى بَوٍّ تُطيف به | لها حَنينانِ إصغار وإكبارُ
ترْتَعُ ما رتَعتْ حتى إذا ادّكرَت | فإنما هى إقبالٌ وإدبارُ
لاتسْمنُ الدهرَ فى أرض وإن رتعتْ | فإنما هى تَحنانٌ وتَسْجارُ[1]
يوما بأوْجدَ منِّى يوم فارقنى | صخرٌ وللدهر إحلاءٌ وإمرارُ
فإن صخرًا لوالينا وسيِّدُنا | وإنَّ صخرًا إذا نَشْتو لنحّارُ
وإنَّ صخرًا لتأْتمُّ الهُداةُ بهِ | كأنَّه علَمٌ فى رأسه نارُ

غنى فى هذين البيتين وفى الأولين ابن سُريج من رواية يونس :

لم ترَاه جارةٌ يمشى بساحتِها | لِريبةٍ حين يُخلِى بيْتَه الجارَ
ولا تراه وما فى البيت يأْ كُله | لكنَّه بارز بالصَّحْنِ مِهْمارُ
مثلُ الرُّدَيْنِىِّ لم تَنْفدْ شبيبتُهُ | كأنه تحت طَىِّ البُرْدِ أُسْوارُ
فى جوف رَمْسٍ مقيمٌ قدتضمّنه | فى رَمْسه مُقْمطِرّاتٌ وأحجارُ
طَلْقُ اليدين لفعل الخير ذوفَجَرٍ | ضَخْمُ الدَّسيعةِ بالخيرات أمّار
فى رُفقةٍ حارَ حاديهم بمَهْلكةٍ | كأن ظُلْمتَها فى الطُّخْيةِ القارْ

عروضه ثان من البسيط .

العُوّار والعائر: وَجع وهو مثل الرمد، وذرفت: قطرت قطرًا متتابعا لايبلغ أن يكون سيلا، والعَبْرى يقال: امرأة عبرى وعابر، والعبرة: سُخنة العين . والوَلَه: ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع على الولد ، حول وأطوار أى تحوُّلٌ وتقلُّب وتصرُّف . قد تناذره أى أنذر بعضهم بعضا هَوْلَه وصُعوبته . ويروى: تُبادره . وقولها : مافى ورده عار ، أرادت ما فى ترْك ورده عار أى لايُعَيَّر أحدٌ إن عجز عنه من صعوبة ورده . العجول: الثكول، والبَوُّ: أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيُحشى ويُدنى من أمه فترْأمه . إحلاء وإمرار يقال : ما أحْلى ولا أمَرَّ أى ما أتى بحلوة ولامرَّة، والمعنى: أن الدهر يأتى بالمشقّةِ والمِحْنة . كأنه علم فى رأسه نار أى أنه مشهور، والعلم الجَبَل وجمعه أعلام . كأنه تحت طَىِّ البُرْد

(١) التسجار من الناقة ونحوها : أن تمد حنينها .

أُسوار أى من لطافة بطنه وهَيفه شبيه أُسوار من ذهب ، والرُّدَيْنِيُّ : الرمح، منسوب إلى رُدَيْنَة امرأةٍ كانت تُقَوِّمُ الرماح، أى هو معْصُوب[١] البَدن ليس بمُهبَّجٍ[٢] مُنْحَلٍ وهذا كلُّه من انتفاخ الجِلْد والسِّمَن والاسترخاء . وقال أبو عمرو : مقمطرات : صخور عظام وأحجار صغار ، وفجر : يتفجر بالمعروف ، والدَّسيعة : العطاء . الطخية من الطَّخاء : وهو الغيم الرقيق الذى يوارى النجوم فيتحـيَّر الهادى .

وقالت الخنساء أيضا ترثى صخرا :

بكتْ عينى وعاودَها قذاها ... بعُوّارٍ فما تقضِى كَرَاها

على صخْرٍ وأىُّ فتى كصخر ... إذا ما النابُ لم ترأمْ طَلاها

الطَّلا : الولد ، أى لم تعطف عليه من الجَدْب :

فتى الفتيان ما بلغوا مَدَاهُ ... ولا يُكْدِى إذا بلَغتْ كُداها[٣]

لئن جزعت بنو عمرٍو عليه ... لقد رُزِئتْ بنو عمرٍو فتاها

غنى فى هذه الأبيات ابنُ جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى ، وذكر حبش أن له أيضا فيه خفيفَ رملٍ بالبنصر :

ترى الشُّمَّ الجحاجح من سُلَيْم ... وقد بلَّتْ مدامعُها لِحاها

إذا وُصف السيد بالشَّمم فإنه لا يدنو الدناءة ولا يضع لها أنْفَه :

وخيلٍ قد كففت بِجَوْل خيل ... فدارتْ بين كَبْشيها رَحاها[٤]

جَوْلُ خيلٍ : جولان . ويقال قطعة خيل تجول أى تذهب وتجىء :

تُرَفِّعُ فَضْلَ سابغةٍ دِلاصٍ ... على خَيْفانةٍ خَفِقٍ حَشاها

وتسعى حين تَشْتَجِرُ العوالى ... بكأس الموت ساعةَ مُصْطلاها

محافظةً ومَحْـــمِيةً إذا ما ... نبا بالقوم من جزع لَظاها

(١) فى مخطوط : معصور .

(٢) المهبج : المنتفخ .

(٣) يكدى : يبخل عند السؤال . وكداها جمع كدية ، وهى الشىء الصلب من الحجارة والطين والأرض الغليظة ، ويراد هنا : إذا أجدبوا ووصلوا إلى العسر والمشقة .

(٤) الكبش من معانيه : سيد القوم وقائدهم . وفى مخطوط : قد لففت . وفى الديوان : دلفت .

فتركها إذا اشتجرت بطعنٍ ... تَضَمَّنَه - إذا اختلفتْ - كُلاها
[هنالك لو نَزَلتْ بآل صخرٍ ... قِرَى الأضياف شَحْنًا من ذُراها
فَمَنْ للضيف إن هبَّتْ شَمالٌ ... مُزَعْزِعةٌ يُجاوبها صَدَاها
وألجأ بَرْدُها الأشْوَالَ حُدْبًا ... إلى الحجرات باردةً كُلاها][1]
أمطعِمَكم وحامِلَكم تركتُمْ ... لدى غَبْراء مُنْهَدِمٍ رَجاها[2]
لِيَبْكِ عليك قومُك للمعالى ... وللهيجاء إنَّك ما فتَاها
وقد قَرَّتْ طَلَقَةَ فاستراحت ... فليت الخيل فارسَها يراها[3]

وقال خُفاف بن عمير يرثى صخرًا ومعاوية ابنَىْ عمرو ورجالاً منهم أصيبوا :

تطاولَ همُّه ببراق سعرٍ[4] ... لذكراهُمْ وأىُّ أوانِ ذِكْرِ
كأنَّ النارَ تُخْرِجها ثيابى ... وتَدْخل بعدنَوْمِ الناس صَدْرِى
لَباتَتْ تضربُ الأمثال عندى ... على نابٍ سَرَيْتُ بها وبكْرِ[5]
وتَنْسى من أُفارقُ غيرَ قالٍ ... وأصبر عنهمُ من آل عمْرِو
وهل تَدْرِين إمَّا رُبَّ خِرْقٍ ... رُزِئْتُ مُبرَّأً بِقصاص وِتْرِ[6]
أخى ثِقَةٍ إذا الضَّراءُ نابَتْ ... وأهْلِ حِباءِ أضيافٍ ونَحْرِ
كَصَخْرٍ للسَّرِيَّةِ غادروه ... بِذَرْوَةَ[7] أو معاويةَ بنِ عمرو
ومَيْتٍ بالجَنابِ[8] أثلَّ عَرْشِى ... كصخْرٍ أو كعمرٍو أو كبِشْرِ
وآخرَ بالنَّواصِف مِن هدَام ... فقد أخذوا ورَبَّ أبيك صبرى[9]

(١) الأشوال جمع شول ، وهى الإبل التى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر ، والحجرات جمع حجرة ، ومن معانيها : حظيرة الإبل .
(٢) الرجا : ناحية البئر . وفى الديوان : أحاميكم ومطعمكم .
(٣) فى المطبوع : وقد وردت طليحة . وفى الديوان : فقد فقدتك طلقة . وطلقة : اسم فرسه .
(٤) سعر : جبل ، والبراق : الحجارة والرمل مختلطة .
(٥) الناب : الناقة المسنة .
(٦) الخرق : السخى ، أو الفتى الحسن الكريم الخليقة .
(٧) ذروة : مكان أو ماء أو جبل « انظر معجم البلدان » .
(٨) الجناب : موضع .
(٩) النواصف : موضع . وفى مخطوط : « وقد أحدى ورب . . . » ولعلها أخدى : أى مشى قليلا قليلا . وهدام لا توجد فى معجم البلدان ، ولعلها : هدان .

فلم أر مثلَهم حيّا لِقاحا أقاموا بين قاصية وحَجْرِ[1]
أشد على صروف الدهر إدًّا[2] وآمَرَ منهمُ فيها بصبر
وأكرَم حين ضنَّ الناس خِيما وأحمد شيمةً ونَشيلَ قِدْرِ[3]
إذا الخنساءُ لم تَرْحَضْ يديها ولم يُقْصَر لها بَصَرٌ بِسِتْرِ
قَرَوْا أضيافَهُمْ رَبَحا بِبُحّ تجيء بعبقرِيِّ الوَدْقِ سُمْرِ[4]
رِماحُ مُثَقَّفٍ حَمَلَتْ نِصالا يَلُحْنَ كأنهنَّ نجوم فَجْرِ
جلاها الصَّيْقَلُون فأخْلَصُوها مَواضِيَ كُلُّها تَفْرِى بِبَتْرِ
هم الأَيْسارُ إن قَحَطَتْ جُمادى بكل صَبِيرِ سارِيةٍ وقَطْرِ[5]
يَصُدُّون المُغيرةَ عن هواها بطعنٍ يَفْلِق الهاماتِ شَزْرِ
تَعَلَّمْ أن خير الناس طُرّا لِوِلْدانٍ ـ غداةَ الرِّيح ـ غُبْرِ
وأرملةٍ ومَعْتَرَّ مُسِيفٍ عديمِ المالِ عُجْزَةُ أمِّ صخرِ[6]

ومما رثت به الخنساء صخرا وغُنِّيَ فيه :

صوت

أعينَيَّ جُودا ولا تجمُدا ألا تبكيان لصخرِ النَّدَى
ألا تبكيان الجرىءَ الجميلَ ألا تبكيان الفتى السيِّدا
طويلَ النِّجادِ رفيعَ العما دِ ساد عشيرتَه أمْرَدا
إذا القوم مدُّوا بأيديهمُ إلى المجد مدَّ إليه يدا
فنالَ الذى فوق أيديهمُ من المجد ثم مضى مُصْعِدا

(١) الحجر من معانيه : نقا الرمل .

(٢) الإد : الداهية .

(٣) الخيم : الطبيعة والسجية ، والنشيل : اللحم .

(٤) الربح : الفصيل . والبح : قداح الميسر ، أو أن الربح : الشحم ، أو ما يربحون من الميسر انظر اللسان « مادة : ربح » ، وروى عجز البيت : يعيش بفضلهن الحى سمر

(٥) جمادى : يطلق أيضا عند العرب على الشتاء لجمود الماء فيه . والصبير : السحاب .

(٦) المعتر : المعترض للمعروف ، والمسيف : من هلك ماله . والعجزة : آخر الأولاد .

يُحَمِّلُه القومُ ما عالَهم[١] وإن كان أصغرَهم مَوْلِدَا
ترى المجدَ يهْوِى إلى بيته يرى أفْضل المجْدِ أنْ يُحْمَدَا
وإنْ ذُكِر المجدُ ألْفيْتَه تأزَّرَ بالمجدِ ثم ارتدَى

ونذكر الآن هاهنا خبر مقتل معاويةَ بن عمرٍو أخيهما ، إذ كانت أخبارهما وأخبارها تَدعو بعضها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدثنى أبو بلال بن سهمِ بن عباس بن مرداس بن أبى عامر ابن حارثة بن عبد [بن عبس] بن رِفاعة بن الحارث بن بُهثَة بن سُلَيم بن منصور قال :

غزا معاويةُ بن عمرٍو أخو خنساءَ بنى مُرَّةَ بن سعد بن ذُبيان وبنى فَزارة ، ومعه خُفاف بن عُمير بن الحارث — وأمه نَدْبَةُ سوداءُ وإليها يُنْسب — فاعْتَوَره هاشمٌ ودُريدٌ ابنا حَرْمَلَةَ المُرِّيَّان — قال ابن الكلبى : وحَرْملة ابن الأسْعَرِ بن إياس بن مُرَيْطة بن ضَمْرَة [بن صِرْمَة] بن مُرَّة بن عوف ابن سعْد بن ذُبيان ، قال أبو عبيدة — فاستطرد له أحدُهما ثم وقف وشدَّ عليه الآخر فقتله ، فلما تنادَوْا : قُتِلَ معاوية قال خفاف : قتلنى اللهُ إن رِمْتُ حتى أثأر به ، فشدَّ على مالك بن حِمارٍ الشَّمْخِىّ وكان سيد بنى شَمْخِ بن فزارة فقتله [قال : وهو مالك بن حمار بن حَزْن بن عمرٍو بن جابر بن عُقَيل بن هلال ابن مازن بن فزارة] فقال خُفافُ فى ذلك :

إنْ تكُ خيلى قد أُصيب صَميمُها فعَمْدًا على عَيْنٍ تيمَّمْتُ مالكا

يعنى مالك بن حمارٍ الشَّمْخِىَّ ، قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بلالٍ الحديثَ ، قال : وأما غيره فذكر أن معاوية وافى عُكاظَ فى موسم من مواسم العرب ، فبينا هو يمشى بسوق عكاظ إذ لَقِىَ أسماءَ المُرِّيَّةَ ، وكانت جميلة وزعم أنها كانت بَغِيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعت عليه وقالت : أما علمتَ أنى عند سيدِ العرب هاشمِ بن حَرْملة ؛ فأحفظته ، فقال : أمَا والله لأُقارِعَنَّه عنك ، قالت : شأنك وشأنه ، فرجعت إلى هاشمٍ فأخبرته بما قال معاوية وما قالت له ، فقال

(١) عالهم بالعين المهملة : أهمهم وثقل عليهم .

هاشم : فلَعمرى لا يريمُ أبياتنا حتى ننظُرَ ما يكون من جهده ، فلما خرج الشهرُ الحرامُ وتراجع الناس عن عكاظ خرج معاويةُ بن عمرٍو غازيا يريد بنى مُرَّة وبنى فَزَارة فى فرسانِ أصحابِه من بنى سُلَيم ، حتى إذا كان بمكان يُدْعى الحَوْزة أو الجَوْزة – والشك من أبى عبيدة – دوَّمت عليه طَيْرٌ وسنَحَ له ظَبىٌ فتطيَّر منهما ورجع فى أصحابه ، وبلغ ذلك هاشمَ بن حرملة فقال : ما منعه من الإقدام إلا الجُـبْن . قال : فلما كانت السنة المقبلةُ غزاهم ، حتى إذا كان فى ذلك المكان سَنَحَ له ظبي وغراب فتطير فرجع ، ومضى أصحابه وتخلَّف فى تسعةَ عشرَ فارسا منهم لايريدون قتالا [إنما تخلف عن عُظْم الجيشِ راجعا إلى بلاده] فوردوا ماء ، وإذا عليه بيتُ شَعَر ، فصاحوا بأهله فخرجت إليهم امرأة فقالوا : ممن أنتِ ؟ قالت : امرأة من جُهَينة أحْلاف لبنى سهم بن مُرَّة بن غطفان [١] فوردوا الماء يسقون ، فانسَلَّتْ فأتت هاشمَ بنَ حرملة فأخبرته أنهم غيرُ بعيد وعرَّفته عِدَّتهم وقالت : لا أراه إلا معاوية فى القوم . فقال : يا لَكاعِ أمعاويةُ فى تسعةَ عشرَ رجلا ؟ شَبَّهتِ أو أبطلْتِ . قالت : بل قلتُ الحق وإن شئت لأصفنهم لك رجلا رجلا ، قال : هاتى ، قالت : رأيت فيهم شابًا عظيمَ الجُمَّة ، جبهتُه قد خرجت من تحت مِغْفَرِه ، صَبيحَ الوجه عظيمَ البطن ، على فرس غَرَّاء . قال : نعمْ هذه صفته يعنى معاوية وفرسَه الشَّمَّاء . قالت : ورأيت رجلا شديد الأُدْمة شاعرا يُنشدهم ، قال : ذلك خُفاف بن عُمير ، قالت : ورأيت رجلا ليس يبرح وسطهم إذا نادَوه رفعوا أصواتهم ، قال : ذاك عباسٌ الأصَمُّ ، قالت : ورأيت رجلا طويلا يُكنُّونه أبا حَبيب ورأيتُهم أشدَّ شيء له توقيرا ، قال : ذاك نُبَيْشةُ بن حَبيب ، قالت : ورأيت شابا جميلا له وَفْرَةٌ حسنة . قال : ذاك العباس ابن مرداس السُّلَمى ، قالت : ورأيت شيخا له ضَفيرتان فسمعته يقول لمعاوية : بأبى أنتَ أطلت الوقوف ، قال : ذاك عبد العُزَّى زوج الخنساءِ أختِ معاوية . قال فنادى هاشم فى قومه وخرج – وزعم أن المُرِّىَّ لم يخرج إليهم إلا فى مثل عِدَّتهم من بنى مُرَّة – قال : فلم يشعر السُّلَميُّون حتى طلعوا عليهم فثاروا إليهم فلقُوهم ،

(١) فى مخطوط : سهم بن غطفان .

فقال لهم خُفاف : لا تنازلوهم رجلا رجلا فإن خيلهم تثبت للطِّراد وتحمل ثِقل السلاح ، وخيلكم قد نهكها[١] الغزو وأصابها الحَفا ، قال : فاقتتلوا ساعة وانفرد هاشمٌ ودريدٌ ابنا حرملة المُرِّيَّان لمعاوية ، فاستطرد له أحدهما فشد عليه معاوية وشغله ، واغتَرّه الآخر فطعنه فقتله ، واختلفوا أيُّهما استطرد له وأيُّهما قتله ، وكانت بالذى استطرد له طعنةٌ ، طعنهُ إياها معاوية ويقال : هو هاشم ، وقال : آخرون : بل دُرَيدٌ أخوه ، ثم قال : وشدَّ خُفافُ بن عُميرِ بنِ الحارث بن الشَّريد على مالك بن حِمارٍ سيِّد بنى [شمخ بن] فزارة فقتله، وقال خفاف فى ذلك - وهو ابن نَدْبة وهى أمَةٌ سوداءُ كان سباها الحارث بن الشَّرِيد حين أغار على بنى الحارث بن كعب [فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا . ويقال فى نَدْبَة : إنها ابنةُ الشيطان بن بَنانٍ من بنى الحارث بن كعب] :

أقول له والرُّمْحُ يأطِرُ مَتْنَهُ ... تأمَّلْ خُفافا إننى أنا ذلِكا[٢]
وقفْتُ له عَلْوَى وقدخام صُحْبتى ... لِأبْنِىَ مَجْدًا أو لأثأرَ هالكا[٣]
لدُنْ ذَرَّ قَرْنُ الشَّمس حين رأيتهم ... سِراعا على خيلٍ تؤُمُّ المسالكا
فلمَّا رأيت القومَ لاوُدَّ بينهُمْ ... شَرِيجَيْنِ شَتَّى طالبا ومُواشكا[٤]
تيمَّمْتُ كَبْشَ القوم حتى عرفتُه ... وجانَبت شُبَّانَ الرجال الصَّعالكا
فجادت له يُمنى يَدَىَّ بطعْنَةٍ ... كستْ مَتْنَهُ من أسودِ اللَّوْنِ حالكا
أنا الفارسُ الحامى الحقيقةِ والذى ... به أدركَ الأبطالُ قِدْما كذلكا
فإنْ ينجُ منها هاشمٌ فبطعنــةٍ ... كستْه نَجِيعا من دمِ الجوف صائكا[٥]

فحقق خُفافٌ فى شعره أن الذى طعن معاوية هو هاشمُ بنُ حرملة .

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية :

ألا لا أرى فى الناس مثلَ معاويهْ ... إذا طرقَتْ إحدى الليالى بداهيهْ

(١) فى مخطوط : أمنها ، وهى بمعنى أضعفها : أى ذهب بمنتها وهى قوتها .
(٢) يأطره : يعطفه ويثنيه . وانظر الخزانة ٢ - ٤٧٠ - ٤٧٢ .
(٣) علوى : اسم فرسه . وخام : نكص ، وفى الأصول : نام ، والتصويب من اللسان « علا » .
(٤) الشريج : المثيل ، وفلقة العود إذا شق فلقتين متساويتين . والمواشك : المسرع السير .
(٥) الدم الصائك : الجامد واللازق .

بداهيةٍ يُصْغِي الكلابَ حسيسُها ... وتَخرُجُ من سِرِّ النَّجِيِّ علانيه
ألا لا أرى كالفارس الوَرْدِ فارسا ... إذا ما علته جُرْأةٌ وغلابيه
وكان لِزازَ الحرب عند شُبوبها ... إذا شمَّرَتْ عن ساقها وهى ذاكية
وقوَّاد خيل نحو أخرى كأنَّها ... سَعالٍ وعِقبانٌ عليها زَبانيهْ
بَكينا وما تبلى تعارُ وما تُرى ... على حدث الأيَّام إلاَّ كما هيَهْ
فأقسمت لا ينفكُّ دمعى وَعولَتى ... عليك بحُزْنٍ ما دعا اللهَ داعِيَهْ

وقالت الخنساء فى كلمة أخرى ترثيه أيضا :

ألا ما لعينِك أم ما لَها ... لقد أخضَلَ الدمعُ سِرْبا لَها
أبعد ابنِ عمرٍو منَ آلِ الشَّريـ ... ـدِ حلَّتْ به الأرض أثقالها
وأقسمتُ آسى على هالكٍ ... وأسألُ نائحةً ما لَها
[لِتأتِ المنيَّةُ - بعد الفتى الـ ... ـمغادَرِ بالمَحْوِ - أذلالَها][1]
سأحْمِلُ نفسِي على آلةٍ ... فإمَّا عليها وإمَّا لها
[همتُ بنفسِيَ كلَّ الهُمُومِ ... فأولى لنفسِيَ أولى لها
وخَيْلٍ تكدَّس مَشْيَ الوعو ... لِ نازلتَ بالسيفِ أبطالها][2]
نُهِينُ النفوس وهَوْنُ النفو ... سِ يوم الكريهة أبقى لها
ورجْرَاجةٍ فوقها بَيضُها ... عليها المُضاعَفُ زِفْنا لها[3]
ككِرْفِئَةِ الغيْثِ ذاتِ الصَّبيـ ... ـرِ تَرمى السحاب ويَرْمى لها
وقافيةٍ مثلِ حَدِّ السنا ... ن تَبْقَى ويهلِكُ مَنْ قالها
نطقْتَ ابن عمرٍو فسهَّلتَها ... ولم ينْطِقِ الناسُ أمثالَها
فإنْ تكُ مُرَّةُ أودَتْ بهِ ... فقد كان يُكثِر تَقْتالَها
فزالَ الكواكبُ من فقْدِهِ ... وجُلِّلَتِ الشمسُ أجلالَها

(١) نقص هنا بالأصول ، وزدنا البيت من ديوان الخنساء ، لأن المؤلف شرحه بعد .
(٢) نقص هنا بالأصول ، وزدنا البيتين من ديوان الخنساء ، لأن المؤلف شرحهما بعد ذلك .
(٣) زاف : تبختر فى مشيه . وفى المطبوع : أفتاها . والديوان كما أثبتنا عن مخطوط .

وداهيةٍ جرَّها جارمٌ ... تُبيلُ الحواصنَ أحمالها
كفاها ابنُ عمرٍو ولم يستعنْ ... ولو كان غيرُك أدنى لها
وليس بأوْلى ولكنّهُ ... سيكفى العشيرةَ ما عالَها[1]
بمعترَكٍ ضيّقٍ ، بينَهُ ... تَجُرُّ المنيّةُ أذيالَها
وبيضٍ منعْتَ غداة الصَّبا ... ح تكشفُ للرَّوْعِ أذيالَها
ومُعْمَلَةٍ سُقْتَها قاعدًا ... فأعلَمْتَ بالسيف أغْفالها[2]
وناجيةٍ لانْتِيابِ التَّميـ ... ـل غادرْت بالخَلِّ أوْصالها
إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقة ... وذلك ما كان إعمالَها
وتَمْنَحُ خيلَك أرض العدُوِّ ... وتنْبِذُ بالغزْوِ أطفالها
ونَوْحٍ بعثتَ كمِثْلِ الإرا ... خِ آنست العينُ أسبالَها

التفسير عن أبى عبيدة . قوله: حلَّتْ به الأرض قال بعضهم : حلَّتْ من الحلْية ، زيَّنت به الأرض موتاها حين دُفن بها ، وقال بعضهم : حلَّت من حلَلْتُ الشيءَ . والمعنى : ألقت مراسيَها كأنه كان ثِقْلا عليها ، قال : اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبرٌ كما قال جرير :

ألستم خيرَ من ركب المطايا ... وأندَى العالمينَ بُطُونَ راحِ

قال : جوابُ « أبعَدَ » فى « آسَى » أى أبعد ابن عمرٍو آسى وأسأل نائحة مالها ؟ [وقال أبو عبيدة : هذا البيت لميّةَ بنتِ ضرار بن عمرو الضَّبّيَّةِ ترثى أخاها] قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرٍو الشيبانى يقول : أمور الناس جارية على أذلالها أى على مسالكها واحدها ذِلٌّ . آلة: حالة تقول . فإما أن أموت وإما أن أنجو ، ولو قالت [ألَة] لم تنجُ ، لأنّ الألَة هى الحربة . هممت بنفسى قال أبو عبيدة : هذا توعّدٌ ، قال الأصمعى : كلّ الهموم ، قال الأثرم : كأنها أرادت أن تقتل نفسها . أبو عبيدة: التّكدُّس : التتابع ، يتبع بعضها بعضا ، أى يغزو ويجاهد فى الغزو كما تتوقّلُ[3] الوعول فى الجبال ، عن أبى عبيدة . قال

(١) فى الأصول : ما غالها ، ولكن الشرح الذى شرحه يؤيد ما أثبتنا هنا وبعد ذلك
(٢) رويت ومعلمة ومجمعة ، ومعناهما الكتيبة .
(٣) تتوقل : تصعد .

الأصمعى : التكدس أن تُحَرِّكَ مناكبها إذا مشت وكأنها تنصَبُّ إلى بين يديها ، وإنما وصفها بهذا ، تقول : لا تُسرع إلى الحرب ولكن تمشى إليها رُوَيْداً وهذا أثبت له من أن يلقاها وهو يركض ، ويقال : جاء فلان يتكدّس . وهى مِشْيَة من مشى الغلاظ القصار ، وقال أبو زيادٍ الكلابىُّ : الكُدَّاس [عُطاسُ] الضأنِ قال السُّلَمِىُّ : التكدس تَكَدُّس الأوعال وهو التقحُّم ، والتكدُّس هو أن يرمى بنفسه رَمْيا شديدا فى جَرْيِه . يُهِين النفوس ، تريد غداة الكريهة ، وقولُها : أبْقَى لها ، لأنها إذا تَدَامرَت [١] وغَشِيت القتال كان أسلم لها من الانهزام كقول بِشرِ بن أبى خازمٍ :

ولا يُنْجِى من الغَمَرات إلاَّ بَرَاكاءُ القتال أو الفِرَارُ

وقال بعضهم : أبقى لها فى الذِّكْر وحُسْن القول . والرجراجةُ : التى تتمخَّض من كثرتها . وقال الأصمعى : الكِرْفِئةُ ، وجمعها كرافِىء ، قِطَعٌ من السحاب بعضُها فوق بعض ، وقولها : ترمى السحاب : تنضم إليه وتتصل به . ويرمى لها : أى ينضم إليها السحاب حتى يَستوى ، مثل حد السنان لأنها ماضية . سَهَلْتُها : جئت بها سَهْلَة . وجُلِّلَت الشمس أى كُسِفت الشمس وصار عليها مثل الجُلِّ ، تبيل الحواصن ، تقول : تلقى الحواصن وهى الحوامل من النساء أولادَها من شدة الفزع [وقولها : وليس بأولى] [٢] أى ما كان وَلِيَّها ولا أدنى إليها ، ولكنه يكْفِى القريب والبعيد . ما عالها ، قال أبو عمرو : عالها : غلَبها ، وقال أبو عبيدة : يقال : إنه ليَعولنى ما عالك أى يَغُمُّنى ما غمَّك ، ويقال : افْعَلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتى غيره أى لا يُعجِزك ، ويقال : قد يَعول لك أن تفعل كذا أى قد دنا لك أن تفعل ذاك ، وأنشد :

ضربا كما تَكَدَّسُ الوعُولُ يعول أنْ أُنْبِطها يعُول

أى قد دنا ذلكَ ، ويقال عال كذا وكذا منك أى دنا منك ، ويروى : « وليس

(١) تذامرت : تحاضت على القتال .

(٢) زيادة ليستقيم بها الكلام .

بأدنى ولكنه » وقولها : مُعْمَلَة : إبل ، وقولها « قاعدا » أى على فرَسك قال النابغة :

* قُعُودًا على آل الوجيه ولاحقِ *

والأغفال : مالا سِمَةَ عليها ، واحدها غُفْل . الثَّميل : بقية الماء فى الصخرة والخَلُّ : الطريق فى الرمل تقول : أعيتْ فتركَتْها هنالك ، ويروى :

* غادَرْت بالنَّخْلِ أوصالها *

قال الأصمعى : ناجية : سريعة ، ويروى « إلى مَلك وإلى شانىء » تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدُوّ ويروى « إكلالَها » . الإرَاخُ : بقر الوحش ، تقول : خرجَتْ من بيوتهن كما خرجت البقَر من كُنُسِها فرَحا بالمطر ، ومثله فى الفرح بالمطر لابن الأحمر قوله :

ما رِيَّةٌ لُؤْلُؤانُ اللون أوردَها طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فرْقَدٌ خَصِرُ[1]

أى قوَّى أنفسها المطرُ لما رأته ، ومثله :

ألا هلَكَ امرؤٌ قامت عليه بجَنْبِ عنيزةَ البقَرُ الهجون[2]

أى لم يقَرْن فى البيوت فتسترهنَّ البيوتُ ، بل هنَّ ظواهرُ ، وإنما شبَّه اجتماعَ هؤلاء النساء باجتماع العِينِ وخروجهن للمطر قال : وبقر الوحش تفرح بالمطر.

وقال دريدٌ يرثى معاوية أخا الخنساء لما قتلته بنو مرّة :

ألابكرتْ تلوم بغير قَدْرِ فقد أحفيتنى ودخَلْتِ سِترِى
فإنْ لم تتركى عَذْلى سَفاها تَلُمْكِ علىَّ نفسُك أىَّ عَصْرِ
أسرَّك أن يكون الدهرُ سَدَّى علىَّ بشرّه يغدُو ويَسْرِى
وألاَّ تُرْزَئى نَفْسا ومالاً يَضُرُّكِ هُلْكُه فى طول عُمْرِى
[فقد كَذَبَتكِ نَفْسُك فاكذبيها فإن جزَعٌ وإن إجمالُ صبرِ
وإنّ الرزْءَ يوم وقفتُ أدعو فلم أُسمعْ معاويةَ بنَ عَمْرِو]
رأيتُ مكانه فعرضْتُ بَدْءا وأىُّ مَقيلِ رُزْءٍ يا ابنَ بَكْرِ[3]

(١) المارية : البقرة الوحشية . وبنس : تأخر « اللسان : بنس ومرا » .
(٢) لعلها : البقر الحجون ، من حجن فى الدار : أقام .
(٣) انظر الخزانة ٤ : ٤٤٤ - ٤٤٥ .

إلى إرَمٍ وأحجارٍ وصيرٍ وأغصان من السَّلَماتِ سُمْرِ

صير ، الواحدة : صِيرة ، وهى حظيرة الغنم ، وقوله « وأغصان من السَّلَمات » أى ألقيت على قبره :

وبنيانُ القبور أتى عليها طَوَالُ الدَّهْرِ من سَنَةٍ وشهرِ

ولو أسمعتَه لسَرَى حَثيثًا سَريعَ السَّعْيِ أولأتاكَ يَجرى

بِشِكَّةِ حازمٍ لاعَيْبَ فيه إذا لَبِس الكُماةُ جُلودَ نُمرِ

أى كان ألوانهم ألوانَ النمور ، سوادٌ وبياض من السلاح ، عن أبى عبيدة :

فإمَّا تُمْس فى جَدَثٍ - مُقِيما بِمَسْهَكَةٍ من الأرواحِ - قَفْرِ[١]

فعَزَّ علىَّ هُلْكُكَ يا ابن عمرٍو وما لى عنك من عَزْمٍ وصَبْرِ

قال أبو الحسن الأثرم : فلما دخل الشهر الحرامُ – فيما ذكر أبو عبيدة عن [أبى] بلال بن سهم – من السنة المقبلة خرج صخر بن عمرو حتى أتى بنى مُرّة ابن عوف بن سعد بن ذُبيان ، فوقف على ابنَىْ حَرملة ، فاذا أحدُهما به طعنةٌ فى عَضُده – قال لم يُسَمِّه أبو بلال بن سهم ، فأما خُفافُ بن عُميرٍ فزعم فى كلمته تلك أن المطعون هاشم – فقال : أيكما قتل أخى معاوية ؟ فسكتا فلم يخبراه[٢] شيئا [قال :] فقال الصحيح للجريح : مالَكَ لا تجيبه ؟ فقال : وقفت له فطعننى هذه الطعنة فى عضُدى وشدَّ أخى عليه فقتله ، فأيُّنا قتلتَ أدركت ثارك إلاَّ أنَّا لم نَسلُبْ أخاك . قال : فما فعلتْ فرسُه الشَّماءُ ؟ قال : هاهى تلك خذها فردَّها عليه فأخذها ورجع ، فلما أتى صخرٌ قومه قالوا له : اهْجُهم قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع ، ولو لم أكفف نفسى [إلا] رغبة عن الخنا لفعلت [وكففتُ] وقال صخر فى ذلك :

وعاذلةٍ هبَّت بلَيْلٍ تلومنى ألا لا تَلُوميني كفى اللَّوْمَ ما بِيا

قال : أراد تباكره باللوم، ولم يرد الليل نفسه ، إنما أراد عجلتَها عليه باللوم كما قال النَّمِرُ بن تَوْلَب العكلىُّ :

* بَكَرَتْ باللوم تَلْحانا *

(١) المسهكة : العاصفة الشديدة والأرواح : الرياح .

(٢) فى مخطوط : فلم يحيرا إليه شيئا . والمعنى واحد .

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم والأضياف والنظرِ فى الحَمالات وأمور قومه لأنه قد رَأسهم : [١]

تقول ألا تَهجو فوارسَ هاشمٍ ... وما لى إذا أهجوهُمُ ثُمَّ ماليا

أَبى الشَّتْمَ أنى قد أصابوا كريمتى ... وأن ليس إهداء الخنا من شِماليا[٢]

[أى من شمائلى ، ويروى : من فعاليا]

إذا ذُكِرِ الإخْوانُ رَقْرَقْتُ عبرةً ... وحيَّيْتُ رَمْسا عِندَ لِيَّةَ ثاويا[٣]

إذا ما امرؤ أهدَى لميْت تحيَّةً ... فحيَّاكَ ربُّ الناس عنى مُعاويا

وَهوَّنَ وجْدى أنَّنى لم أَقلْ له ... كذبْتَ ولم أَبخَلْ عليه بماليا

فنِعم الفتى أدَّى ابنُ صِرْمَة بَزَّه ... إذاالفحلُ أُضْحى أحدبَالظهرعارِيا

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتا بعد أن أوقع بهم فقال :

وذى إخوةٍ قطَّعْتُ أقرانَ بينِهم[٤] ... كما تركونى واحدًا لا أَخا لِيا

قال أبو عبيدة: فلما كان فى العام المقبل غزاهم وهو على فرسه الشماء ، فقال : إنى أخاف أن يعرفونى ويعرفوا غُرَّة الشماء فيتأهَّبوا ، قال : فحممَّمَ غُرَّتَها ، قال : فلما أشرفت على أدنى الحىّ رأوها فقالت فتاة منهم : هذه والله الشماءُ ، فنظروا فقالوا : الشماءُ غَراء وهذه بَهيمٌ ، فلم يُشْعَرَ إلاَّ والخيل دوائس ، فاقتتلوا ، فقَتَلَ صخرٌ دُريدا وأصاب بنى مُرَّة فقال :

ولقد قتلتُكُم ثُناءَ وَمَوْحَدًا ... وتركتُ مُرَّةَ مثل أمسِ المُدْبِرِ

قال الأثرم : مثْنى وثُناء لا ينوَّنان ، قال ابنُ عَنَمَةَ الضَّبِّىُّ :

* يباعون بالبُعرانَ مثْنى وَمَوْحَدًا *

لا ينونان لأنهما مما صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين وكذلك ثُلاث ورُباع ، وقال صخر[٥] :

---

(١) فى مخطوط : لأنه قوامهم .

(٢) فى المطبوع : سماتيا . وهى مثل العقد ٣ : ٧٤ ، وانظر شرح الحماسة ٣ : ١٠٩٣ « لجنة التأليف .

(٣) لية : موضع من نواحى الطائف .

(٤) فى المطبوع : أفراق . وأفراق : جمع فرقة .

(٥) لعلها وقال : آخر .

مَنَتْ لك أن تُلاقِيَنِى المَنايا أُحادَ أُحادَ فى الشهرِ الحلالِ [١]

قال ولا تجاوز العرب الرُّباع غير أن الكميت قال :

فلم يَسْتَرِيثوك حتى رَمَيْـ ـتَ فوق الرِّجالِ خِصالاً عُشارا

• • •

ولقد دفعتُ إلى دُرَيدٍ طعْنةً نجلاءَ تُزْغِلُ مثلَ عطِّ [٢] المَنْحرِ

تُزْغِلُ : تُخرج الدم قطعا قطعا ، قال والزُّغلة : الدفعة الواحدة من الدم والبول قال : [٣]

• فأزْغَلَتْ فى الحلْقِ إزْغالَةً •

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بنى مرَّة :

قتلت الخالِدَيْنِ به وبِشْرًا وعمْرًا يوم حَوْزَةَ وابنَ بِشرِ
ومن شَمْخٍ قتلتُ رجالَ صِدْقٍ ومن بَدْرٍ فقد أوفيتُ نَذْرِى
ومُرَّةُ قد صبحناها المنـايا فروَّيْنا الأسنَّةَ غيرَ فخرِ
ومن أفناءِ ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدٍ قتلتُ وما أُبِيئُهُمُ بِوِتْـرِ [٤]
ولكنا نُريدُ هـلاكَ قومٍ فنقتلهـم ونَشْرِيهم بِكسرِ

وقال صخر أيضا :

ألا لا أرى مُسْتَعتِبَ الدهر مُعتبا ولا آخِذًا منه الرِّضا إن تغضَّبا [٥]
وذى إخوة قطعت أقران [٦] بينهم إذاما النفوسِ صِرْنَ حَسْرَى ولُغَّبا
أقول لرمْسٍ بين أجراعِ بِيشَةٍ سقاك الغوادى الوابِلَ المتحلِّبا [٧]

---

(١) فى المطبوع : الشهر الحرام ، والتصويب من مخطوط ولسان العرب مادة « منى » .

(٢) العط : الشق ، وفى نهاية الأرب ١٥ : ٣٦٧ : مثل غط المنخر ، وكذلك المطبوع والخزانة ٢ : ٤٧٤ ، والعقد ٣ : ٧٣ .

(٣) فى مخطوط : قال جرير ، وفى اللسان : « زغل وشفتر » . قال ابن أحمر ، وذكر القطاة :

فأزغلت فى حلقه زغلة لم تخطئ الجيد ولم تشفتر

(٤) أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

(٥) فى المطبوع : الرضا متعتبا .

(٦) فى المطبوع : أفراق ، والأفراق : جمع فرقة .

(٧) بيشة : موضع . وفى الموضوع : نبشة .

لنعم الفتى أدّى ابنُ صِرْمةَ بَزّه   إذا الفحل أمسى عارِيَ الظهرِ أحدبا

قال أبو عبيدة : ثم إن هاشم بن حرملة خرج غازيا فلما كان ببلاد جُشَمِ ابن بكرِ بن هَوازنَ نزل منزلا ، وأخذ صَفْنَتَه [١] وخلا لحاجته بين شجر ، ورأى غفلتَه قيسُ بنُ الأصْوار الجشمى ، فتبعه وقال : هذا قاتل معاويةَ لا وَألَتْ نفسى إن وَأل [٢] ، فلما قعد على حاجته تقَتّر له بين الشجر ، حتى إذا كان خلفه أرسل إليه مِعْبَلَةً [٣] فقتله ، فقالت الخنساء فى ذلك — قال ابنُ الكلبى ، وهى الخنساء بنت عمرو بن الحارث بنِ الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة ابن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُلَيم :

فِدًى للفارس الجُشَمىِّ نفسى   وأفديه بمَنْ لى من حَمِيمِ
أُفَدّيه بكُلٍّ [٤] بنى سُلَيْمٍ   بظاعنهم وبالأَنَس المقيمِ
كما من هاشمٍ أقررْتَ عينى   وكانت لا تنام ولا تُنِيمُ [٥]

قال أبو عبيدة : وكان هاشم بن حرملة بن صرْمة بن مُرَّة أسودَ العرب وأشدَّهم وله يقول الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حَرْمله   يوم الهَباتَيْنِ ويوم اليَعْمَلَه [٦]
[يَقتُلُ ذا الذَّنْبِ ومن لاذنْبَ لَهْ   إذا الملوكُ حَوْله مُغَرْبلَهْ] [٧]
وسيفه للوالدات مَثْكَلَهْ

حدثنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن الحسن بن الحرون قال : حدثنا الكِسْروى :

---

(١) الصفنة : خريطة الراعى يضع فيها ما يحتاج إليه .
(٢) وأل من الشىء : طلب النجاة منه .
(٣) المعبلة : نصل طويل عريض .
(٤) فى مخطوط : بجل .
(٥) فى هذا البيت إقواء ، وهو اختلاف حركة الروى ما لم تسكن القافية .
(٦) الهباتان واليعملة : موضعان ، وكان فى كل منهما يوم من أيام العرب . وفى اللسان «غربل» يوم الهبادات ويوم اليعملة .
(٧) مغربلة مقتولون مطحونون .

عن الأصمعىّ قال :

مررتُ بأعرابىّ وهو يخضِدُ شجرةً وقد أعجبتْه سماحَتُها وهو يرتجز ويقول :

لو كنتِ إنسانا لكنتِ حاتِما أو الغلامَ الجُشَمِىَّ هاشِما

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أوَلا تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هو الذى يقول :

وعاذِلةٍ هبَّتْ بليلٍ تلُومُنى كأنى إذا أنفقتُ مالى أَضيمُها
دعينى فإنَّ الجُودَ لن يُتْلِفَ الفتى ولن يُخلِدَ النفْسَ اللئيمةَ لُومُها
وتُذْكَرُ أخلاقُ الفتى ، وعظامُه مُفرَّقةٌ فى القبر بادٍ رَميمُها
سلى كلَّ قيسٍ هل أبانى [1] خيارُها ويُعْرِضُ عنى وَغْدُها ولئيمُها
وتذكر قيس منَّتى وتكَرُّمى إذا ذَمَّنى فتيانُها وكريمُها [2]

قلت : لا أعرفه ، قال : لا عرفت ، هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حرمَلَهْ يقتل[؟]إذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له
ترى الملوك حوله مُغَرْبَلَهْ

مضى الحديث

---

(١) فى مخطوط : أبارى خيارها .

(٢) فى المخطوط : وتذكر فتيانيتى وتكرمى إذا ذم فتيانها وكريمها

الأخطل وعبد الرحمن بن حسان

وعبد الرحمن بن الحكم

صوت

تأبَّد الرَّبْعُ مِن سلْمى بأجْفارِ ... وأقفرتْ من سُليمى دِمْنَةُ الدَّارِ
وقد تَحُلُّ بها سلمى تُحَدِّثني ... تساقُطَ الحَلْيِ حاجاتى وأسْرَارِى

الشعر للأخطل ، والغناء لِعُمَرَ الوادى هزج بالسبابة فى مجرى الوسطى ، وفيهما رمل بالبنصر ، ويقال : إنه لابن جامع ، ويقال : إنه لغيره ، وفيهما خفيفُ رملٍ بالوسطى ذكر الهشامىّ أنه لحَكَم ، وذكر حَبَشٌ أن فيهما لإبراهيم خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى .

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة :

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكأس نادمنى ... لا بالحَصُورِ ولا فيها بسَآَّارِ[1]
نازعتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمُولِ وقد ... صاح الدجاجُ وحانت وقعةُ السارى[2]
لما أتوها بمصباحٍ ومِبْزَلِهمْ ... سمَتْ إليهم سُمُوَّ الأبجَلِ الضارِى[3]

الغناء فى هذه الأبيات لابن سريج خفيفُ رملٍ بالبنصر عن الهِشامى ، وذكر غيره أنها للدّلال ، ومنها :

---

(١) الحصور : البخيل الضيق . والسأار مبالغة فى الذى يترك سؤرا أى بقية فى قعر الإناء . وروى : ولا فيها بسوار أى معربد « انظر ديوان الأخطل ١١٦ » واللسان مادة سأر .

(٢) وقعة السارى يريد به غروب النجوم . وروى فى المطبوع : وقفه السارى ، وما أثبتنا عن المخطوط والديوان .

(٣) المبزل : مايصفى به الشراب ، والحديدة التى يفتح بها . والأبجل : عرق غليظ . مختلف فى موضعه فى الجسم .

فَرْدٌ تُغَنِّيه ذِبَّان الرّياض كما غَنَّى الغُواةُ بِصَنْجٍ عند إسْوارِ[١]
كأنه من نَدَى القُرّاص معترض بالورس أو خارجٌ من بيت عطّارِ[٢]

غناه ابن سريج ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمَعْبَد ، وذكر الهِشامىّ أن لمالكٍ فيه ثقيلاً أوّلا ، ووافقه يونس فى نسبته إلى مالك ، والحكم فى قوله :

فرْدٌ تغنيه ذِبّانُ الرياض كما

وبعده قوله :

صهباءُ قد عَنَسَتْ من طول ماحُبِسَتْ فى مخدَعٍ بين جَنّاتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر ، ومنها :

لأَسكَنَتْنِى قُرَيشٌ فى ظِلالِهِمُ وَمَوَّلَتْنِى قُرَيشٌ بعد إقتارِ
قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزِرَهم عن النساء ولو باتتْ بأطهارِ

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يُجَنِّسه ، وهذه القصيدة مدح بها الأخطل يزيد ابن معاوية لما مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار ، وكان يزيد هو الذى أمره بهجائهم ، فقيل : إن السبب فى ذلك كان تشببَ عبدِ الرحمن بنِ حسّان برَمْلَةَ بنتِ معاوية ، وقيل : بل تَحَمِّيَ لعبد الرحمن بن الحَكَم .

أخبرنى الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شَبّةَ قال : حدثنى أبو يحيى الزُّهرى قال : حدثنى ابنُ أبى زُرَيق قال :

شبَّب عبدُ الرحمن بنُ حسان برملة بنتِ معاوية فقال :

رَمْلَ هل تذكرين يوم غزالٍ إذ قطعنا مسيرَنا بالتَّمَنِّى
إذ تقولين عمرَكَ اللهَ هل شىْ ءٌ وإنْ جَلَّ سوف يُسليكَ عَنِّى
أم هلِ اُطمِعتُ منكمُ ياابن حسا نَ كماقد أراكَ أُطْمِعْتَ مِنِّى

قال : فبلغ ذلك يزيدَ بن معاوية فغضب ، فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ألا ترى إلى هذا العِلْجِ من أهل يثربَ يتهكم بأعراضنا ويتشببُ بنسائنا ؟

(١) الإسوار : القائد من الفرس .
(٢) القراص : نبت . وفى الديوان : من ندى القراص مغتسل .

قال : ومن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال ، فقال : يا يزيد ليست العقوبة من أحد أقبح منها من ذوى القُدْرة ، ولكن أمهل حتى يقْدَم وفدُ الأنصار ثم ذكّرنى . قال : فلما قدموا ذكّره به ، فلما دخلوا عليه قال : يا عبد الرحمن ، ألم يبلغنى أنك تُشبِّب برملةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ولو علمتُ أن أحدا أُشرَّف به شعرى أشرَف منها لذكرتُه . قال : وأين أنت عن أختها هند؟ قال : وإن لها لأختا [يقال لها هند ؟] قال : نعم ، قال : وإنما أراد معاويةُ أن يُشبِّب بهما جميعا فيُكذِّب نفسه . قال : فلم يرض يزيدُ ما كان من معاوية فى ذلك أن يشبب بهما جميعا فأرسل إلى كَعْبِ بن جُعَيل فقال : اهجُ الأنصار . فقال : أفرَق من أمير المؤمنين ، ولكن أدلُّك على الشاعر الكافر الماهر ، قال : ومن هو ؟ قال : الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهْجُ الأنصار ، فقال : أفرَق من أمير المؤمنين ، فقال : لا تخف شيئا ، أنا لك بذلك ، قال : فهجاهم فقال :

وإذا نسبتَ ابنَ الفُرَيعَةِ خِلْتَه ... كالجَحْشِ بين حِمارةٍ وحِمارِ
لعنَ الإلهُ من اليهودِ عِصابَةً ... بالجِزْعِ بينَ صُلَيْصِلٍ وصِرارِ[1]
قَوْمٌ إذا هَدَرَ العَصيرُ رأيْتَهُمْ ... حُمْرًا عُيُونُهُمُ مِنِ المُسْطارِ
خَلُّوا المكارم لستُمُ من أهلها ... وخذوا مَساحِيَكُمْ بَنِى النَّجارِ[2]
إن الفوارس يَعْلمون ظُهُورَكم ... أولادَ كُلِّ مُقَبَّحٍ أكّارِ
ذهبتْ قُرَيشٌ بالمكارِمِ والعُلا ... واللُّؤْمُ تحت عمائِمِ الأنصارِ

فبلغ ذلك النُّعمانَ بن بَشيرٍ فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه وقال : يا أمير المؤمنين ، أترى لؤما ؟ قال : لا بل أرى كرما وخيرا ، ما ذاك ؟ قال : زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا ، قال : أوَ فعل ؟ قال : نعم ، قال : لك لسانه ، قال : وكتب فيه أن يُؤْتَى به ، فلما أُتِىَ به سأل الرسول ليُدْخِله إلى يزيد أولاً ، فأدخله عليه فقال : هذا الذى كنتُ أخاف . قال : لا تخفْ شيئا ، ودخل على معاوية

(١) الجزع وصليصل وصرار : أماكن ، وانظر اختلاف رواية صليصل « جلاجل ، حليحل » وكذلك صرار « سحار » الديوان ٣١٤ .

(٢) المساحى جمع مسحاة : وهى حديدة يقشر بها الطين وغيره .

فقال : علام أُرْسِل إلى هذا الرجل وهو يَرْمِى من وراء جَمْرتِنا ؟ قال : هجا الأنصار . قال : ومَنْ زعم ذلك ؟ قال : النُّعمانُ بنُ بَشِير . قال : لا يُقْبل قولُه عليه وهو يَدَّعى لنفسه ولكن تَدْعوه بالبيِّنة، فإن أثْبتَ شيئا آخذته به له ، فدعاه بالبيِّنة فلم يأتِ بها ، فخلى سبيله ، فقال الأخطل :

وإنى غداةَ استعبرتْ أُمُّ مالكٍ ... لراضٍ من السُلطانِ أنْ يتهدَّدَا
ولولا يزيدُ ابنُ الملوكِ وسَعْيُه ... تجلَّلْتُ حِدْباراً من الشرِّ أنكدَا[1]
فكم أنقذَتْنِى من خُطوبٍ حِبالُه ... وخَرْساءَ لويُرْمَى بها الفِيلُ بلَّدَا
ودافع عَنِّى يومَ جِلِّقَ غَمْرَةً ... وهَمًّا يُنَسِّينِى السُّلافَ المُبَرَّدَا[2]
وباتَ نَجِيًّا فى دمشقَ لِحَيَّةٍ ... إذا هَمَّ لم يَنْمِ السَّلِيم فأقْصَدا[3]
يُخافتُهُ طَوْرًا وطورًا إذا رأى ... من الوجْهِ إقبالاً ألَحَّ وأجْهَدَا
وأطفأتَ عَنِّى نارَ نُعْمانَ بعد ما ... أعدَّ[4] لأمْرٍ فاجرٍ وتجرَّدا
ولمَّا رأى النعمان دُونى ابنَ حُرَّةٍ ... طوى الكَشْحَ إذلم يَستطعْنى وعَرَّدا[5]

حدثنا محمد بن العباس اليَزيدى قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدثنا المدائنى ، عن أبى عبد الرحمن بن المبارك قال :

شبَّب عبدُ الرحمن بن حسان بأُخت معاوية ، فغضب يزيد فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين اقتُل عبدَ الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شبَّب بعمَّتى . قال : وما قال ؟ قال : قال :

طال لَيْلِى وبتُّ كالمَحْزُونِ ... وَمَلِلْتُ الثَّوَاء فى جَيْرُونِ[6]

قال معاوية : يا بنى وما علينا من طول ليلِه وحُزنه أبعده الله ؟ قال : إنه يقول :

فلذاك اغتَربْتُ بالشَّام حتَّى ... ظنَّ أهلى مُرَجَّماتِ الظُّنُونِ

قال : يا بنى ، وما علينا من ظَنِّ أهله ؟ قال : إنه يقول :

---

(١) الحدبار : الناقة الذاهبة السنام العارية العظام . وفى الديوان : ولولا يزيد ابن الملوك وسيبه .
(٢) جلق : موضع .
(٣) لم ينم : لم ينج . والسليم : الملدوغ ، سمى على التفاؤل . وأقصد : لدغ فقتل .
(٤) فى الديوان : أغذ . والإغذاذ : سرعة السير .
(٥) طوى الكشح : قطع وأعرض . وفى شرح الديوان للسكرى : أضمر العداوة ولم ينطق . وعرد : هرب .
(٦) انظر القصيدة فى اللسان ٥ : ٣٢٤ « خصر » وقال : والصحيح أنها لأبى دهبل .

هى زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّا ص ميزَتْ من جوهرٍ مكنونِ

قال : صدق يا بنى ، قال : إنه يقول :

وإذا ما نسبتَها لم تجِدْها فى سناءٍ من المكارمِ دُونِ

قال : صدق يابنى [هى] هكذا . قال : إنه يقول :

ثم خاصرتُها إلى القبةِ الخضـ راءِ تمشى فى مرمرٍ مسنونِ

خاصرتها : أخذتُ بخصرِها وأخذتْ بخصْرى .

قال : ولا كلُّ هذا يا بنى ، ثم ضحك وقال : أنشِدنى ما قال أيضا . فأنشده قوله :

قبَّةٍ من مراجلٍ نصبُوها عند حدّ الشتاءِ فى قيطُونِ

عن يسارى إذا دخلت من البا بِ وإن كنت خارجا فيمينى

تجعل النَّدّ والألُوَّة والعُو د صلاءً لها على الكانون [١]

وقِباب قد أُشرجتْ وبيوت نُطِّقتْ بالريحان والزَّرجون [٢]

قال : يابنى ليس يجب القتل فى هذا ، والعقوبةُ دون القتل ، ولكنّا نكفُّه بالصلة والتجاوز .

نسبة ما فى هذه الأبيات من الغناء

صوت[٣]

هى زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّا صِ ميزتْ من جوهرٍ مكنونِ

وإذا ما نسبتَها لم تجِدْها فى سناءٍ من المكارمِ دُونِ

نسخت من كتاب ابن النطّاح ، وذكر الهيثم بن عدىّ عن ابن دأْبٍ قال : حدثنا شُعيب بن صفوان .

(١) الألوة : الذى يتبخر به .

(٢) القباب جمع قبة . وأشرجت : شدت ودوخل بين عراها . ونطقت : شد وسطها بالنطاق وفى الأصول : وقباء ، والقباء ثوب ، والمعنى لما أثبتنا .

(٣) يلاحظ أنه لم يذكر مافيهما من الغناء ولعله سقط من الأصول .

أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يُشَبِّب بابنةِ معاوية ويَذكرها في شعره ، فقال الناس لمعاوية : لوجعلته نكالا ، فقال : لا ، ولكنْ أُداويه بغير ذلك ، فلما وفد عليه [١] ، وكان يدخل في أُخريات الناس أجلسه على سريره معه ، وأقبل عليه بوجهه وحديثه ، ثم قال : إن ابنتي الأخرى عاتبة عليك . قال : في أي شيء ؟ قال في مِدْحَتِك أخْتَها وتركِكَ إياها . قال : فلها العتبي وكرامةً ، أنا ذاكرُها وممتدِحُها ، فلما فعل وبلغ الناس قالوا : قد كنا نرى أنَّ تَشبُّب [ابن] حسان بابنة معاوية لشيء فإذا هو على رأى معاوية وأمرِه ، وعلم من كان يعرف أنه ليس له بنت أخرى أنه إنما خدعه ليشبِّبَ بها ولا أصل لها فتَعلَمَ الناسُ أنه كذب على الأُولى لمَّا ذكر الثانية .

وقد قيل في حمل يزيد بن معاوية َ الأخطلَ على هجاء الأنصار : إنه فعل ذلك تعصُّبا لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أُمية أخي مروان بنِ الحكم في مهاجاته عبد الرحمن ، وغَضَباً له لمَّا استعلاهُ ابنُ حسَّان في الهجاء .

---

(١) في مخطوط بدل هذه الجملة ما يأتي : فأذن له .

ذكر خبرهما فى التهاجى والسبب فى ذلك

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو سعيد السكرىّ قال : حدثنا أبو غسّان دِماذٌ ، عن أبى عبيدة قال : أخبرنى أبو الخطّابِ الأنصارىُّ قال :

كان عبد الرحمن بن حسان خليلا لعبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصى مخالطا له ، فقيل له : إن ابنَ حسان يَخْلُفك فى أهلك ، فراسل امرأةَ ابنِ حسان ، فأخبرت بذلك زوجَها وقالت : أرسلَ إلىَّ : إنى أُحبكِ حُبًّا أراه قاتلى ، فأرسل ابن حسان إلى امرأة ابنِ الحكم وكانت تواصله ، وقال للرسول : اذهب إليها وقل لها : إن امرأتى تزُور أهلها اليومَ فزورينى حتى نخلو ، فزارته ، فقعد معها ساعة ثم قال لها : قد واللهِ جاءت امرأتى ، فأدخلها بيتا إلى جنبه وأمر امرأته فأرسلت إلى عبد الرحمن بن الحكم : إنك ذكرت حبَّك إياى ، وقد وقع ذلك فى قلبى ، وإن ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهلمَّ ؛ فتهيأً ثم أقبل ، فإنه لقاعد معها إذ قالت له : لقد جاء ابنُ حسان فادخلْ هذا البيت فإنه لايَشْعُر بك ، فأدخلته البيت الذى فيه امرأته ، فلما رآها أيقن بالسَّوْأَة ، ووقع الشر بينهما ، وهجا كلُّ واحد منهما صاحبَه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبى الخطاب الأنصارى .

وأما قريش فإنهم يزعمون أن امرأة ابن حسان كانت تحب عبد الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبى ذلك حفظا لما بينه وبين زوجها ، وبلغ ذلك ابنَ حسان فراسل امرأةَ ابن الحكم حتى فضَحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكمِ ، وقيل له : إنك إذا أتيت ضيعتك أرسلتْ إلى ابن حسان فكان معها ، فأمر ابنُ الحكم أهلَه فقال : عالجوا [لى] سُفْرة حتى أُطالع مالى بمكان كذا وكذا ، فخرج وبعث

امرأته إلى ابن حسان فجاء كما [كان] يفعل ، ورجع ابنُ الحكم حين ظنّ أن ابن حسّان قد صار عندها ، فاستفتح ، فقالت : ابنُ الحكم والله ، وخبأته خلفها فى بيت ، ودخل عبد الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان : إنه قد وقعت لك فى قلبى مِقَةٌ فأقبِلى إلىّ الساعة ، فتهيأت وأقبلتْ حتى دخلت عليه ، فوضعت ثيابها وزوجها ينظر ، فقال لها : قد كنتِ أكثرت الإرسالَ إلىّ فما شأنك ؟ قالت : إنى والله هالكة من حبك ، قال : وزوجها يسمع ، وإنما أر د أن يُعْلِمه أنها قد كانت ترسل إليه ويأبى عليها — وزعم أنها هى التى قالت لابن الحكم : إن ابن حسان يخلفك فى أهلك — فلما فرغ من كلامه وأسمعه زوجَها قال لها : قدجاءت امرأتى ، وأدخلها البيت الذى فيه ابنُ حسان ، فلما جمعهما فى مكان واحد خرج عنهما ، فخرجا وطلّق امرأته .

أخبرنى ابنُ دريد قال : أخبرنا الرّياشيُّ قال : حدثنا ابنُ بُكَيْر عن هشام ابن الكلبى ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

رأيت مروان بن الحكم يطوف بالبيت ويقول : اللهم أذْهِبْ عنى الشّعر وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهم إنى أسألك ما استعاذ منه . فذهب الشعر عن مروان وقاله عبد الرحمن .

وأما هشام بن الكلبى فإنه حدّث عن خالد وإسحاق ابنىْ سعيد بن العاصى : أن سبب التهاجى بينهما [كان] أنهما خرجا إلى الصيد بأكْلُبٍ لهما فى إمارة مروان ، فقال ابنُ الحكم لابن حسان :

ازجُرْ كلابَك إنّها قَلَطيّةٌ ... بُقْعٌ ومثلُ كلابِكُم لم تصطَدِ [1]

فرد عليه ابن حسان :

من كان يأكل من فريسة صيده ... فالتّمْر يُغْنينا عن المُتَصيَّدِ
إنّا أُناس رَيّقون [2] وإنّكُمْ ... ككلابكم فى الولْغِ والمُتزَرَّدِ
حُزْناكُمُ للضّبّ تحترِشُونه ... والرِّيفُ يمنعكم بكلّ مُهنّدِ

(١) القلطية : القصيرة جدا .

(٢) الريق من كل شيء : أفضله .

[قال] : ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان ، فقال عبد الرحمن بن الحكم [فى قصيدة] :

ومثل أُمِّكَ أمَّ العبد قد ضُرِبَتْ عندى ولى بِفنائى مِزْهَرٌ حَرِمُ
وأنت عند ذُناباها تُعاوِنُها على القُدُورِ تحسّى خاثِرَ البُرَمِ

فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها :

يا أيها الراكبُ المُزْجِي مَطيتَّه إذا عرضْتَ فسائِلْ عن بنى الحكَمِ
القائلِين إذا لاقَوْا عَدُوَّهُمُ فِرُّوا فكرُّوا على النِّسوان والنَّعمِ
كم من أمينٍ نَصيحِ الجيبِ قال لكمْ ألاَ نهيتمْ أخاكمْ يا بنى الحَكَمِ
عن رَجُلٍ لا بَغيضٍ فى عشيرتهِ ولا ذليلٍ قصيرِ الباع مُعْتَصِمِ

وقال ابن حسان :

صار الذليلُ عزيزًا ، والعزيزُ به ذُلٌّ وصار فُرُوع الناس أذنابا
إنى لمُلْتَمِسٌ حتى يبين لكُمْ فيكم متى كنتُمُ للناس أربابا
فارْقوْا [على] ظلعكُم ثم انظروا وسَلُوا عنَّا وعنكمْ قديمَ العلم نسَّابا
فكيف يضحك أو تعتاده ذِكَرٌ يا بؤس للدهر للإنسان رَيَّابا

ولهما نقائض كثيرة لا معنى لذكر جميعها هاهنا .

قال دِماذ : وحدثنى أبو عبيدة . عن أبى الخطاب قال :

لما كثُر التَّهاجى بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذ — وهو الخليفة — إلى سعيد بن العاص وهو عامله على المدينة أن يجلد كلَّ واحد منهما مائة سوطٍ ، قال : وكان ابن حسان صديقا لسعيد وما مدح أحدا قطّ غيره ، فكره أن يضربَه أو يضربَ ابن عمِّه فأمسك عنهما ، ثم ولى مروانُ ، فلما قدم أخذ ابنَ حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسان إلى النُّعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيرا مكينا عند معاوية :

ليت شعرى أغائبٌ ليس بالشا م خليلى أم راقدٌ نُعْمانُ
أيَّةٌ ما يَكُنْ فقد يرجع الغا ئبُ يوما ويُوقظُ الوَسْنانُ

إنَّ عَمْرًا وعامرا أبوَيْنـا وَحرَاما قِدْمًا على العهد كانوا

أنَّهم مانعوكَ أم قِلَّةُ الكُتْـ ـابِ أمَ امرئ به عليك هَوَانُ

يوم أُنبِئْتَ أنَّ ساقَ رُضَّتْ وأتاكمْ بذلك الرُّكبانُ

ثم قالوا إنَّ ابنَ عمِّك يَلْوِى من أُمورٍ أتى بها الحدَثانُ[١]

فتَنِطُّ الأرحامُ والودّ والصحـ ـبةُ فيما أتى به الحدثانُ[٢]

إنما الرمحُ فاعلمَنَّ قناةٌ أو كبعض العِيدانِ لولا السِّنانُ

وهى قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك أمرت سعيدا أن يضرب ابنَ حسان وابنَ الحكم مائة مائة ، فلم يفعل ، ثم ولَّيت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه . قال : فتريد ما ذا ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ماكتبت إلى سعيد ، فكتب معاوية يَعْزِم عليه أن يضرب أخاه مائة ، وبعث إلى ابن حسان بحُلَّة ، فلما قدم الكتاب على مروان بعث إلى ابن حسان إنى مُخَرِّجك[٣] ، وإنما أنا مثلُ والدك ، وما كان ما كان منى إليك إلاَّ على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه فقال ابن حسان : ما بدا له فى هذا إلاّ لشىء قد جاءه ، وأبى أن يقبل منه ، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجَّه إليه بالحُلَّة ، فرمى بها فى الحُشّ[٤] فقيل له : حُلَّة أمير المؤمنين وتَرمى بها فى الحش؟ قال : نعم ، وما أصنع بها؟ وجاءه قومه فأخبروه الخبر ، فقال : قد علمتُ أنه لم يفعل ما فعل إلا لأمر قد حدث ، فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يعفو فهلُمَّ أخاكَ ، فبعث مروان إلى الأنصار ، وطلب إليهم أن يطلبوا إليه أن يضربه خمسين فإنه ضعيف ، فطلبوا إليه فأجابهم ، فأخرجه فضربه خمسين ، فلقِى ابنَ حسان بعضُ من كان لايهوى ما ترك من ذلك، فقال له : أضرَبَكَ مائةً ويضربه خمسين ، بئس ما صنعتَ إذ وهبتَها له ، قال : إنه عبد وإنما ضربه ما يُضْرَبُ

(١) فى مخطوط : . . . . . « إن ابن عمك فى بلـــــوى أمور أتى » .

(٢) تنط : تصوت .

(٣) مخرجك : مؤدبك ومعلمك .

(٤) يطلق الحش على معان : منها البستان والنخل المجتمع ، ويكنى به عن موضع قضاء الحاجة وهو المراد هنا .

العبدُ نصفَ ما يُضْرب الحرّ ، فحمِل هذا الكلام حتى شاع بالمدينة ، وبلغ ابنَ الحكم فشقّ عليه فأتى أخاه مروان [فخبره الخبر وقال : فضحتنى ، لا حاجة لى فيما تركت . فبعث مروان إلى ابن] حسان ، فقال له : لا حاجة لنا فيما تركت ، فهلُمّ فاقتصّ ، فضرب ابن الحكم خمسين أخرى ، فقال عبد الرحمن يهجو ابنَ الحكمَ :

دعْ ذا وَعدّ قريضَ شِعركَ فى امرئٍ ... يَهْذِى ويُنشد شِعرَه كالفاخِرِ
عثمانُ عمُّكُمُ ولستْ مِثْلَه ... وبنو أميّةَ منكمُ كالآمرِ
وبنو أبيه سخيفةٌ أحلامُهم ... فُحْش النفوسِ لدى الجليس الزائر
أحياؤُهمْ عارٌ على أمواتِهمْ ... والميّتون مسبّةٌ للغابرِ
همْ ينظرون إذا مددْتَ إليهمُ ... نَظرَ التُّيُوسِ إلى شِفارِ الجازرِ
خُزْرَ العيونِ مُنكّسى أذقانِهم ... نَظرَ الذليلِ إلى العزيز القاهرِ

فقال ابن الحكم :

لقد أبقى بنو مروان خِزْيا ... مُبينا عارُه لبنى سَوادِ
أطاف به صَبيحٌ فى مَشِيدٍ ... ونادى دعوةً يا بَنِى سُعادِ
لقد أسمعْتَ لو ناديت حيّاً ... ولكنْ لا حياة لمن تُنادِى

قال أبو عبيدة فاعْتَنّ [1] أبو واسع أحدُ بنى الأسعر من بنى أسد بن خُزيمة لابنِ حسان دونَ ابن الحكم فهجاه وعيّره ضربَ ابن المُعطّلِ أباه حسان على رأسه وعيّرهم أكْلَ الخُصَى فقال :

إن ابن المعطّلِ من سُلَيمٍ ... أذلّ قيادَ رأسِك بالخِطامِ
عمدْتَ إلى الخُصَى فأكلْتَ منها ... لقد أخطأتَ فاكهةَ الطّعامِ
وما للجارِ حينَ يحُلُّ فيكمْ ... لديكمْ يابنى النّجّار حامِ
يظلّ الجار مفترشا يديه ... [مخافتكُمْ لدى مَلْثِ الظلام] [2]
[وينظر نظرةً فى مِذْرَويه ... وأخرى فى استِه والطّرْفُ سامِ [3]

(١) اعتن : اعترض .
(٢) ملث الظلام : أول سواده وحين اختلط ولم يشتد الظلام جدا .
(٣) المذروان : طرفا الأليتين . ومن الرأس : ناحيتاه .

قال : فلما عمّ بنى النجار بالهجاء ولاذنب لهم دعوا الله عز وجل عليه ، فخرج من المدينة يريد أهله فعرض له الأسد فقَضْقَضه فقال ابنُ حسان فى ذلك :

أبلغ بنى الأسْعر إن جِئْتَهم ... ما بالُ أبناءِ بنى واسعِ
واللّيثُ يعلُوهُ بأنيابه ... مُعْتَفِرًا فى دمه الناقعِ
إذْ ترَكُوه وهْوَ يَدْعُوهمُ ... بالنَّسَبِ الدّانى وبالشّاسِعِ
لا يرفع الرحمنُ مَصْرُوعَكُمْ ... ولا يُوَهِّى قوّةَ الصارِعِ

فقالت له امرأته : مادعا أحدٌ قبلك للأسد بخير قطّ . قال : ولا نصر أحدًا كما نصرنى ؟ .

وقال ابن الكلبىّ : كان الأخطلُ ومِسكينٌ الدّارِمىُّ صديقَين لابن الحكم ، فاستعان بهما على ابن حسان ، فهجاه الأخطل ، وقال له مسكينٌ : ماكنت لأهجوَ أحدًا أو أُعْذِرَ [1] إليه ، فكتب إليه مسكين بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة فقال فى أولها :

ألا إن الشباب ثيابُ لُبْسٍ ... وما الأموالُ إلاّ كالظِّلالِ
فإنْ يَبْلَ الشبابُ فكلُّ شىء ... سمعتَ به سوى الرحمنِ بالِ

وهى طويلة جدا يفخر فيها بمآثر بنى تميم ، فأجابه ابن حسان فقال :

أتانى عنك يا مسكين قولٌ ... بذلْتَ النَّصْفَ فيه غيرَ آلِ [2]
دعوتَ إلى التناضل غيرَ قَحْمٍ ... ولا غُمْرٍ يَطيرُ لدى النِّضال [3]

وهى أطول من قصيدة مسكين ، ثم انقطع التناضل بينهما .

قال دِماذ : فحدثنى أبو عبيدة قال : حدثنى أبو حَيّة النُّمَيرىُّ قال : حدثنى الفرزدق قال : كنا فى ضيافة معاوية ومعنا كَعْبُ بن جُعيل التغلبىُّ فحدثنى أن يزيد بن معاوية قال له : إنّ ابنَ حسان قد فضح عبدَ الرحمن بنَ الحكم وغلبه وفضحنا فاهْجُ الأنصار ، قال : فقلت له : أرادّى أنت فى الشِّرك ؟

(١) أعذر إليه : أجعله موضع عذر . وفى المطبوع : وأعتذر إليه .
(٢) النصف : الإنصاف . وغير آلى : غير مقصر .
(٣) القحم : الهرم المهزول ، والغمر : الجاهل ، ومن لم يجرب الأمور .

أأهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وآووه ؟ ولكنى أدلُّك على غلام منا نصرانىّ لا يُبالى أن يهجوهم كأن لسانه لسانُ ثَوْرٍ ، قال : من هو؟ قلتُ : الأخطل ، فدعاه وأمره بهجائهم ، فقال : على أن تمنعنى ، قال : نعم :

قال أبو عبيدة : إن معاوية دسَّ إلى كعب وأمره بهجائهم فدلَّه على الأخطل فقال الأخطل قصيدته التى هجا فيها الأنصار ، وقد مضت ومضى خبرُها وخبرُ النعمان بن بشير ، وزاد أبو عبيدة عمن روينا ذلك عنه أن النعمان بن بشير ردَّ على الأخطل فقال :

أبلغ قبائلَ تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ ... مَنْ بالفراتِ وجانبِ الثَّرْثارِ[1]
فاللؤم بين أنوفِ تَغلِبَ بَيِّنٌ ... كالرَّقْمِ فوق ذراعِ كلِّ حمارِ

قال : فخافه الأخطل أن يهجوه فقال فيه :

عذرتُ بنى الفُرَيعَةِ أنْ هَجَوْنى ... فما بالى وبالُ بنى بَشِيرِ
أُفَيْحِجُ من بنى النجار شَثْنٌ ... شديدُ القُصْرَيَيْنِ من السُّحورِ[2]

ولم يزد على هذين البيتين شيئا فى ذكره[3] .

قال أبو عبيدة فى خبره أيضا : إن الأنصار لما استعدَوْا عليهم معاوية قال لهم : لكم لسانه إلاّ أن يكون ابنى يزيدُ قد أجاره . ودسَّ إلى يزيدَ من وقته : إنى قد قلتُ للقوم كيتَ وكيتَ فأجِرْه ، فأجارهُ فقال يزيد بن معاوية فى إجارته إياه :

دعا الأخطلُ الملهوف بالشرّ دعوةً ... فأىَّ مجيبٍ كنتُ لمَّا دعانيا
ففرَّج عنه مَشهدَ القومِ مَشهدى ... وألسِنَةَ الواشين عنه لسانيا

(١) الثرثار : واد عظيم اختص بأكثره بنو تغلب « انظر معجم البلدان » .

(٢) الأفيحج تصغير الأفحج وهو المتدانى صدور القدمين المتباعد العقبين . والشثن : الغليظ الخشن والقصريان : ضلعان يليان الترقوتين . والسحور جمع سحر وهو الرئة ، وفسرت السحور فى ديوان الأخطل بما يتسحر به .

(٣) هى فى ديوان الأخطل ص ٣١٣ أربعة أبيات لابيتان .

صوت

كان لى ياسُقَيْرُ حبُّكَ حيْنا[1] كاد يقضى علىَّ لمَّا التقيْنا
يعلم الله أنكم لو نأيتُمْ أو قَرُبْتمْ أحبُّ شىءٍ إليْنا

الشعر لعمرَ بن أبي ربيعة ، والغناء لَحبابة جارية يزيد بنِ عبد الملك بن مروان ، ولحنها ثانى ثقيل بالوسطى وجعلت مكان ياسُقَير يايزيد ، وفى هذا الشعر للهُذلىّ خفيف ثقيلٍ أول مطلق بالوسطى ، وزعم عمرو بن بانةَ أنه للأبْجر ، وقال الهِشامىُّ : لحن الأبجر ثقيلٌ أول بالبنصر ، وفيه للدارِمىّ وابن فَرُّوج خفيف ثقيل ، ولحن الدارمىّ فيهما مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

---

(١) الحين : الهلاك والمحنة . وفى مخطوط شقير . والديوان كالمطبوع .

أخبار حبابة

كانت حَبابةُ مولَّدةً من مولَّدات المدينة ، لرجل من أهلها يُعرف بابن رُمَّانة ١ ، وقيل ابنُ مِينا وهو خرَّجها وأدَّبها ، وقيل : بل كانت لآل لاحِقٍ المكيِّين ، وكانت حلوةً جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء طيِّبةَ الصوت ضاربةً بالعود ، وأخذت الغناء عن ابن سُريج وابن مُحْرِز ومالك ومَعْبَد وعن جَمِيلةَ وعزَّةَ المَيْلاءِ ، وكانت تسمى العالِيةَ فسمَّاها يزيد لمَّا اشتراها حَبابةَ ، وقيل : إنها كانت لرجل يعرف بابن مينا .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : حدثنى حاتم بن قَبيصة قال :

كانت حَبابةُ لرجل يدعى ابنَ مِينا فأُدخلت على يزيد بنِ عبد الملك فى إزار له ذَنبانِ وبيدها دُفٌّ ترمى به وتتلقَّاه وتتغنى :

ما أحسنَ الجِيدَ من مُليكةَ واللَّـ ـبَّاتِ إذ زانها ترائبُها
يا ليتنى ليلةً إذا هجع النـ ـاس ونام الكلابُ صاحبُها
فى ليلة لا يُرى بها أحدٌ يسعى علينا إلا كواكبُها

ثم خرج بها مولاها إلى إفْريقيَّة ، فلما كان بعد ما ولى يزيد اشتراها .

وروى حمادٌ ، عن أبيه ، عن المدائنى ، عن جرير المدينى ، ورواه الزبير ابن بكار :

عن إسماعيلَ بن أبى أُويس ، عن أبيه قال : قال لى يزيد بن عبد الملك : ماتقرُّ عينى بما أُوتيت من الخلافة حتى أشترى سَلامةَ جاريةَ مُصعب بن سُهيل الزُّهرى وحَبابةَ جاريةَ لاحِقٍ المكيَّة ، فأرسل فاشْتُريتا له ، فلما اجتمعتا عنده قال : أنا الآنَ كما قال القائل :

(١) فى نهاية الأرب ٥/٥٨ : دبابة .

فألْقتْ عصاها واستقرّتْ بها النوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

قال إسحاق : وحدثني أبو أيوب بن عبَاية قال :

كانت حبابةُ لآل رُمَّانة ومنهم ابتِيعتْ ليزيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثني الزبير بن بكار قال : أخبرني محمد بن سلمة عن ابن مافنَّة :

عن شيخٍ من أهل ذي خُشُبٍ [1] قال : خرجنا نُريد ذا خُشُبٍ ونحن مشاة فإذا قُبَّة فيها جارية وإذا هي تغني :

سلكوا بطنَ مَحِيصٍ ثم وَلَّوْا راجعينا[2]
أوْرثوني حين ولَّوْا طولَ حُزْنٍ وأنينا

قال : فسرنا حتى أتينا ذا خشب فخرج رجل معها فسألناه ، وإذا هي حبابةُ جاريةُ يزيدَ ، فلما صارت إلى يزيدَ أخبرتْه بنا ، فكتب إلى والِى المدينةِ أن يُعطِيَ كلَّ واحد منا ألفَ درهم ألف درهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني إسحاق ، عن المدائني ، وروى هذا الخبَر حماد بن إسحاق عن أبيه عن المدائني وخبره أتمّ .

أن حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالى بالمدينة ، فقدم يزيد ابن عبد الملك في خلافة سليمان ، فتزوج سَعْدَة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان [بن عِفان] على عشرين ألف دينار ، ورُبَيْحة بنتَ محمدِ بن على بن عبد الله ابن جعفر على مثل ذلك ، واشترى العالية بألف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرَنَّ عليه ، فبلغ يزيدَ قولُ سليمانَ فاستقال مولى حَبابة ، ثم اشتراها بعد ذلك رجلٌ من أهل إفريقيَّة ، فلما ولى يزيد اشترتْها سَعْدة امرأتُه وعلمتْ أنه لا بدَّ طالبها ومُشتريها ، فلما حصلتْ عندها قالت له : هل بقِى عليك من الدنيا شيء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية ، فقالت[3] : هذه هي ، وهي لك ، فسماها

(١) ذو خشب : واد كان قديما على مسيرة ليلة من المدينة . انظر معجم البلدان « خشب » .

(٢) محيص : موضع بالمدينة .

(٣) في نهاية الأرب : قالت أو رأيتها ؟ قال نعم ، قالت أتعرفها ؟ قال نعم ، فرفعت الستر فرآها فقالت هذه هي ؟ قال نعم ، قالت هي لك وخرجت عنهما .

حَبابة ، وعظُم قدر سَعْدَةَ عنده ، ويقال : إنها أخذت عليها قبل أن تهبها له أن تُوطِّىء لابنها عنده فى ولاية العهد ، وتحضرها ما تحب ، وقيل : إن أمّ الحجاج أمّ الوليد بن يزيدَ هى التى ابتاعتها له وأخذت عليها ذلك فوفت لها بذلك هكذا ذكر الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن على ، عن هارون بن محمد ، عنه عن عمه ، قال : ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ .

قال المدائنى : ثم خطب يزيد إلى أخيها خالدٍ بنتَ أخ له فقال : أما يكفيه أن سعدة عنده حتى يخطب إلىّ بناتِ أخى ؟ وبلغ يزيد فغضب ، فقدم عليه خالد يسترضيه ، فبينا هو فى فُسْطاطه إذ أتته جارية لحبابة فى خدمها فقالت له : أمّ داودَ تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلمت أمير المؤمنين فرضى عنك ، فالتفت فقال : من أمّ داود ؟ فأخبره من معها أنها حبابة ، وذكر له قدرها ومكانها من يزيد ، فرفع رأسه إلى الجارية فقال : قولى لها : إن الرضا عنى بسببٍ لستِ به ، فشكت ذلك إلى يزيد فغضب وأرسل إلى خالد ، فلم يعلم بشىء حتى أتاه رسول حبابة فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فسطاطه،وقلعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى أصحابه ، فقال : ويلكم ، ما هذا ؟ قالوا: رُسُل حبابة ، هذا ما صنعْتَ بنفسك ، فقال : ما لها أخزاها الله ما أشبه رضاها بغضبها :

قال إسحاق : وحدثنى محمد بن سلام ، عن يونس بن حبيب :

أن يزيد بن عبد الملك اشترى حبابة — وكان اسمها العالية — بأربعةِ آلاف دينار ، فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها :

ظعن الأميرُ بأحسن الخلْقِ ... وغدَوْا بلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
مرّت على قرنٍ يُقاد بها ... تعدو أمام براذِنٍ زُرْقِ
فظَلِلْتُ كالمقمورِ مُهجتُهُ ... هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
يا ظبيةً عَبِقَ العبير بها ... عَبَق الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

وغنّت حبابةُ فى الشعر وبلغ يزيدَ فسألها عنه فأخبرته فقال لها : غنينى به ، فغنته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : لعمرى إنه من جيِّد غنائها .

قال أبو الفرج الأصبهانى : هذا غلط ممن رواه فى أبيات الحارث بن خالد

لأنه قالها فى عائشة بنتِ طلحة لمّا تزوجها مُصْعَبُ بن الزُّبير وخرج بها ، وفى أبياته يقول :

فى البيت ذى الحسب الرفيع ومِنْ أَهْلِ التُّقَى والبرّ والصِّدْقِ

وقد شرح ذلك فى أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرنى الزُّبيرىّ أن يزيد اشتراها وهو أمير فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها :

قد سُلّ جسمى وقد أودى به سقمٌ [١] من أجل حىّ جلَوْا عن بلدة الحَرَمِ
يَحِنُّ قلبى إليها حين أذكرها وما تذكّرتُ شوقا آبَ من أمَمِ
إلا حنينا إليها إنها رَشأٌ كالشمس رُؤْدٌ ثقالٌ سهلة الشّيَمِ [٢]
فضّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلقتْ على النساء من اهل الحزْمِ والكرَمِ

وقال فيها الشعراء فأكثروا وغنّى فى أشعارهم المغنون من أهل مكة والمدينة ، وبلغ ذلك يزيد فاستشنعه فقال : هذا قبلَ رِحلتنا وقد هممنا ، فكيف لو ارتحلنا وتذكر القوم شدة الفراق ؟ وبلغه أيضا أن سليمان قد تكلم فى ذلك فردها ولم تزل فى قلبه حتى ملك فاشترتها سَعدةُ امرأته العُثمانية ووهبتها له .

أخبرنى ابن عمّار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى إسحاق قال : حدثنى أبو ذُفافةَ المِنهالُ بنُ عبد الملك ، عن مرْوان بن بِشر بن أبى سارَةَ مولى الوليدِ بن يزيد قال :

أول ما ارتفعت به منزلهُ حبابة عند يزيد أنه أقبل يوما إلى البيت الذى هى فيه ، فقام من وراء السِّتر ، فسمعها تترنم وتغنى وتقول :

كان لى يا يزيدُ حُبُّكَ حيْنا كاد يقضى علىّ لمّا التقينا

والشعر كان : يا سُقَير ، فرفع الستر فوجدها مضطجعة مُقبلة على الجدار ، فعلم أنها لم تعلم به ولم يكن ذاك لمكانه ، فألقى نفسه عليها وحرّكت منه .

قال المدائنى : غلبت حَبابةُ على يزيدَ وتبنّى [٣] بها عُمرُ بن هبيرة فعلتْ منزلته

---

(١) لئلها مصرعة ، وروايتها : سقمى .
(٢) الرؤد : الشابة الحسنة .
(٣) تبنى من معانيها : صار كالبيت المبنى ، ويراد هنا أنه اعتمد عليها وتقوى بها .

حتى كان يدخل على يزيد فى أى وقت شاء ، وحسد ناسٌ من بنى أميّةَ مَسْلمةَ ابنَ عبد الملك على ولايته ، وقدحوا فيه عند يزيد وقالوا : إن مَسلمةَ إن اقتُطِع الخراج لم يحسن يا أمير المؤمنين أن يعيّنه[١] وأن يستكشف عن شيء لسِنّه وخفّته ، وقد علمت أن أمير المؤمنين لم يُدْخل أحداً من أهل بيته فى الخراج ، فوقر ذلك فى قلب يزيد وعزم على عزله ، وعمل ابنُ هبيرة فى ولاية العراق مِنْ قِبَلِ حَبابة ، فعملت فى ذلك ، وكان بين ابنِ هُبيرة وبين القَعْقاع بن خالد عداوةٌ ، وكانا يتنازعان ويتحاسدان ، فقيل للقعقاع : لقد نزل ابنُ هبيرة من أمير المؤمنين منزلة ، إنه لَصاحب العراق غداً ، فقال : ومَن يُطيق ابنَ هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار ، مع أنه وإن بلغ فإنه رجل من بنى سُكَين ، فلم تزل حبابة تعمل له فى العراق حتى وليها .

حدثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىُّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدث بهذا الحديث فحفظته ولم أحفظ إسناده ، وحدثنا محمد ابن خلفٍ وكيعٌ قال : حدثنى أحمد بن زُهير قال : حدثنا مصعبٌ الزُّبيرىُّ ، عن مصعبِ بن عثمانَ ، وقد جمعت روايتيهما قالا :

أراد يزيد بن عبد الملك أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أرْجَى لربه جلّ وعزّ منى ؟ فشق ذلك على حبابة ، فأرسلت إلى الأحوص . هكذا فى رواية وكيع ؛ وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن مسلمة أقبل على يزيد يلومه فى الإلحاح على الغناء والشُّرب وقال له : إنك وليتَ بعقِب عمرَ بنِ عبد العزيز وعدْلِه ، وقد تشاغلت بهذه الأمةِ عن النظر فى الأمور ، والوفودُ ببابك ، وأصحاب الظُّلامات يصيحون ، وأنت غافل عنهم ، فقال : صدقت والله وأعْتَبَهُ ، وهمَّ بترك الشرب ، ولم يدخل على حبابة أياما ، فدسّتْ حبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتاً فى ذلك ، وقالت له : إن رددْته عن رأيه فلك ألفُ دينار ، فدخل الأحوص إلى يزيد فاستأذنه فى الإنشاء فأذن له ، قال إسحاق فى خبره : فقال الأحوص :

---

(١) فى الأصول : يعيشه . ولا وجه له .

صوت

ألاَ لا تَلُمْه اليوم أن يتبلَّدا ... فقد غُلِبُ المحزُون ُأن يتجلَّدا
بكيت الصِّبا جُهدى فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسى فى البكاء وأسعدا
وإنى وإن فُنِّدْتُ فى طَلَبِ الصِّبا ... لأعلم أنى لستُ فى الحبِّ أوْحدا
إذا أنتَ لم تعشقْ ولم تدرِ ما الهوى ... فكنْ حجراً من يابسِ الصخرِ جلْمدا
فما العيشُ إلاّ ما تَلَذُّ وتشتهى ... وإن لام فيه ذوالشَّنانِ وفنَّدا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر ، وفيه رمل للغَرِيض ويقال إنه لحبابة .

قال : ومكث جُمْعة لايَرَى حبابةَ ولا يدعو بها ، فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني ، فلما أراد الخروج أعلمتها فتلقَّته والعودُ فى يدها فغنَّت البيت الأول . فغطى وجهه وقال : مه ، لاتفعلى ، ثم غنَّت :

* وما العيش إلاّ ما تلذ وتشتهى *

فعدل إليها وقال : صدقتِ والله فقبحَ اللهُ من لامنى فيكِ ، ياغلامُ مُرْ مَسلمةَ أن يصلىَ بالناس : وأقام معها يشرب وتغنيه وعاد إلى حاله .

وقال عمر بن شبة فى حديثه : فقال يزيد : صدقتِ والله فعلى مسلمةَ لعنةُ الله، وعاود ما كان فيه ، ثم قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص، فقال : علَىَّ به ، فأُتِىَ به فأنشده هذا الشعر ، ثم أنشده قصيدة مدحه فيها أولها قوله :

يا مُوقِدَ النَّارِ بالعلياءِ من إضَمِ ... أوْقِدْ فقد هِجْتَ شوْقاغيرمنصرِمِ

وهى طويلة ، فقال له يزيد : ارفعْ حوائجك ، فكتب إليه فى نحوٍ من أربعين ألف درهم من دَيْنٍ وغيره ، فأمر له بها .

وقال مصعب فى خبره : بل استأذَن الأحوصُ على يزيد فأذن له ، فاستأذن فى الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقْتَكَ ، فلم يزل به حتى أذن له فأنشده هذه الأبيات ، فلما سمعها وثب حتى دخل على حبابة وهو يتمثل :

وما العيشُ إلاَّ ما تلذُّ وتشتهي ... وإن لام فيه ذُو الشَّنانِ وفنَّدا

فقالت : ما ردَّك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشدنيها الأحوصُ ، فسَلِي ما شِئْتِ ، قالت : ألف دينار تعطيها الأحوص ، فأعطاه ألف دينار .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

يا مُوقِدَ النار بالعلياء من إضَمٍ ... أَوْقِدْ فقد هِجْتَ شوقا غيرَ منصرِمِ

ياموقدَ النارِ أَوْقِدْها فإنَّ لها ... شَبَاً يَهيج فؤادَ العاشقِ السَّدِمِ[1]

الشعر للأحوص ، والغناء لمَعْبَد خفيف ثقيل أول بالوسطى ، عن يونس وإسحاق وعمرٍو ، وذكر حَبَش أن فيه خفيفَ ثقيلٍ آخرَ لابن جامع .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى علىُّ ابن القاسم بن بَشير قال :

لما غلبَ يزيدُ بنُ عبد الملك أهلَه ، وأبى أن يسمع منهم كلَّموا موًلى له خُراسانيًّا ذا قدْرٍ عندهم [وبَلاءٍ] وكانت فيه لُكْنة ، فأقبل على يزيد يَعظه وينهاه عما قد ألحَّ عليه من السماع للغناء والشراب ، فقال له يزيد : فإنى أُحضرك هذا الأمر الذى تنهى عنه ، فإن نهيتنى بعدَ ما تبلُوه وتخْضُره انتهيتُ ، وإنى مُخبرٌ جوارِيَ أنك عمٌّ من عمومتى ، فإياك أن تتكلم فيعلمْنَ أنى كاذب وأنك لست بعمى ، ثم أدخله عليهن فغنين والشيخ يسمع ولا يقول شيئا حتى غنين :

وقد كنتُ آتيكمْ بعلَّةِ غيرِكُمْ ... فأفنَيْتُ عِلاَّتى فكيف أقول

فطرب الشيخ وقال : لا قَيْفَ جعلنى اللهُ فداكُنَّ ، يريد لا كَيف ، فعلمن أنه ليس عمَّه وقمْنَ إليه بعيدانهِنَّ ليضربْنه بها حتى حجزَهنَّ يزيد عنه ، ثم قال [له] بعد ما انقضى أمرهن : ما تقول الآن ؟ أدع هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى خالد بن

(١) الشبا : جمع شباة ، ومن معانيها حد كل شيء . وفى مخطوط : سنا . والسدم : المغتاظ والمهموم مع ندم .

يزيد بن بحر الخُزاعىّ الأسلمىّ ، عن محمد بن سلمة ، عن أبيه ، عن حمّادٍ الراويةِ ، قال :

كانت حبابةُ فائقةً فى الجمال والحُسْن ، وكان يزيد لها عاشقا ، فقال لها يوما : قد استخلفتك على ما ورد علىّ ونصَبْتُ لذلك مولاى فلانا ، فاستخلفيه لأُقيم معك أياما وأستمتع بك . قالت : فإنى قد عزلتُه ، فغضب عليها وقال : قد استعملته وتعزلينه ! وخرج من عندها مُغْضَبا ، فلما ارتفع النهار وطال عليه هجْرُها دعا خَصِيًّا له وقال : انطلق فانظرْ أىَّ شىء تصنعُ حَبابةُ ، فانطلق الخادم ثم أتاه فقال رأيتها [مؤتزرة] بإزار خَلُوقىّ قد جعلت له ذَنبين وهى تلعب بلُعَبِها ، فقال : ويحكَ ، احتلْ لها حتى تمرَّ بها علىّ ، فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة ثم استلب لُعبة من لُعَبها وخرج ، فجعلت تُحْضِر[1] فى أثره ، فرت بيزيد فوثب وهو يقول : قد عزلتُه ، وهى تقول : قد استعملته ، فعزَل مولاه وولاّه وهو لا يدرى ، فمكث معها خاليا أياما حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه وقال : ضيَّعْتَ حوائج الناس واحتجبْتَ عنهم ، أتُرى هذا مستقيما لك ؟ وهى تسمع مقالته ، فغنت لمّا خرج :

• ألا لاتلمْه اليوم أن يتبلَّدا •

فذكرت الأبيات فطرب وقال : قاتلكِ اللهُ ، أبيتِ إلاّ أن تردّينى إلياك . وعاد إلى ما كان عليه .

أخبرنى إسماعيل قال : حدثنى عمى قال : حدثنى إسحاق قال : حدثنى الهَيثم ابن عَدِىّ ، عن صالحِ بنِ حسّان قال :

قال مسلمةُ ليزيد : تركتَ الظُّهورَ وشُهودَ الجُمعةِ الجامعة ، وقعدت فى منزلك مع هذه الإماء . وبلغ ذلك حبابةَ وسلّامةَ ، فقالتا للأحوص : قل فى ذلك شعرا ، فقال :

وما العيشُ إلاّ ما تلذُّ وتشتهى ... وإن لام فيه ذو الشّنانِ وفنّدا
بكيت الصّبا جهدى فمن شاء لامنى ... ومن شاء آسى فى البكاء وأسْعدا

(١) تحضر : تجرى جريا شديدا .

وإني وإن أغرقت فى طلب الصبا لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا
إذا كنت عزهاةً عن اللهو والصبا فكن حجرًا من يابس الصخر جلمدا[١]

قال : فغنتا يزيد فيه ، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما ، صدقتما ، فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به ، قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا ، فغنتاه من هذه القصيدة :

وعهدى بها صفراء رُوْدٌ كأنما نضا عرقٌ منها على اللون مُجْسدا[٢]
مهفهفة الأعلى وأسفل خلقها جرى لحمه ما دون أن يتخددا
من المدمجات اللحم جدلًا كأنها عنان صناع مدمج الفتل مُحْصدا[٣]
كأن ذكىّ المسك منها وقد بدت وريح خزامى طلّة تنفح الندى

فطرب يزيد وأخذ فيه من الشراب قدره الذى كان يطرب منه ويسره ولم تره أظهر شيئا مما كان يفعله عند طربه ، فغنته :

ألا لاتلمه اليوم أن يتبلّدا فقد غلب المحزون أن يتجلّدا
نظرت رجاءً بالموقّر أن أرى أكاريس يحتلّون خاخاً فمُنْشدا[٤]
فأوفيت فى نشز من الأرض يافع وقد ينفع الإيفاع من كان مقصدا

فلما غنته بهذا طرب طربه الذى تعهده وجعل يدور ويصيح الدُّخْن بالنوى والسمك فى بيطار جنان ، وشق حلته وقال لها : أتأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى من تدع الناس ؟ قال : إليك . قال وغنته سلّامة من هذه القصيدة .

فقلت ألا يا ليت أسماء أصقبت[٥] وهل قول ليت جامعٌ ما تبددا
وإنى لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهى الصادى الشراب المبرّدا
علاقة حبٍّ لجّ فى سَنَن الصبا فأبلى وما يزداد إلا تجددا

(١) العزهاة : العازف عن اللهو والنساء ، ومن لايطرب للهو ويبعد عنه .
(٢) ثوب مجسد : به صبغ الجساد : وهو الزعفران ، أو أنها مجسد بكسر الميم ، ومعناه القميص الذى يلى البدن .
(٣) المحصد : المفتول .
(٤) الموقر وخاخ ومنشد ، أماكن . والأكاريس : جمع لجمع كرس ، وهو الجماعة من أى شىء .
(٥) أصقبت : دنت .

سُهوبٌ وأعلامٍ تخالُ سرابَها إذا استنّ فى القيظ المُلاءَ المُعمَّدا

قال : وغنته حبابة منها أيضا :

كريمُ قريش حين يُنْسب والذى أقرّت له بالملك كهلاً وأمردا
وليس عطاء كان منه بمانع وإنْ جلّ - من أضعاف أضعافه غدا
أهان تِلاد المال فى الحمْدِ إنه إمامُ هُدًى يجرى على ما تعوّدا
تردَّى بمجد من أبيه وأمه[1] وقد أورثا بنيان مجد مُشيَّدا

فقال لها يزيد : ويحك يا حبابة ، ومَنْ من قريش هذا ؟ قالت : أنت ، قال : ومن يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين ، وقالت سلّامة : فليسمعْ أميرُ المؤمنين باقى ثنائه عليه فيها ، ثم اندفعت تغنيه :

ولو كان بذْلُ الجودِ والمالِ مُخلِّداً من الناس إنسانا لكُنتَ المُخلَّدا
فأُقسم لاأنفكُّ ما عشتُ شاكرًا لنُعماكَ ما طار الحَمامُ وغرّدا

أخبرنى إسماعيل قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى علىُّ بن الجَعْدِ ، قال حدثنى أبو يعقوب الخُرَيمِىُّ عن أبى بكر بن عيّاش :

أن حبابة وسلامةَ اختلفتا فى صوت معبد :

ألا حىّ الديارَ بِسُعدَ إنى أُحبُّ لِحُبِّ فاطمة الديارَا

فبعث يزيد إلى معبد فأُتى به ، فسأل : لم بُعث إليه ؟ فأخبر فقال : لأيّتهما المنزلة عند أمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة ، فلما عرضتا عليه الصوتَ قضَى لحبابة ، فقالت سلامة : والله ما قضى إلا للمنزلة ، وإنه ليعلم أن الصواب ما غنّيتُ ، ولكن ائْذَنْ لى يا أمير المؤمنين فى صِلتِه لأنّ له علىّ حقا ، قال : قد أذنت ، فكان ما وصلته به أكثرَ من حبابة .

نسبة هذا الصوت

ألا حَىّ الديارَ بسُعْدَ إنى أحبّ لحبّ فاطمةَ الديارَا
إذا ما حل أهلُكِ يا سُلَيمى بِدارةِ صُلْصُلٍ شحطوا المزارا

(١) فى مخطوط : من أبيه وجده .

الشعر لجرير ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىُّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال له الأحوص : ماتشتهى قال : شِواءٌ وطِلاءٌ وغناءٌ . قال ذلك لك : ومضى به إلى قيْنة بالمدينة فغنته :

ألا حَىِّ الديارَ بسُعْدَ إنى أحب لحبِّ فاطمة الديارَا

أراد الظاعنون لِيَحْزُنُونى فهاجوا صَدْعَ قلبِى فاسْتَطارَا

فقال الفرزدق : ما أرَقَّ أشعاركم يا أهل الحجاز وأملَحَها . قال : أو ما تدرى لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله ، قال : هو لجرير يهجوك به . فقال : ويلُ ابنِ المَرَاغة . ما كان أحوجَه مع عفافه إلى صلابة شعرى وأحوجَنى مع شَهواتى إلى رقّة شعره .

وقد روى صالح بن حسان : أن الصوت الذى اخْتَلَفَتْ فيه حَبابةُ وسَلامة هو :

وترى لها دَلاًّ إذا نطقت به تركَتْ بناتِ فؤادِه صُعرا[١]

ذكر ذلك حمادٌ عن أبيه عن الهيثم بن عدى ، أنهما اختلفتا فى هذه الصوت بين يدى يزيد ، فقال لهما : من أين جاء اختلافكما والصوت لمَعْبَد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذتُه . وقالت الأخرى : هكذا أخذته ، فقال يزيد : قد اختلفتما ومَعْبدٌ حىّ بَعْدُ ، فكتب إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه ، ثم ذكر باقى الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عياش ، قال صالح بن حسان : فلما دخل معبد إليه لم يسأله عن الصوت ، ولكنه أمره أن يُغنى فغناه فقال :

فيا عزَّ إنْ واشٍ وشَى بىَ عندكمْ فلا تُكرميه أن تقولى له أهْلا

فاستحسنه وطرب ثم قال : إن هاتين اختلفتا فى صوت لك فاقض بينهما ، فقال لحبابة : غنّى ، فغنت ، وقال لسلامة : غنى ، فغنت ، وقال : الصواب ما قالت حبابة . فقالت سلامة : واللهِ يا بن الفاعلة ، إنك لتعلم أن الصواب

(١) صعر جمع أصعر وصعراء ، أى مائلة .

ما قلتُ ولكنك سألتَ : أيّتهما آثرُ عند أمير المؤمنين ؟ فقيل لك : حبابة ، فاتبعت هواه ورضاه ، فضحك يزيد وطرب ، وأخذ وِسادةً فصيّرها على رأسه وقام يدور فى الدار ويرقص ويصيح : السمكُ الطَّرى ، أربعة أرطال عند بيطار جنان ، حتى دار الدار كلها ، ثم رجع فجلس فى مجلسه وقال شعرا وأمرَ معبَدًا أن يغنى فيه ، فغنى فيه وهو :

أبلغْ حبابةَ أسقى رَبْعَها المطرُ ... ما للفؤاد سوى ذكراكُمُ وطَرُ
إن سار صحبى لم أملِكْ تذكُّرَكم ... أو عرّسُوا فهمومُ النفسِ والسَّهرُ

فاستحسنه وطرب .

هكذا ذكر إسحاق فى الخبر ، وغيره يذكر أن الصنعة فيه لحبابة ، ويزعمُ ابنُ خُرْداذبةَ أن الصنعة فيه ليزيد ، وليس كما ذكر وإنما أراد أن يوالى بين الخلفاء فى الصنعة فذكره على غير تحصيل ، والصحيح أنه لمعبد .

قال معبد : فسُرَّ يزيد لما غنيته فى هذين البيتين وكسانى ووصلنى ، ثم لما انصرم مجلسه انصرفت إلى منزلى الذى أُنزِلْته ، فإذا ألطاف سلّامة قد سبقت ألطافَ حَبابة ، وبعثت إلىّ : إنى قد عذرتُك فيما فعلتَ ، ولكن كان الحقُّ أولى بك ، فلم أزل فى ألطافهما جميعا حتى أذِن لى يزيدُ فرجعت إلى المدينة .

نسبة الصوت الذى غناه معبد الذى أوله

• فيا عزَّ إنْ واشٍ وشَى بىَ عندكُمْ •

صوت

ألمْ يأنِ لى يا قلبُ أن أتركَ الجهلا ... وأن يُحدِثَ الشيبُ المُلِمُّ لِىَ العقلا
على حينَ صار الرأسُ منى كأنما ... علتْ فوقَه ندّافةُ العُطْبِ الغَزْلا[1]
فيا عزَّ إن واشٍ وشَى بىَ عندكمْ ... فلا تُكرميه أن تقولى له أهلا

(١) العطب : القطن . وبذلك ورد فى المطبوع .

كما لو وَشَى واشٍ بِوُدِّك عندنا لقلنا تزحزحْ لاقريبا ولا سَهْلا
فأهلاً وسهلا بالذى شدَّ وصْلَنا ولامرحبا بالقائل اصرمْ لها حَبْلا

الشعر لكُثَيِّر والغناء لُحنين ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر ابنُ المكيِّ وَعمْرٌو والهِشامىُّ أنه لمَعْبَد ، وفيه ثانى ثقيل يُنسب إلى ابن سُريج وليس بصحيح .

أخبرنى الحَرَمىُّ بنُ أبى العلاء قال : حدَّثنى الزبير قال : حدثتْنى ظبيةُ قالت : أنشدَتْ حبابةُ يوما يزيدَ بنَ عبد الملك :

لعمرُك إننى لأُحِبُّ سَلْعاً لرؤيتها ومن بجُنُوبِ سَلْعِ

ثم تنفست تنفسا شديدا ، فقال لها : مالك أنتِ فى ذِمَّةِ أبى لئن شئْتِ لأنقُلَنَّه إليكِ حجرًا حجرًا ، قالت : وما أصنع به ؟ ليس إياه أردتُ ، إنما أردت صاحِبَه ، وربما قالت : ساكِنَه .

نسبة هذا الصوت

لعمرك إننى لأُحب سلْعا لرؤيتها ومن بجُنُوبِ سَلْعِ
تَقَرُّ بقُربها عيْنى وإنى لأخشى أن تكونَ تُريد فَجْعى
حلفتُ بربِّ مكةَ والهَدايا وأيدى السابِحاتِ غداة جَمْعِ
لأنتِ على التنائى ـ فاعْلَمِيه ـ أحبُّ إلىَّ من بصَرى وسمْعى

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى مما لا يشك فيه من غنائه .

قال الزبير وحدثتنى ظبيةُ أن يزيد قال لحبابة وسلامة : أيّتُكما غنتْنى مافى نفسى فلها حُكْمُها ، فغنت سلامة فلم تصب ما فى نفسه ، وغنته حبابة :

حِلَقٌ من بنى كِنانةَ حَوْلى بِفِلَسطينَ يُسرِعون الرُّكُوبا

فأصابت مافى نفسه ، فقال : احتكمى ، فقالت : سلَّامة تَهبها لى وما لَها ، قال : اطلبى غيرها ، فأبت ، فقال : أنت أولى بها وما لَها ، فلقيت سلامة من ذلك أمرا

عظيما ، فقالت لها حبابة : لاتَرَيْنَ إلا خيرا ، فجاءها يزيد فسألها أن تبيعه إياها بحكمها ، فقالت أُشهدك أنها حرة ، واخْطُبها إلىّ الآن حتى أُزوّجَك مولاتى :

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى إسحاق ، عن المدائنى بنحو هذه القصة ، وقال فيها : فجزعت سلامةُ . فقالت لها : لاتجزعى فإنما أُلاعبه .

نسبة هذا الصوت

حِلَقٌ من بنى كنانةَ حولى ‏ بِفلسطينَ يُسرعون الرُّكوبا
هَزِئَتْ أن رأتْ مَشيبى عِرْسى ‏ لا تلومى ذوائبى أنّ تشيبا

الشعر لابن قيسِ الرُّقَيَّات ، والغناء لابن سُريج ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

قال حماد بن إسحاق : حدثنى أبى ، عن المدائنى وأيوبَ بنِ عبَاية قالا : كانت سلامةُ المتقدمةَ منهما فى الغناء ، وكانت حبابة تنظر إليها بتلك العين ، فلما حَظِيتْ عند يزيد ترفّعت عليها ، فقالت لها سلامة : ويحك ، أين تأديبُ الغناء وحقُّ التعليم ؟ أنسيتِ قول َجميلة لك : خذى إحْكام ما أُطارحك إياه من سلامة ، فلن تزالى بخير مابقيَتْ لك وكان أمرُكما مؤْتلفا ؟ قالت : صدقتِ ياخليلتى ، والله لاعُدْتُ إلى شىء تكرهينه ، فما عادت [بعد ذلك] لها إلى مكروه ، وماتت حبابة وعاشت سلامة بعدها دهرا .

قال المدائنى : فرأى يزيدُ يوما حبابة جالسةً ، فقال : مالك ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : أتحبين أن أهبها لك ؟ قالت : لا واللهِ ما أُحبُّ أن تهب لى أختى .

قال المدائنى : وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها : أطير ؟ فتقول له : فإلى مَن تَدَعُ الناس ؟ فيقول : إليكِ .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أيوب ابن عبَاية .

أنّ البَيْذَقَ الأنصارىّ القارئَ كان يَعْرِف حبابةَ ويدخل عليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفع أمرُها عنده خرج إليها يتعرّض

لمعروفها ويَستمِيحُها ، فذكرته ليزيد وأخبرته بحسن صوته ، قال : فدعانى يزيد ليلةً فدخلت عليه وهو على فُرُشٍ مُشْرِفة قد ذهب فيها إلى قريب من ثَدْييه وإذا حبابة على فرْشٍ آخرَ مُرتفعة ، وهى دونه ، فسلَّمتُ فردَّ السلام وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين هذا أبى ، وأشارت إلىَّ بالجلوس فجلست ، وقالت لى حبابة : اقرأ يا أبَتِ . فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تنحدر ، ثم قالت : إيهٍ يا أبتِ حدِّث أمير المؤمنين ، وأشارت إلىَّ أنْ غنّه ، فاندفعتُ فى صوت ابن سريج .

من لصبَّ مُصيَّدِ هائم القلبِ مُقْصَدِ

فطَرِب والله يزيد ، فحذفنى بمُدْهُنٍ فيه فصوص من ياقوت وزبرجد فضرب به صدرى ، فأشارت إلىَّ حبابةُ أن خُذْهُ ، فأخذته فأدخلته كُمِّى ، فقال : يا حبابة ألاَ ترينَ ما صنع بنا أبوك ؟ أخذ مُدْهُنَنا فأدخله فى كمه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجه والله إليه ، ثم خرجتُ من عنده فأمر لى بمائة دينار .

نسبة هذا الصوت

من لصبَّ مُصيَّدِ هائمِ القلب مُقْصَدِ
أنتِ زوَّدْتِه الضَّنَى بئس زادُ المُزَوَّدِ
ولَوَ انى لا أرتجيـ ـكِ لقد خفَّ عُوَّدِى
ثاوياً تحتَ تُربَةٍ رَهْنَ رَمْسٍ بفَدْفدِ
غيرَ أنى أُعلِّلُ النَّـ ـفسَ باليوم أو غَدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير والغناء لابن سُريج خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

أطرب من يزيد :

وقال حماد : حدثنى أبى عن مَخْلد بن خِداش وغيرِه .

أن حبابة غنت يزيد صوتا لابن سريج وهو قوله :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةَ والـ ـلَبَّاتِ إذْ زانهـا ترائِبُها

فطرب يزيد وقال: هل رأيتِ أحداً أطرب منى؟ قالت: نعم ابنَ الطيَّارِ معاويةَ ابنَ عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضَّحاك فحُمل إليه، فلما قدِم أرسلتْ إليه حبابةُ: إنما بعث إليك لكذا وكذا، وأخبرتْه [بالقصة] فإذا دخلتَ عليه [وتغنيت] فلا تُظهِرَنَّ طربا حتى أغنيه الصوت الذى غنيته، فقال: سوأةٌ على كِبَرِ سنى؛ فدعا به يزيد وهو على طِنْفِسةِ خزٍّ ووضع لمعاوية مثلها، وجاءوا بجامَين فيهما مِسك فوُضعتْ إحداهما بين يدى يزيد والأخرى بين يدى معاوية، فقال: فلم أدرِ كيف أصنع فقلت: أنظر كيف يصنع فأصنع مثله، فكان يقلِّبه فيفوح ريحُه وأفعل مثل ذلك، فدعا بحبابة [فغنَّت] فلما غنتْ ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدور وينادى الدُّخن بالنوى، يعنى اللُّوبيا، قال: فأمر له بصِلاتٍ عِدَّة دفعات إلى أن خرج، فكان مبلغُها ثمانية آلاف دينار.

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال: أخبرنى الزبير بن أبى بكر[1]، عن ظبية، أن حبابة غنت يوما بين يدى يزيد فطرب ثم قال لها: هل رأيتِ قطُّ أطرب منى؟ قالت: نعم، مولاى الذى باعنى، فغاظه ذلك فكتب فى حمله مُقيَّداً، فلما عرف خبره أمر بإدخاله إليه، فأُدخل يرْسُف فى قيده، وأمرها فغنتْ بغتةً:

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ... ولَلدّارُ بعْدَ غدٍ أبْعَدُ

فوثب حتى ألقى نفسه على الشمعة فأحرق لحيته وجعل يصيح: الحريق يا أولادَ الزنا، فضحك يزيد وقال: لعمرى إن هذا لأطربُ الناس، فأمر بحلّ قيوده ووصله بألف دينار ووصلته حبابةُ، وردَّه إلى المدينة.

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: قال إسحاق: كان يزيد بن عبد الملك قبل أن تُفْضِيَ إليه الخلافة تختلف إليه مغنيةٌ طاعنة فى السن تُدعى أمَّ عَوْف وكانت محسنة فكان يختار عليها:

مَتى أُجِرْ خائفا تَسْرَحْ مطيتُه ... وإنْ أُخِفْ آمنا تُغْلَق به الدارُ

سِيروا إلىَّ وأرْخُوا منْ أعِنتِكم ... إنى لكلِّ امرئٍ من وِتْره جارُ

---

(١) لعله بن بكار.

فذكرها يزيد يوما لحبابة وقد كانت أخذت عنها فلم تقدر أن تَطْعُنَ عليها إلا بالسّن فقالت :

أبى القلب إلاّ أمّ عَوف وحُبّها عجوزًا ومن يُحْبِبْ عجوزًا يُفَنّد

فضحك وقال : لمن هذا الغناء ؟ فقالت : لمالك ، فكان إذا جلس معها للشرب يقول : غنيني صوتَ مالك فى أمّ عوف .

موت حبابة ويزيد :

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى عمر بن شبة قال : حدثنى عبد الله بن أحمد بن الحارث العَدَوِىّ قال : حدثنى عمر بن أبى بكر المُؤَمّلى قال : حدثنى أبو غانم الأزدىّ قال :

نزل يزيد بن عبد الملك ببيت رأسٍ بالشام ومعه حبابة ، فقال : زعموا أنه لا يصفو لأحد عيشه يوما إلى الليل إلاّ يكدره شىء عليه ، وسأجرّب ذلك . ثم قال لمن معه : إذا كان غدٌ فلا تُخبرونى بشىء ولا تأتونى بكتاب ، وخلا هو وحبابة ، فأُتيا بما يأكلان فأكلتْ رُمانة فشرقت بحبّة منها فماتت ، فأقام لايدفنها ثلاثا حتى تغيّرتْ وأنتنتْ وهو يَشمّها ويَرشُفها ، فعاتبه على ذلك ذوو قرابته وصديقه وعابوا عليه ما يصنع وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك ، حتى أذن لهم فى غسلها ودفنها ، وأمر فأخرجت فى نِطَعٍ وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها ، فلما دُفنت قال : أصبحتُ واللهِ كما قال كُثَيِّر :

فإن يَسْلُ عنكِ القلبُ أويدَعِ الصّبا فباليأس يسلو عنك لابالتّجلّد

وكل خليلٍ رآنى فهو قائــل من اجلك : هذا هامةُ اليوم أوغدِ

فما أقام إلا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفن إلى جنبها .

أخبرنى أحمد قال : حدثنى عمر قال : حدثنى إسحاق الموصلىّ قال : حدثنى الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْرَمة ، عن أبيه .

أن مسلمة بن عبد الملك قال : ماتت حبابة فجزع عليها يزيد ، فجعلتُ

أُوَسِّيه وأُعزّيه وهوضارب بذقنه على صدره ما يكلمنى حتى رجع ، فلما بلغ إلى بابه التفت إلىّ فقال :

فإن تسلُ عنك النفس أوتدع الصِّبا فباليأس تسلو عنك لابالتجلّدِ

ثم دخل بيته فكث أربعين يوما ثم هلك .

قال : وجزع عليها فى بعض أيامه فقال : انبُشوها حتى أنظر إليها ، فقيل : تصير حديثا ، فرجع فلم ينْبشها .

وقد روى المدائنى أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها فقال : لابدّ من أن تُنْبَش ، فَنُبِشت وكُشف له عن وجهها وقد تغيّر تغيُّرا قبيحا ، فقيل له : يا أمير المؤمنين اتّقِ اللهَ ، ألا ترى كيف صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ أحسن منها اليوم ، أخرِجوها ، فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها ، وانصرف فكَمِد كَمَداً شديداً حتى مات فدفن إلى جانبها .

قال : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله الشَّغانىُّ[١] عن العباس بن محمد :

أن يزيد بن عبد الملك أراد الصلاة على حبابة ، فكلمه مسلمة فى أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ عليها فتخلّف يزيدُ ومضى مسلمةُ ، حتى إذا مضى الناس انصرف مسلمةُ وأمر من صلّى عليها .

وروى الزبير ، عن مصعبِ بن عثمان :

عن عبد الله بن عُروة بن الزبير قال : خرجتُ مع أبى إلى الشام فى زمن يزيد بن عبد الملك ، فلما ماتت حبابة وأُخرِجَتْ لم يستطع يزيد الركوبَ من الجزع ولا المشىَ فحُمل على مِنْبر على رقاب الرجال ، فلما دفنت قال : لم أُصلِّ عليها ، انبُشوا عنها ، فقال له مسلمة : نَشَدْتك الله يا أمير المؤمنين ، إنما هى أمة من الإماء وقد واراها الثَّرَى ، فلم يأذن للناس بعد حَبابة إلا مرّة واحدة ، قال : فوالله ما استتمّ دخول الناس حتى قال الحاجب: أجيزوا[٢] رحمكم الله ، ولم ينشَبْ يزيد أن مات كمدا .

(١) فى المطبوع : الشغافى . (٢) فى نهاية الأرب : اخرجوا .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى إسحاق قال : حدثنى ابنُ أبى الحُوَيرث الثقفى قال :

لما ماتت حبابة جزع عليها يزيد جزعا شديدا ، فضمّ جُوَيرِيةً لها ــ كانت تخدُمها ــ إليه ، فكانت تحدّثه وتؤنسه ، فبينا هو يوما يدور فى قصره إذ قال لها : هذا الموضع الذى كنا فيه، فتمثلتْ :

كَفَى حَزَنًا للهائم الصَّبِّ أنْ يَرَى ... منازِلَ مَنْ يهْوَى مُعَطَّلَةً قَفرا

فبكى حتى كاد يموت، ثم لم تزل تلك الجويريةُ معه يتذكّر بها حبابة حتى مات .

صوت

أيدعوننى شيخا وقد عشتُ حِقْبةً ... وهُنَّ من الأزواج نَحْوِى نوازِعُ
وما شاب رأسى من سِنِينَ تتابعَتْ ... علَىَّ ولكنْ شيَّبَتْه الوقائعُ

الشعر لأبى الطُّفَيل صاحِب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو وغيره .

أخبار أبي الطفيل ونسبه

هو عامرُ بن واثِلةَ بن عبد الله بن عمرو [١] بن جابر بن حُمَيس بن جُرَيّ بن سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضر بن نِزار : وله صحبة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورواية عنه ، وعُمِّر بعده عُمْرًا طويلا ، وكان مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وروى عنه أيضا ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلّ خاصّ يُستغنى بشهرته عن ذكره ، ثم خرج طالبا بدم الحسين بن عليّ عليهما السلام مع المختار ابن أبي عُبَيد ، وكان معه حتى قتل ، وأفلت هو وعُمِّر أيضا بعد ذلك .

حدثني أحمد بن الجعد قال : حدثنا محمد بن يوسف بن أُسوار الجمحيّ بمكة قال : حدثنا يزيد بن أبي حَكيم قال : حدثني جدي يزيد بن مُلَيل :

عن أبي الطفيل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حَجّة الوداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ويستلم الركن بمِحْجَنه .

أخبرنا ه محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا الرِّياشي قال : حدثنا أبو عاصم عن مَعروف بن خَرَّبُوذ ، عن أبي الطفيل بمثله ، وزاد فيه : ثم يُقَبِّل المِحْجَن.

حدثني أبو عبيد [٢] الصيرفي قال : حدثنا الفضل بن الحسن المِصري قال : حدثنا أبو نعيم ، عن بسّام الصيرفي :

عن أبي الطفيل قال : سمعت عليا عليه السلام يخطب فقال : سلوني قبل أن

(١) في مخطوط : عمير . وفي الاستيعاب : بن عمرو بن جحش بن جزى . وفي الإصابة : بن عمرو ابن جحش ويقال جهيش بن جرى . وفي المطبوع : عمرو بن جابر بن خميس .

(٢) في المطبوع : أبو عبيد الله وقد مر أبو عبيد الصيرفي في الجزء التاسع في ترجمة عمر بن عبد العزيز كما أثبتنا عن مخطوط .

تفقدونى ، فقام إليه ابن الكوّاء فقال : ما الذاريات ذَرْوًا ؟ قال : الرياح ، قال : فالجاريات يُسْرًا ، قال : السفن . قال : فالحاملات وقرا ، قال : السحاب ، قال : فالمقسمات أمرا ، قال : الملائكة ، قال : فن الذين بَدّلوا نعمة الله كفرا ؟ قال الأفجران من قريش : بنو أُميّة وبنو مَخزوم . قال : فما كان ذو القرنين ؟ أنبيا أم ملكا ؟ قال : كان عبدا مؤمنا — أو قال صالحا — أحبّ الله وأحبه . ضُرِب ضربةً على قَرْنه الأيمن فمات، ثم بُعث وضرب ضربة على قرنه الأيسر فمات ، وفيكم مثله [وكتب إلىّ إسماعيل بن ُ محمد المرّى الكوفى يذكر أن أبا نُعيم حدثه بذلك عن بسَّام ، وذكر مثله] .

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه قال :

بلغنى أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم : أنْشِدْنى أفضل شعر قالتْه كِنانة ، فأنشده قصيدة أبى الطفيل :

أيَدعوننى شيخا وقد عشت بُرهةً وهنَّ من الأزواج نَحْوِى نَوازعُ

فقال له بشر : صدقت ، هذا أشعر شعرائكم ، قال : وقال له الحجاج أيضا : أنشدنى قول شاعركم :

• أيدعوننى شيخا . . . . •

فأنشده فقال : قاتله الله مُنافقا ما أشعرَه .

حدثنى أحمد بن عيسى العِجْلى الكوفى المعروف بابن أبى موسى قال : حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم قال : حدثنى أبى قال : حدثنى عمرو بن شمر[1] ، عن جابر الجُعْفىّ قال : سمعت ابنَ حِذْيَم التاجِىّ يقول :

لما استقام لمعاوية أمره لم يكن شىء أحبّ إليه من لقاء أبى الطفيلِ عامرِ بنِ واثلة ، فلم يزل يكاتِبه ويَلْطُف له حتى أتاه ، فلما قدِم عليه جعل يسائله عن أمر الجاهلية ، ودخل عليه عمرو بن ُ العاص ونفرٌ معه ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبى الحسن ، ثم قال : يا أبا الطفيل ، ما بلغ [من]

(١) فى المطبوع : عمر بن شبة وهو خطأ . وعمرو بن شمر الجعفى الكوفى الشيعى روى عن جابر الجعفى انظر لسان الميزان .

حبك لعليّ ؟ قال : حُبَّ أم موسى [لموسى] قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرَّقُوب[١] وإلى الله أشكو التقصير ، قال معاوية : إن أصحابي هؤلاء لو كانوا سُئلوا عني ما قالوا فيَّ ما قلتَ في صاحبك ، قالوا : إذن والله لا نقول الباطل ، قال لهم معاوية : لا والله ولا الحقَّ تقولون ، ثم قال معاوية : هو الذي يقول :

إلى رَجبِ السبعينَ تعترِفُونَني ... مع السيف في حَوَّاءَ جَمٍّ عديدُها[٢]
رَجُوف كَمَتْنِ الطَّوْدِ فيها معاشِرٌ ... كغُلْبِ السِّباعِ نُمْرُها وأسودها[٣]
كُهولٌ وشُبَّانٌ وساداتُ معشرٍ ... على الخيل فرْسانٌ قليلٌ صُدُودُها
كأنَّ شُعاع الشمس تحت لوائها ... إذا طلعت أعشى العيونَ حديدُها
يَمُورون[٤] مَوْرَ الرِّيح إمّا ذَهلتُمُ ... وزلَّت بأكفال الرِّحالِ لُبودُها
شعارُهُمُ سِيما النبيِّ وَرايَةٌ ... بها انتقم الرحمنُ ممن يَكيدُها
تَخَطَّفُهُمْ إيّاكُمْ عند ذِكْرِهم ... كخَطْفِ ضَوارِي الطيرِ صَيدًا تصيدها

فقال معاوية لجلسائه : أعرفتموه ؟ قالوا : نعم ، هذا أفحشُ شاعرٍ وألأمُ جليس ، فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرفهم بخير ولا أُبعدهم من شرّ ، قال : وقام خُزَيمةُ الأسديّ فأجابه فقال :

إلى رجبٍ أو غرّةِ الشهر بعده ... تُصَبِّحكم حمرُ المَنايا وسودُها
ثمانون ألفا دِينُ عثمانَ دِينُهم ... كتائبُ فيها جِبْرَئِيلُ يقودُها
فمن عاش منكم عاش عبدًا ومن يَمُتْ ... ففي النار سُقياه هناك صَدِيدُها

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال : حدثنا المدائني ، عن أبي مخنف ، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق قال :

(١) الرقوب : من لايستطيع الكسب ولا كسب له أو الذي لايبقى له ولد أو مات ولده .

(٢) الحواء : صفة من الحوة ، وهي السواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى السودا . ويريد بذلك : أن يصف جيشا كثيفا .

(٣) الرجوف لعله صفة من الرجف وهو التحرك والاضطراب ولعلها أيضا محرفة عن الزحوف من الزحف . والمتن : الظهر ، والطود الجبل العظيم .

(٤) يمورون : يموجون ويتحركون بسرعة .

لما رجع محمد بن الحَنَفِيَّة من الشام حبسه ابنُ الزُّبير فى سجن عارِم ، فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن واثلة حتى أتوا سجنَ عارِم فكسروه وأخرجوه ، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب أن يُسَيِّر نساءَ كلِّ مَن خرج لذلك ، فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهن أمَّ الطُّفيل امرأة أبى الطفيل ، وابنا له صغيرا يقال له يحيى ، فقال أبو الطفيل فى ذلك :

إنْ يَكُ سيَّرها مصْعبُ ... فإنى إلى مصعب مُذْنِبُ
أقود الكتيبة مُسْتَلْئِما ... كأنىّ أخو عُرَّةٍ أجرَبُ[1]
علىَّ دِلاصٌ تخيَّرتُها ... وفى الكفِّ ذورَوْنَقٍ مِقضَبُ[2]

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن حُمَيد الرازىُّ قال : حدثنا سَلَمَةُ بن الفضل :

عن فِطْرِ بنِ خَلِيفة قال : سمعت أبا الطفيل يقول : لم يبق من الشيعة غيرى ثم تمثل :

وخلَّيْتُ سهما فى الكنانة واحدًا ... سيُرْمَى به أو يَكسِر السهْمَ كاسِره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبوعاصم قال : حدثنى شيخ من بنى تيم اللات قال :

كان أبو الطفيل مع المختار فى القصر فرمى بنفسه قبل أن يؤخذ وقال :

ولمَّا رأيت الباب قد حِيلَ دونه ... تكسَّرْت باسم الله فيمن تَكسَّرا

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن شدادٍ النَّشَّابى قال : حدثنى المفضَّل بنُ غسَّان قال : حدثنى عيسى بن واضح ، عن سُلَيم ابن مُسْلم المكىِّ ، عن ابن جُرَيج عن عطاء قال :

دخل عبد الله بن صَفْوان على عبد الله بن الزُّبير وهو يومئذ بمكَّة فقال : أصبحتَ كما قال الشاعر :

فإن تُصِبْك من الأيام جائحــةٌ ... لا أبْكِ منك على دُنْيا ولا دِينِ

(١) مستلئما : لابسا الدرع . والعرة من أنواع الجرب .
(٢) الدلاص : الدرع اللينة الملساء . المقضب : السيف القطاع .

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يُفَقِّه الناس ، وعُبيدُ الله أخوه يُطْعِم الناس ، فما بَقَّيا لك ؟ فأحْفَظَه ذلك فأرسل صاحب شُرْطته عبد الله بن مُطيع فقال له : انطلق إلى ابْنَىْ عباسٍ فقُلْ لهما : أعَمَدْتُما إلى رايةٍ تُرَابِيَّة [١] قد وضعها اللهُ فنصبتماها ؟ بَدَّدَا عنى جمعكما ومن ضوى إليكما من ضُلاّل أهلِ العراق وإلا فعلتُ وفعلت . فقال ابنُ عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس . ثكلتْكُ أُمك ، والله ما يأتينا من الناس غيرُ رجلين : طالب فقهٍ أو طالب فضْل ، فأىَّ هذين تمنع ؟ فأنشأ أبو الطفيل عامر بن واثلة يقول :

لادَرَّ دَرُّ الليالى كيف تُضْحكنا ... منها خُطوبٌ أعاجيبٌ وتُبكينا
ومثلُ ما تُحدِثُ الأيامُ من غِيَرٍ ... يا ابنَ الزبير عن الدنيا تُسَلِّينا
كنا نجىء ابنَ عبَّاسٍ فيُقْبِسُنا ... عِلْما ويُكْسِبنا أجرًا ويَهْدِينا
ولا يزالُ عُبَيدُ اللهِ مُتْرَعَةً ... جِفانُهُ مُطْعِما ضيفا ومِسكينا
فالبِرّ والدِّين والدنيا بدارِهِما ... ننالُ منها الذى نَبْغى إذا شِينا
إن النبىَّ هو النور الذى كُشِفَتْ ... به عَمايَاتُ باقينا وماضينا
ورَهْطُه عِصمةٌ فى دِيننا ولهم ... فضْلٌ علينا وحقٌّ واجب فِينا
ولسْتَ - فاعْلَمهُ - أولى منهم رَحِماً ... يا ابنَ الزبير ولا أوْلى به دِينا
ففيم تمنعُهُمْ منَّا وتمنعُنا ... منهم وتُؤذِيهِمُ فينا وتُؤذِينا
لن يُؤْتىَ اللهُ من أجْرَى بِبُغْضِهمُ ... فى الدِّين عِزًّا ولا فى الأرض تمكينا

وفاة أبى الطفيل :

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنى الزبير بن بكار قال : حدثنى بعض أصحابنا :

أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دُعى فى مأْدُبة فغنَّت فيها قَيْنَةٌ قوله يرثى ابنه :

---

(١) راية ترابية يقصد بها نسبتها إلى سيدنا على . فقد كان يكنى أبا تراب .

خلى طُفَيلٌ علىَّ الهَمَّ وانْشَعَبا وهدَّ ذلك رُكْني هدَّةً عَجَبا

فبكى حتى كاد يموت .

وقد أخبرنى بهذا الخبر عمى ، عن طلحةَ بنِ عبد الله الطَّلْحِيِّ ، عن أحمدَ ابن إبراهيم :

أن أبا الطفيل دُعِيَ إلى وليمة فغنت قَيْنَةٌ عندهم :

خَلَّى طُفيلٌ علَى الهَمَّ وانشعبا وهدَّ ذلك ركنى هدَّةً عجبا
وابْنَىْ سُمَيَّةَ لا أنساهما أبدا فيمن نسيت وكُلٌّ كان لى وَصَبا

فجعل يَنْشِج ويقول : هاه هاه ، طفيل ، ويبكى حتى سقط على وجهه ميتا .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد قال : حدثنا حماد ، عن أبيه ، بخبر أبى الطفيل هذا فذكر مثل ما مضى وزاد فى الأبيات :

فامْلِكْ عزاءك إنْ رُزْءٌ بُلِيتَ به فلن يردَّ بكاءُ المرءِ ما ذَهَبا
وليس يَشْفِى حزينا مِن تذكُّره إلاّ البكاءُ إذا ما ناح وانْتحبا
فإذْ سلكتَ سبيلاً كُنْتَ سالكها ولا محالَةَ أن يأتى الذى كُتِبا
فما لَفَظَتْكَ من رِىٍّ ولا شِبَعٍ ولا ظَلِلْتُ بما فى العيش مُرْتغبا

وقال حماد بن إسحاق : حدثنى أبى قال : حدثنى أبو عبد الله الجُمَحِيُّ ، عن أبيه قال :

بينا فتية من قريش ببطن مُحَسِّر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طُوَيْسٌ وعليه قميص قُوهِيٌّ وحَبَرَةٌ قد ارتدى بها وهو يَخْطِر فى مِشْيته فسلَّم ثم جلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد المنعم لو غنَّيتنا ، قال : نعم وكرامةً ، أغنيكم بشعر شيخٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيعة على بن أبى طالب عليه السلام وصاحب رايته أدرك الجاهلية والإسلام وكان سيِّد قومه وشاعرَهم ، قالوا : ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فدتك أنفسُنا ؟ قال : ذلك أبو الطفيل عامر بن واثلة ثم اندفع يغنى :

أيدعوننى شيخا وقد عِشتُ حِقبةً وهُنَّ من الأزواج نحوى نوازعُ

فطرب القوم وقالوا : ما سمعنا قطُّ غناءً أحسن من هذا .
وهذا الخبر يدلّ على أن فيه لحنا قديما ولكنه ليس بمعروف .

صوت

لمن الدار أقفرت بِمَعانِ ... بين شاطِى اليرْمُوك فالصَّمَّانِ[١]
فالقُرَيَّاتِ من بَلاسٍ فَدَارَيَّـا فَسَكَّاءَ فالقصورِ الدوانى[٢]
ذاك مَغْنًى لآل جفنةَ فى الدا ... رِ وَحَقٌّ تصرُّفُ الأزمانِ
صلواتُ المسيح فى ذلك الدي ... رِ دعاءُ القِسِّيس والرُّهبانِ

الشعْر لحسان بن ثابت ، والغناء لحُنين بن بَلُّوع خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى . وهذا الصوت من صدور الأغانى ومختارها وكان إسحاق يقدمه ويفضله . ووجدت فى بعض كتبه بخطِّه قال : الصيحة التى فى لحن حنين :

« لمن الدارُ أقفرت بِمَعانِ »

أخرجت من الصدر ، ثم من الحلق ، ثم من الأنف ثم الجبهة ، ثم نُبرتْ فأُخرجت من القِحْف[٣] ، ثم نُوِّنَتْ مردودة إلى الأنف ، ثم قُطِعَتْ .

وفى هذه الأبيات وأبيات غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعة اشتركوا فيها ، واختلف أيضا مؤلفو الأغانى فى ترتيبها ونسبةِ بعضها مع بعضٍ إلى صاحبها الذى صنعها ، فَذُكِرتْ هاهنا على ذلك ، وشُرِح ما قالوه فيها ، فمنها :

صوت

قدْ عفا جاسِمٌ إلى بيت راسٍ ... فالجوابِى فجانب الجَـوْلان[٤]

---

(١) معان كانت مدينة فى طرف بادية الشام « انظر معجم البلدان » وفى مخطوط : بمغان . واليرموك معروف وهو واد به نهر اليرموك حيث كانت الوقعة المشهورة فى الفتوح الإسلامية . والصمان : من نواحى الشام بظاهر البلقاء .

(٢) القريات هى دومة وسكاكة والقارة . وداريا قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة . وبلاس بلدة قريبة من دمشق وكذلك سكاء .

(٣) القحف : العظم فوق الدماغ . وثبرت : ردت أو حبست . ولعلها أيضا : نبرت .

(٤) جاسم وبيت راس والجوابى والجولان : مواضع وبلاد وكذلك ما فى البيت بعده من الأعلام وانظر اختلاف الروايات فى الديوان ومعجم البلدان .

فحِمَى جاسمٍ فأبنيةِ الصُّفَّـرِ مغنًّى قنابلٍ وهِجانِ[١]
فالقُرَيّاتُ من بَلاسٍ فَدَارَيَّا فسَكّاءُ فالقصورُ الدوانى
قد دنا الفِصْحُ فالولائد ينظِمْـنَ سراعا أكِلَّةَ المَرْجانِ
يتبارَيْنَ فى الدعاء إلى اللّـهِ وكلُّ الدعاءِ للشيطانِ
ذاك مغنًى لآل جفنةَ فى الدّ‍ـرِ وحقٌّ تصرُّفُ الأزمانِ
صلواتُ المسيح فى ذلك الدَّيـرِ دعاءُ القسّيسِ والرُّهبانِ
قد أرانى هناك حَقَّ مكينٍ عند ذى التاج مقعدى ومكانى

ذكر عمرو بن بانة أن لابن محرز فى الأول من هذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أول بالبنصر ، وذكر علىّ بن يحيى لابن سُريج فى الرابع والخامس رملا بالوسطى وأن لمعبد فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيف ثقيل ، ولمحمد بن إسحاق بن بَزيع ثقيل أول من الرابع والثامن ، وذكر الهِشامىُّ أن فى الأول لمالك خفيف ثقيل ، ووافقه حبش، وذكر حبش أن لمعبد فى الأول والثانى [والثالث] والرابع ثقيلا أولا بالبنصر .

(١) القنابل : الجماعة من الناس والخيل . والهجان : الخيار من كل شىء . ومن الإبل : البيض الكرام . هذا وفى ديوان حسان : قبائل وهجان .

أخبار حسان وجبلة بن الأيهم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيبُ بن نصرٍ المهلّبى قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنى هارون بن عبد الله الزُّهرىُّ قال: حدثنى يوسف بن الماجِشُون عن أبيه قال:

قال حسان بن ثابت: أتيت جَبَلَة بن الأيهم الغسانىَّ وقد مدحته، فأذِن لى فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفيرتان، وعن يساره رجل لا أعرفه فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أما هذا فأعرفه وهو النابغة، وأما هذا فلاأعرفه، قال: فهو عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ فإن شئت استنشدتَهما وسمعتَ منهما ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدتَ وإن شئت أن تسكت سكت، قلت: فذاك، قال فأنشده النابغة:

كِلِينى لهَمٍّ يا أُميمةُ ناصِبِ ... ولَيْلٍ أُقاسيه بَطىءِ الكَواكِبِ

قال: فذهب نصفى، ثم قال لعلقمة: أنشِدْ فأنشد:

طَحا بك قلْبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

فذهب نصفى الآخر فقال لى: أنت أعلم الآن، إن شئت أن تنشد بعدهما أنشدت، وإن شئت أن تسكت سكت، فتشدّدت ثم قلت: لا بل أُنشد، قال: هات فأنشدته:

لله درّ عِصابةٍ نادمتُهـا ... يوما بجِلِّقَ فى الزمانِ الأوّلِ
أولادُ جفْنَةَ عند قبرِ أبيهِمُ ... قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المفضِلِ
يسْقُون من وَرَد البريصَ عليهمُ ... كأسا يُصَفَّقُ بالرَّحيق السلسل
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُم ... لا يسألون عن السَّواد المُقْبِلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهمْ ... شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأوّلِ

فقال لى : ادْنُهْ ادْنُهْ ، لعمرى ما أنت بدونهما ، ثم أمر لى بثلاثمائة دينار وعشرةِ أقمصة لها جيب واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كل عام .

وقد ذكر أبو عمرٍو الشيبانى هذه القصةَ لحسان ووصفها وقال : إنما فضّله عمرو بن الحارث الأعرج ومدحه بالقصيدة اللامية ، وأتى بالقصة [أتمّ] من هذه الرواية .

قال أبو عمرو : وقال حسان بن ثابت : قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص الوصولُ علىّ إليه ، فقلت للحاجب بعد مُدّة إن أذنتَ لى عليه وإلاّ هجوت اليمنَ كلّها ثم انقلبت عنكم ، فأذن لى فدخلتُ عليه فوجدت عنده النابغة [وهو جالس عن يمينه وعلقمة بنَ عَبَدَةَ] وهو جالس عن يساره فقال لى : يا ابن الفُريعة قد عرفتُ عِيصَك [1] ونسبك فى غسان فارجع فإنى باعث إليك بصلةٍ سَنِيَّةٍ ولا أحتاج إلى الشعر فإنى أخاف عليك هذين السَّبعين النابغة وعلقمة أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتى ، وأنت واللهِ لا تُحسن أن تقول :

رِقاقُ النّعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ يُحَيَّوْنَ بالريحان يومَ السَّباسبِ [2]

فأبيتُ وقلت : لابد منه ، فقال : ذاك إلى عَمَّيك ، فقلت لهما : بحق المَلِك إلا قدَّمْتُمانى عليكما ، فقالا : قد فعلْنا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفريعة فأنشأت :

أسأَلْتَ رسْمَ الدارِ أم لم تَسْألِ بين الجَوَابى فالبَضِيع فَحَوْمَلِ [3]

فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحَل [4] عن موضعه سرورا حتى شاطَرَ البيتَ وهو يقول : هذا وأبيك الشعر لاما يُعلّلانى به منذ اليوم ، هذه والله البتّاتةُ التى قد بترت المدائح ، أحسنت يا ابن الفريعة ، هاتِ له يا غلام ألف دينار

(١) العيص : الأصل .

(٢) الحجزات : جمع حجزة وهى حيث يثنى طرف الإزار ، ويكنى هنا بطيب الحجزات عن عفتهم . ويوم السباسب : عيد النصارى يسمونه السعانين ، انظر اللسان « سبسب وحجز » .

(٣) فى نسخ : الجوابى فالبضيع ، وفى بعضها : فالنضيع ، انظر ديوان حسان .

(٤) يزحل : يتنحى .

مرجوحة ١ وهى التى فى كل دينار عشرة دنانير ، فأُعطيتُ ذلك ثم قال : لك علىَّ فى كل سنة مثلها ، ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد فهات الثناء المسجوع فقام النابغة فقال : ألا انعِمْ صباحا أيها الملك المبارك ، السماء غِطاؤك ، والأرض وِطاؤك ، ووالداى فداؤك . والعرب وِقاؤك ، والعجمَ حِمائك ، والحكماء جلساؤك ، والمدَارِه سُمّارُك ، والمقاوِل إخوانك ، والعقل شِعارك ، والحِلم دِثارك ، والسَّكينة مِهادك ، والوَقار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسادُك ، والصدق رِداؤك ، واليُمْن حِذَاؤك ، والسخاء ظِهارتك ، والحَمِيَّةُ بِطانتك ، والعلاء عَلابَتُك ٢ ، وأكرم الأحياء أحياؤك ، وأشرف الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعفُّ النساء حلائلُك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفْيَحُ الدَّارات داراتُك ، وأنزه الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ، قد حالف الإضْرِيجُ عاتقيك ، ولاءَمَ المِسْكُ مَسْكَك ، وجاور العنبرُ ترائبكَ ، وصاحبَ النعيمُ جسدَك ، العَسْجد آنيتك ، واللُّجَين صِحافك ، والعَصْبُ مناديلك . والحُوّارُ طعامُك ، والشهد إدامك ، واللذات غذاؤك ، والخرطوم شرابك ، والأبكار مُستراحك ، والأشراف مَناصِفك ، والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك ، والخذلان مع ألوِية حسّادك ، والبرُّ فعلك ، قد طحطح عدُوك غضبُك ، وهزم مَقانبهم مشهدُك ، وسار فى الناس عدْلُك ، وشسع بالنصر ذِكرك ، وسكّنَ قوارعَ الأعداء ظَفَرُك ، الذهب عَطاؤك ، والدَّوَابُّ رمزك ، والأوراق لحظك وإطراقك ، وألف دينار مرجوحة إيماؤك ، أيفاخرك المنذر اللخميُّ ؟ فوالله لقفاك خيرٌ من وجهه ، ولشِمالك خيرٌ من يَمينه ، ولأخْمَصُك خير من رأسه . ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمْتك خير من كلامه ، ولأمُّك خير من

(١) فى نسخة خطية : مرموجة ، وفى نسخة أخرى : مرحوجة .

(٢) فى مخطوطة : غايتك . والعلابة : موضع مرتفع .

أبيه ، ولخدمك خير من قومه ، فهبْ لى أسارى قومى ، واسترْهِنْ بذلك شكرى فإنك من أشراف قحطان وأنا من سَرَوات عدنان [١] .

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه وقال : بمثل هذا فلْيُثْنَ على الملوك ، ومثل ابن الفريعة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه .

وذكر ابنُ الكلبىّ هذه القصةَ نحوَ هذا وقال : فقال له عمرو : اجعل المفاضلة بينى وبين المنذر شعرا فإنه أسْيَر ، فقال :

ونُبِّئْتُ أنّ أبا مُنْذِرٍ ... يساميك للحدَثِ الأكْبَرِ
قَذَالُك أحسنُ من وجهه ... وأمُّك خير من المُنذِرِ
ويُسراك أجود من كفه الـ ... يمينِ فَقُولا له أخّرِ

وقد ذكر المدائنى أن هذه الأبيات والسجع الذى قبلها لحسان وهذا أصح .

قال أبو عمرو الشيبانى : لما أسلم جبلة بن الأيهم الغسّانى ، وكان من ملوك آل جَفْنة ، كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له عمر فخرج إليه فى خمسمائة من أهل بيته من عكّ وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فسُرَّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناس باستقباله وبعث إليه بأنزالٍ ، وأمر جبلةُ مائتى رجلٍ من أصحابه فلبسوا الديباج [٢] والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه وفيه قُرْطا مارِية وهى جدّتُه ، ودخل المدينة فلم يبق بها بِكْرٌ ولا عانسٌ إلاّ تبرجت وخرجت تنظر إليه وإلى زِيِّه ، فلما انتهى إلى عمرَ رحّب به وألطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهورا بالموسم إذ وطىء إزاره رجلٌ من بنى فَزارة فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده

(١) تفسير الألفاظ اللغوية . الإضريج : كساء أصفر أو الخز الأحمر . المسك : الجلد . والعصب : ضرب من البرود . والحوار : ولد الناقة ، وقد تكون الكلمة الحوارى وهو لباب الدقيق والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار . ومناصفك : خدمك جمع منصف . وطحطح : بدد وأهلك . والمقانب : جماعة الخيل . وشسع : بعد . والدواب رمزك . . . أى إنك بالإشارة الخفية تمنح الدواب ، وإنك تعطى الدراهم وهى الأوراق باللحظ والإطراق . والدينار المرجوحة ، فسرها المؤلف فى بعض المواضع فقال : إنها عشرة دنانير . السروات : السادة .

(٢) فى المطبوع : السلاح والحرير .

فهشم أنف الفزارىّ ، فاستعدى عليه عُمرَ رضوانُ الله عليه ، فبعث إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إنه تعمَّد حلّ إزارى ، ولولا حُرمةُ الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت ، فإما أنْ رَضِيَ الرجل ، وإما أن أُقيده منك . قال جبلة : ماذا تصنع بى ؟ قال : آمر بهَشْم أنفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سُوقة وأنا ملك ؟ قال : إن الإسلام جمعك وإياه فليس تَفْضُله بشىء إلاّ بالتُّقى والعافية ، قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الإسلام أعزّ منى فى الجاهلية ، قال عمر : دع عنك هذا فإنك إن لم تُرْض الرجل أقدْته منك ، قال : إذاً أتنصّر ، قال : إن تنصرتَ ضربتُ عنقك لأنك قد أسلمت فإن ارتددْتَ قتلتك ، فلما رأى جبلةُ الصدق من عمر قال : أنا ناظر فى هذا ليلتى هذه ، وقد اجتمع بباب عمر من حىّ هذا وحىّ هذا خلقٌ كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلما أمْسَوْا أذن له عمر فى الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدءوا تحمَّل جبلةُ بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكة وهى منهم بلاقع ، فلما انتهى إلى الشام تحمَّل فى خمسمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل فتنصّر هو وقومه فسُرّ هرقل بذلك جداً ، وظن أنه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من النُّزُل ما شاء ، وجعله من مُحَدثيه وسُمّاره . هكذا ذكر أبو عمرو.

وذكر ابن الكلبى أن الفزارى لما وَطىءَ إزار جبلة لطمه جبلةُ ، فلطم جبلةَ كما لطمه ، فوثبت غسان فهشموا أنفه ، وأتوا به عمر ، ثم ذكر باقى الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرمى بن أبى العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدثه عن أبيه :

أن جبلة قدم على عمر رضى الله عنه فى ألفٍ من أهل بيته فأسلم ، قال : وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلامٌ ، فسبّ المَدينىّ فردّ عليه ، فلطمه جبلة فلطمه المدينىّ ، فوثب عليه أصحابه ، فقال : دعوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما عنده ، فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنك فعلت به فعلا ففعل بك مثله ، قال : أوليس

عندك من الأمر إلاّ ما أرى ؟ قال : لا ، فما الأمر عندك يا جبلة ؟ قال : من سبَّنا ضربناه ، ومن ضربنا قتلناه . قال : إنما أُنزل القرآن بالقصاص ، فغضب وخرج بمن معه ودخل أرض الروم فتنصر ثم ندم وقال :

* تنصَّرت الأشراف من عار لطمة *

وذكر الأبيات وزاد فيها بعد :

ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة ... أُجالس قومى ذاهبَ السمع والبصَرْ

أَدين بما دانوا به من شريعة ... وقد يُحبَس العَوْدُ الضَّجور على الدبَرْ[1]

وذكر باقى خبره فيما وجه به إلى حسان مثله ، وزاد فيه : أن معاوية لما ولى بعث إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ووعده إقطاع الغُوطة بأسرها ، فأبى ولم يقبل.

ثم إن عمر رضى الله عنه بدا له أن يكتب إلى هرقل يدعوه إلى الله عزَّ وجل وإلى الإسلام ، ووجه إليه رجلا من أصحابه وهو جَثَّامةُ بنُ مُساحق الكنانىّ ، فلما انتهى إليه الرجل بكتاب عمر أجاب إلى كل شىء سوى الإسلام ، فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابن عمك هذا الذى جاءنا راغبا فى ديننا ؟ قال : لا ، قال : فالْقَه ، قال الرجل : فتوجهت إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر بباب هرقل مثله ، فلما أُدخلت عليه إذا هو فى بهو عظيم وفيه من التصاوير ما لا أُحسن وصفه ، وإذا هو جالس على سرير من قوارير ، قوائمُه أربعةُ أُسد من ذهب وإذا هو رجلٌ أصهب ذو سِبالٍ وعُثْنُون[2] ، وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس ، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح ، فما رأيت أحسن منه ، فلما سلمت رد السلام ورحَّب بى وألطفنى ولامنى على تركى النزول عنده ، ثم أقعدنى على شىء لم أُثبِتْه فإذا هو كرسىٌ من ذهب ، فانحدرت عنه ، فقال : مالك ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، فقال جبلةُ أيضا مثل قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرتُه وصلى عليه ثم قال : يا هذا إنك إذا طهَّرت

(١) العود : المسن من الإبل . والدبر : الإصابة بالدبرة ، وهى القرحة تحدث من الرحل .

(٢) السبال ، جمع سبلة : وهو ما على الشارب من الشعر . والعثنون : اللحية .

قلبك لم يضرك ما لبسته ولا ما ماجلستَ عليه ، ثم سألنى عن الناس وألحف فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يُفَكر حتى رأيت الحزن فى وجهه فقلت : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ قال : أبعد الذى قد كان ؟ قلت : قد ارتد الأشعث بن قيس ومنعهم الزكاة وضربهم بالسيف ثم رجع إلى الإسلام ، فتحدثنا مَلِيًّا ثم أومأ إلى غلام على رأسه فولى يُحْضِر فما كان إلاَّ هُنَيهة حتى أقبلت الأخْوِنة يحملها الرجال ، فوُضعت وجىء بِخوان من ذهب فوُضع أمامى ، فاستعفيت منه فوُضع أمامى خِوان خَلَنْج [١] وجامات قوارير ، وأديرت الخمر فاستعفيت منها ، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب فيه خمسا عدداً ثم أومأ إلى غلام فولى يُحْضر ، فما شعرت إلا بعشر جوار يتكسَّرن فى الحَلْىِ ، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله ، ثم سمعتُ وَسْوسة من ورائى فإذا أنا بعشْرِ أفضلَ من الأُوَل عليهن الوشْىُ والحَلْى ، فقعد خمس عن يمينه وخمس عن شماله ، وأقبلت جارية على رأسها طائر أبيضُ كأنه لؤلؤة مُؤَدَّبٌ ، وفى يدها اليمنى جام فيه مسك وعنبر قد خُلطا ، وأُنْعِم سحقُهما ، وفى اليسرى جام فيه ماءُ ورد فألقت الطائر فى ماء الورد فتمعَّك بين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجته فألقته فى جام المسك والعنبر فتمعك فيها ، فلم يدعْ فيها شيئا ، ثم نفَّرته فطار فسقط على تاج جبلة ، ثم رفرف ونفض ريشه ، فما بقى عليه شىء إلا سقط على رأس جبلة ثم قال للجوارى : أطربننى فخفقن بعيدانهن يغنين :

لله درّ عصابة نادمتهم … يوما بجِلِّق فى الزمان الأوَّل
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم … شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأوَّلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابهمْ … لا يسألون عن السواد المُقْبِلِ

فاستهلّ واستبشر وطرب ثم قال : زِدْنَنِى ، فاندفعن يغنين :

لمن الدار أقفرت بِمعانِ … بين شاطى اليرموكِ فالصَّمَّانِ
فحِمَى جاسِمٍ فأبنيةِ الصُّفَّـ … ـرِ مغنى قنابلٍ وهِجانِ
فالقُرَيَّاتِ من بَلاسٍ فَدارَيَّا فسكَّاءَ فالقصور الدَّوانى

(١) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى .

ذاك مغنى لآل جفنة فى الـ ـدار وحقٌ تعقُّبُ الأزمانِ
قد دنا الفِصح فالولائد ينظمْـ ـنَ سراعا أكِلَّةَ المرجانِ
لم يُعلَّلْنَ بالمغافِير والصَّمـ ـغ ولانَقْفِ حنظلِ الشَّرْيانِ
قد أُرانى هناك حقًّا مكينا عند ذى التاج مقعدى ومكانى

فقال : أتعرف هذه المنازل ، قلت : لا ، قال : هذه منازلنا فى مُلْكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسانِ بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : أما إنه مَضْرورُ البصر كبير السنّ . قال : يا جارية هاتى ، فأتته بخمسمائة دينار وخمسة أثواب من الديباج فقال : ادفع هذا إلى حسان وأقرئه منى السلام ، ثم راودَنى على مثلها فأبيت ، فبكى ثم قال لجواريه : أبْكِيننى ، فوضعن عيدانهن وأنشأن يقلن قوله :

تنصَّرتِ الأشراف من عار لطمة وما كان فيها لو صبرْتُ لها ضررْ
تكنَّفنى فيها لَجاجٌ ونَخْـوةٌ وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعورْ
فياليت أُمى لم تلدنى وليتـنى رجعْتُ إلى القول الذى قال لى عمرْ
ويالبتنى أرعى المَخاضَ بِدِمْنَةٍ وكنت أسيرا فى ربيعةَ أو مُضَرْ
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشةٍ أجالس قومى ذاهبَ السمعِ والبَصرْ

ثم بكى وبكيت معه حتى رأيت دموعه تجول على لحيته كأنها اللؤلؤ ، ثم سلمت عليه وانصرفت ، فلما قدمت على عمر سألنى عن هرقل وجبلة ، فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، فقال : أو رأيت جبلة يشرب الخمر ؟ قلت : نعم ، قال : أبعده اللهُ ، تعجَّل فانيةً اشتراها بباقيةٍ فما ربحت تجارتُه ، فهل سرّح معك شيئا ؟ قلت : سرّح إلى حسان خمسمائةِ دينار وخمسةَ أثواب ديباج ، فقال : هاتها وبعث إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتى دنا فسلم وقال : يا أمير المؤمنين إنى لأجد أرواحَ آل جفنة ، فقال عمر رضى الله عنه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رغم أنفه ، وأتاك بمعونة ، فانصرف عنه وهو يقول :

إن ابن جفنة من بقيَّةِ معشرٍ لم يَغْذُهم آباؤهم باللُّومِ

لم يَنْسَنى بالشام إذ هو رَبُّها كلاّ ولا مُتَنَصِّرًا بالرُّوم
يُعطى الجزيل ولا يراه عنـده إلاّ كبعض عطيَّةِ المذموم
وأتيتُه يوما فقرّب مجلسى وسَقَى فرَوّانى من الخُرْطُومِ

فقال له رجل كان [فى مجلس عمر] : أتذكر قوما كانوا ملوكا فأبادهم الله وأفناهم ؟ فقال : مِمَّن الرجل ؟ قال مُزَنِىّ ، قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوْقَ الحمامة ، وقال : ما كان خليلى لِيُخِلّ بى فما قال لك ؟ قال : قال : إن وجدته حيا فادفعها إليه ، وإن وجدته ميتا فاطرح الثياب على قبره وابتَعْ بهذه الدنانير بُدْنا فانحرها على قبره. فقال حسان : ليتك وجدتنى ميتا ففعلت ذلك بى :

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير قال : قال لى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّبَيرى :

قال الرسولُ الذى بُعث به إلى جبلة — ثم ذكر قصته مع الجارية التى جاءت بالجامين والطائر الذى تمعك فيهما . وذكر قول حسان :

• إن ابنَ جفنة من بقيَّةِ معشرٍ •

ولم يذكر غير ذلك — هكذا روى أبو عمرو فى هذا الخبر ، وقد أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز [الجوهرىّ] قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

قال عبد الله بن مسعدة الفزارىّ : وجّهنى معاوية إلى ملك الروم فدخلت عليه فإذا عنده رجل على سرير من ذهب دون مجلسه ، فكلمنى بالعربية فقلت : من أنت يا عبد الله ؟ قال أنا رجل غَلَب عليه الشقاءُ ، أنا جبلة بن الأيهم ، إذا صرتَ إلى منزلى فالْقَنى ، فلما انصرف أتيتُه فى داره ، فألفيته على شرابه وعنده قينتان تغنيانه بشعر حسان بن ثابت :

قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأس فالجوابى فجانب الجَوْلان

وذكر الأبيات ، فلما فرغتا من غنائهما أقبل علىَّ ثم قال : مافعل حسان بن ثابت ؟ قلت : شيخ كبير قد عَمِى ، فدعا بألف دينار فدفعها إلىّ وأمرنى أن أدفعها إليه

ثم قال : أتُرى صاحبك يفى لى إن خرجْتُ إليه ؟ قال : قلتُ : قل ماشئت أعرضْه عليه قال : يعطينى الثَّنيَّة فإنها كانت منازلنا وعشرين قرية من الغُوطَة منها دَارَيّاً وسَكَّاء ويفرض لجماعتنا ويُحسن جوائزنا . قال : قلتُ : أُبلِّغه ، فلما قدمت على معاوية قال : وددت أنك أجبتَه إلى ما سأل فأجزتُه له ، وكتب إليه معاوية يعطيه ذلك فوجده قد مات ، قال : وقدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت حسان فقلت : يا أبا الوليد ، صديقك جبلة يقرأ عليك السلام ، فقال : هات مامعك قلت : وما علَّمك أنَّ معى شيئا ؟ قال : ما أرسل إلىَّ بالسلام قط إلا ومعه شىء ، قال : فدفعت إليه المال .

أخبرنى إبراهيم بن محمد بن أيوب قال : حدثنا عبد الله بن مسلم قال: حدثنى عبد الرحمن بن أخى الأصمعى ، عن عمه ، عن أهل المدينة قالوا :

بعث جبلة إلى حسان بخمسمائة دينار وكُسًا وقال للرسول : إن وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره ، فجاء فوجده حيا فأخبره فقال : لوددت أنك وجدتنى ميتا .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

صوت

تنصرت الأشراف من عارلطمة وما كان فيها لو صبرتُ لها ضرر

الأبيات الخمسة ، الشعر لجبلة بن الأيهم والغناءُ لعَرِيب نَصْبٌ [١] خفيف وبسيط رمل بالوسطى منها .

صوت

إن ابنَ جفنة من بقيَّةِ معشرٍ لم يَغْذُهم آباؤهم باللُّومِ

الأبيات الأربعة ، الشعر لحسان بن ثابت والغناء لعَرِيب هزج بالبنصر .

(١) النصب : غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق .

حسان والحارث الغسانى :

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىُّ قال : حدثنا عمى يوسف بن محمد قال : حدثنى عمى إسماعيل بن أبى محمد قال : قال الواقدى : حدثنى محمد بن صالح قال :

كان حسان بن ثابت يغدو على جبلة بن الأيهم سنة ، ويقيم سنة فى أهله فقال : لو وَفَدْتُ على الحارث بن أبى شِمْر الغَسَّانىّ فإنّ له قرابة ورَحِماً بصاحبى ، وهو أبذلُ الناس للمعروف ، وقد يئس منى أن أفِد عليه لِمَا يعرف من انقطاعى إلى جبلة ، قال : فخرجت فى السنة التى كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قَدِمتُ على الحارث وقد هيَّأْتُ له مديحا ، فقال لى حاجبه وكان لى ناصحا : إن الملك قد سُرَّ بقدومك عليه ، وهو لايدعك حتى تذكر جبلة ، فإياك أن تقع فيه ، فإنه إنما يختبرك ، وإن رآك قد وقعت فيه زهد فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقل عليه ، فلا تبتدىء بذكره وإن سألك عنه فلا تُطنب فى الثناء عليه ولا تَعِبه ، امْسَحْ ذكرَه مَسْحا وجاوزْه إلى غيره ، فإن صاحبك — يعنى جبلة — أشدُّ إغضاء عن هذا أى أشد تغافلا وأقلُّ حَفْلاً به ، وذلك أن صاحبك أعقل من هذا وأبْيَن وليس لهذا بيان ، فإذا دخلت عليه فسوف يدعوك إلى الطعام ، وهو رجل يثقل عليه أنْ يُؤكل طعامه ولايُبالى الدرهمَ والدينار ، ويثقل عليه أن يُشْرَبَ شرابُه أيضا ، فإذا وضع طعامه فلا تضع يدك حتى يدعوك ، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامه بعضَ الإصابة ، قال : فشكرت لحاجبه ما أمرنى به ، قال : ثم دخلت عليه فسألنى عن البلاد وعن الناس وعن عيشنا بالحجاز وعن رجال يَهُودَ وكيف بيننا من تلك الحروب ، فكل ذلك أُخبره حتى انتهى إلى ذكر جبلة ، فقال : كيف تَجدُ جبلة فقد انقطعت إليه وتركتنا ؟ فقلت : إنما جبلة منك وأنت منه ، فلم أَجْرِ إلى مدح ولاعيب وجاز ذلك إلى غيره ، ثم قال : الغداء ، فأُتى بالغداء ووُضع الطعام فوَضع يده فأكل أكلا شديدا ، وإذا رجل جبَّار ، فقال بعد ساعة : ادْنُ فأصب [من هذا] فدنوت فخططت[1] تخطيطا [خفيفا] وأُتى بطعام كثير

(١) خطط الطعام ، وفى الطعام : أكله قليلا .

ثم رُفع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددُهم ، معهم الأباريق فيها ألوان الأشربة ومعهم مناديل اللين فقاموا على رؤوسنا ، ودعا أصحاب بَرابط من الروم فأجلسهم وشرب فألهوه ، وقام الساقى على رأسى فقال : اشربْ ، فأبيت حتى قال هو : اشرب ، فشربت ، فلما أخذ فينا الشرابُ أنشدته شعرا فأعجبه ولَذَّ به ، فأقمت عنده أياما . فقال لى حاجبه : إن له صديقا هو أخفُّ الناس عليه وهو جاء ، فإذا هو جاء جَفاكَ وخَلَصَ به ، وقد ذُكِر قدومُه فاستأْذِنْه قبل أن يَقْدَم عليه فإنه قبيح أن يجفوك بعد الإكرام ، والإذْنُ اليومَ أحسن ، قلت : ومن هو ؟ قال : نابغة بنى ذُبيان . فقلت للحارث : إنْ رأى الملكُ أن يأذن لى فى الانصراف إلى أهلى فعَل ، قال : قد أذنت لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُساً وحُملان[1] فقبضتها ، وقدم النابغة وخرجت إلى أهلى .

صوت

ألا إن ليلى العامريَّةَ أصبحتْ ... على النأْىِ منى ذنبَ غيرِىَ تَنْقمُ
وما ذاك من شىءٍ أكون اجترمته ... إليها فتَجزِينى به حيث أعلمُ
ولكنَّ إنسانا إذا ملَّ صاحبا ... وحاول صُرْما لم يزل يتجرَّمُ[2]
وما زال بى ما يُحدِثُ النَّأىُ والذى ... أُعالجُ حتى كِدتُ بالعيش أبرَمُ
وما زال بى الكِتمانُ حتى كأننى ... برَجْعِ جوابِ السائلى عنكِ أعجمُ
لأسلمَ من قولِ الوشاة وتسلَمى ... سَلِمتِ وهل حىّ من الناس يسلمُ

عروضه من الطويل ، الشعر لنُصيب ، ومن الناس من يروى الثلاثة الأبيات الأول للمجنون ، والغناء لبُديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله ، فى الأبيات الأول منها ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش ، وذكره حماد بن إسحاق ولم يُجنِّسه ، وفيه لابن سُريج هزَجٌ خفيفَ بالبنصر فى مجراها عن إسحاق فى البيتين الأخيرين وفيه لمعبد فى البيتين الأولين خفيفُ ثقيلٍ أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

(١) الحملان : من معانيه ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .
(٢) الصرم : القطيعة . وتجرم عليه : اتهمه بالجرم .

خبر بديح في هذا الصوت وغيره

بُديحٌ مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديحٌ المليحُ ، وله صنعة يسيرة، وإنما كان يغنى أغانى غيره مثل سائب خاثرٍ ونَشيط وطُوَيسٍ وهذه الطبقة، وقد روى بُديحٌ الحديثَ من عبد الله بن جعفر .

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدثنا العباس بن محمد الدورىُّ قال: حدثنا عاصمٌ النبيلُ ، عن جُوَيرية بن أسماء عن عيسى بن عمر بن موسى ، عن بُديحٍ مولى عبد الله بن جعفر قال :

لما قدم يحيى بن الحكم المدينة دخل إليه عبد الله بن جعفر فى جماعة فقال له يحيى : جئتنى بأوباشٍ من أوباش خَبيثة ، فقال عبد الله : سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وتسميها أنت خبيثة .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : قال داود بن جَميل : حدثنى من سمع هذا الحديث من ابن الحُتْبى يذكره عن أبيه قال :

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه فقال : يا أمير المؤمنين، لو أدخلتَ عليك من يُؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار! قال : لستُ صاحب هزْلٍ ، والجِدّ مع علّتى أحجى بى ، قال : وما علّتُك يا أمير المؤمنين؟ قال : هاج بى عِرْق النَّسا فى ليلتى هذه فبلغ منى ، قال : فإنّ بُديحا مولاى أرقى الناس منه . فوجّه إليه عبدُ الملك، فلما مضى الرسول سُقط فى يدى ابن جعفر وقال : كذبة قبيحة عند خليفة ، فما كان بأسرع من أن طلع بديحٌ فقال : كيف رُقيتَك من عرق النسا ؟ قال : أرْقى الخلقِ يا أمير المؤمنين ، قال فسُرِّى عن عبد الله، لأن بديحا كان صاحب فُكاهةٍ يُعرف بها ، فمدّ رِجله فتَفل عليها ورَقاها مرارا ، فقال عبد الملك : اللهُ أكبر وجدت خِفّا ، ياغلام

ادْعُ فلانة حتى تكتب الرُّقْيَة فإنَّا لا نأمن هَيْجَهَا بالليل فلا نَدْعَرُ بُدَيحا، فلما جاءت الجارية قال بُدَيح: يا أمير المؤمنين، امرأتُه الطلاقُ إنْ كَتَبَتْها حتى تُعَجِّلَ حِبائى، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه قال وامرأتُه الطلاقُ إن كتبتْها أو يصير المال إلى منزلى، فأمر به فحُمل إلى منزله، فلما أحْرزه قال: يا أمير المؤمنين امرأتُه الطلاقُ إن كنتُ قرأت على رجلك إلا أبياتَ نُصيب:

ألا إنَّ ليلى العامريةَ أصبحت على النأْيِ منى ذنبَ غيرىَ تَنْقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها:

ومازلتُ أستصفى لكِ الوُدَّ أبتغى مُحاسَنَةً حتى كأنى مُجرِمُ

قال: ويلكَ، ما تقول؟ قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال، قال: فاكتمها علىَّ، قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البُرُدُ إلى أخيك بمصر؟ فطفِق عبد الملك ضاحكا يفْحَص برجليه.

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنى الأصمعى عن المُنْتَجِعِ النَّبْهانىِّ عن أبيه بهذا الخبر مثل الذى قبله وزاد فى الشعر:

فلا تصرِمينى حِينَ لا لِىَ مَرْجِعٌ ورائى ولا لِى عنكُم مُتقدَّمُ

وقال فيه: فسكَن ما كان يَجِده عبدُ الملك وأمر لبُدَيحٍ بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبُدَيح: ما سمعت هذا الغناء منك َمنذُ ملكْتُك، فقال: هذا من نُتَفِ سائبٍ خاثِرٍ.

أخبرنى إسماعيل قال: حدثنا عمر، قال: حدثنى القاسم بن محمد بن عبَّاد، عن الأصمعى، عن ابن أبى الزّناد، عن نافع — أُراه نافعَ الخيرِ مولى ابن جعفر — بهذا الخبر مثلَه وزاد فيه أن بديحا رفع صوته يغنيه به لما قال له أن يكتب الرقية، وزاد فيه: فجعل عبد الملك يقول: مهلاً يا بديح، فقال: إنما رقيتك كما عُلِّمْتُ يا أمير المؤمنين.

أخبرنى إسماعيل قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنى أبو سَلَمة الغِفارى، عن عبد الله بن عِمْران بن أبى فَرْوة قال:

كان ابن جعفر يحب أن يسمع عبدُ الملك غناءَ بديح، فدخل إليه يوما فشكا إليه عبد الملك رُكبته، فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين إن لى موًلى كانت أمُّه بَرْبريَّةً وكانت ترْقِى من هذه العِلَّة وقد أخذ ذلك عنها، قال: فادْعُ به، فدُعِىَ بديح فجعل يتْفُل على رُكبة عبد الملك ويُهَمْهِم ثم قال: قم يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداك، فقام عبد الملك لا يجد شيئا، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، مولاك لا بدّ له من صلة، قال: حتى نكتب رُقْيَتَه، ثم أمر جارية له فكتبت: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم، قال: كيف يكون ويلك رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: فهو ذلك، قال: فاكتبها عَلى ما فيها، فأملى عليها قوله:

دِيارَ سُلَيْمى بين عَبَقْةَ فالمهْدِى[1] ... سُقِيتِ وإن لم تَنْطق سبَلَ الرعْد

ثم قال له ابن جعفر: لو سمعته منه، قال: أَوَ يُجيد؟ قال: نعم، قال: هات، فما برح والله حتى أفرغها فى مسامعه.

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال: حدثنى عمى عبيد الله قال:

حدثنى سليمان بن أبى شَيخ قال: كنا عند أبى نُعيم الفضل بن دُكَين، فجاءه رجل فقال: يا أبا نُعيم إن الناس يزعمون أنك رافِضىّ قال: فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وهو يبكى وقال: يا هذا أصبحت فيكم كما قال نُصيب:

وما زال بى الكِتْمان حتى كأننى ... برَجْعِ جوابِ السائلِى عنكِ أعجمُ

لِأسلَم من قوْل الوُشاةِ وتَسْلَمى ... سَلِمْتِ وهل حىّ من الناس يسلمُ؟

صوت

يا غرابَ البين أسمعْتَ فقُلْ ... إنما تنطق شيئا قد فُعِلْ

---

(١) عبقة والمهدى: لاشك موضعان، وتوجد عبقة فى معجم البلدان فى «عيقة»، أما المهدى. فلا توجد به. وفى مخطوط: عتبه، ومخطوط: عيقة.

إنّ للخير وللشرّ مَدىً لكلا ذينِك وقتٌ وأجَلْ
كُلُّ بُؤْسٍ ونعيم زائلٌ وبناتُ الدهرِ يلعبْنَ بِكُلّ
والعطيّاتُ خِساسٌ بينهمُ وسَواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

الشعر لعبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيّ يقوله فى غزاة أُحد وهو يومئذ مشرك ، والغناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو ، على مذهب إسحاق ، وفيه لحن لابن مِسْجَحٍ من رواية حماد عن أبيه فى كتاب ابن مِسْجَح :

نسب ابن الزبعرى وأخباره

وقصة غزوة أُحد

هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عدىّ بن سعد [١] بن سَهْم بن عمرو ابن هُصَيْصِ بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خُزيمة بن مدرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار ، وهو أحد شعراء قريش المعدودين ، وكان يهجو المسلمين ويُحرِّض عليهم كفارَ قريش فى شعره ، ثم أسلم بعد ذلك فقبِل النبى صلى الله عليه وسلم إسلامه وآمنه يوم الفتح ، وهذه الأبيات يقولها ابن الزبعرى فى غزوة أحد :

حدثنا بالخبر فى ذلك محمد بن جرير الطبرى قال : حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى محمد بن مُسْلِم بن عبد الله ابن شِهاب الزُّهرِىّ ، ومحمد بن يحيى بن حبّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدّث ببعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثهم كلُّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أحد قالوا :

لما أصيبت قريش — أو منْ قاله منهم : يوم بَدْرٍ من كفار قريش من أصحاب القَلِيب — فرجعَ فَلُّهُمْ إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبى رَبيعة ، وعِكرمةُ بنُ أبى جهل ، وصَفوان بن أمية ، فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم [وأبناؤهم] وإخوانهم ببدر ، فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومن كان لهم فى تلك العِير من قريش تجارةٌ ، فقال أبو سفيان : يا معشر قريش إن محمدا قد وَتَرَكم وقتلَ خيارَكم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك ثأرا بمن أصيب منا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله

(١) فى الإصابة سعيد . وفى الاستيعاب : سعد ، وانظر جمهرة أنساب العرب ١٥٤ — ١٥٦ .

صلى الله عليه وسلم ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحابُ العير بأحابيشها ، ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة وكلٌّ أولئك قد استَعْوَوا[١] على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عَزَّة عمرو بنُ عبد الله الجُمحىُّ قد مَنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فى الأُسارى فقال : يا رسول الله إنى فقير ذوعِيال وحاجةٍ قد عرفتَها ، فامنُنْ علىَّ صلى الله عليك ، فمَنَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فاخرج معنا فأَعِنّا بلسانك ، فقال : إن محمدا قد مَنّ علىَّ فلا أُريد أن أُظاهر عليه ، قال : بلى ، فأَعِنّا بنفسك ، ولك الله إن رجعتَ أن أُغنيك وإن أُصبتَ أن أجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عُسر أو يسر ، فخرج أبو عزة يسير فى تِهامة ويدعو بنى كنانة ، وخرج مُسافع بن عَبْدَة بن وهب بن حُذافة بن جُمح إلى بنى مالك بن كنانة يُحرِّضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا جُبَيرُ بن مُطْعِم غلاما له يقال له وَحشىٌّ ، وكان حبشيا يقذِف بحربة له قَذْفَ الحبشة قلّما يخطىء بها ، فقال : اخرج مع الناس فإن أنتَ قتلتَ عَمَّ محمدٍ بعَمِّى طُعَيْمةَ بنِ عَدِىٍّ فأنت عتيق ، وخرجت قريش بِحَدِّها وأحابيشها ومن معها من بنى كِنانة وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُنِ التماسَ الحفيظةِ ولئلا يفرُّوا ، وخرج أبو سفيان بن حرب — وهو قائد الناس — معه هندُ بنت عُتبة بن رَبيعة ، وخرج عِكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة [بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة] [٢] وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزَةَ — وقيل : ببرةَ ، من قول أبى جعفر — بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان ، وخرج عمرو بن العاص [بن وائل بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص] [٢] وخرج طلحة ابن أبى طلحة — وأبو طلحة عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار —

---

(١) استعووا . نعق بهم إلى الفتنة .

(٢) زيادة من الطبرى ، فالنص منقول عنه ، ويتفق فى لفظه .

بسُلافة بنت سعيد بن سهم [١] وهى أم بنى طلحة مُسافعٍ والجُلاس وكِلاب ، قتلوا يومئذ وأبوهم ، وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضَرّب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزّة [٢] بن عمير وهى أم مُصعبِ بن عُمير وخرجت عَمْرة بنت علْقمة إحدى نساء بنى الحارث [بن عبد مناة] بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة إذا مرّتْ بوحشىّ أو مرّ بها قالت : إيه أبا دُسمة [٣] [اشفِ و] اشتفِ [وكان وحشى يكنى أبا دُسمة فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن] السَّبْخَة [٤] من قناة على شَفير الوادى مما يلى المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيث [نزلوا] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت بقَرا تُذبح [٥] فأوّلتها خيرا ، ورأيت فى ذُبابِ سيفى ثَلْما ، ورأيت أنى أدخلْتُ يدى فى دِرْع حصينة وهى المدينة ، فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مُقام ، وإن هم دخلوا علينا فيها قاتلناهم .

ونزلت قريشٌ منزلها من أُحدٍ يوم الأربعاء ، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحد ، فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال ، وكان رأى عبدِ الله بن أُبَىّ بنِ سلُول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه فى ذلك أن لا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم اللهُ جلّ ثناؤه بالشهادة يوم أُحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضُورُه : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرَوْن أنا جَبُنّا عنهم وضعُفْنا . فقال عبد الله بن أُبَىّ بن سلُول ، يارسول الله أقِم بالمدينة ولاتخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى

(١) فى الطبرى : سعد بن شهيد ، وفى مخطوط : سعد بن سهيل .

(٢) فى الطبرى : أبى عزيز .

(٣) فى مخطوط : رسمة .

(٤) فى مخطوط : الشيحة .

(٥) لاتوجد كلمة تذبح فى مخطوط ولا فى الطبرى .

عدوٍ قطّ إلا أصاب منا ولا يدخلها علينا إلا أصبْنا منه ، فدعْهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوق رءوسهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا .

فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء العدوّ حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأْمَتَهُ وذلك يوم الجمعة حين فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالكُ بنُ عمرٍو أحدُ بنى النجّار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا : يارسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعُد صلى الله عليك ، فقال عليه السلام : ما ينبغى للنبىّ إذا ليس لأْمته أن يضعها حتى يقاتل .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول بثُلُثِ الناس وقال : أطاعهم فخرج وعصانى ، واللهِ ما ندرى علامَ نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق والرَّيْب واتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام أحدُ بنى سَلَمة يقول : يا قوم أُذكركم اللهَ أن تخذُلوا نبيكم وقومَكم عند ما حضر من عدوّهم، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلَمْناكم ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ، فلما استعْصَوْا عليه وأبَوْا إلاّ الانصراف قال : أبْعَدَكم اللهُ أعداءَ الله فسيُغنى الله عز وجلّ عنكم .

وقال محمدُ بنُ عمرَ الواقِدِىُّ : انخزل عبد الله بن أُبَىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشَّيْخين بثلاثمائة ، فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَبْعِمائةٍ ، وكان المشركون فى ثلاثة آلاف ، والخيل مائتا فارس، والظُّعُنُ خمسَ عشرةَ امرأةً ، قال : وكان فى المشركين سَبْعُمائةِ دارعٍ ، وكان فى المسلمين مائةُ دارع ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسانِ فرسٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأبى بُرْدَةَ بن نِيارٍ الحارثىّ ، فأدْلَجَ رسول الله

صلى الله عليه وسلم من الشَّيْخَيْنِ حتى طلع الحمراءَ وهما أُطُمان كان يهوديّ ويهوديّةٌ أعميان يقومان عليهما فيتحدّثان فلذلك سُمّيا الشَّيْخَيْنِ ، وهو فى طرف المدينة ، قال : وعرضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُقاتِلةَ بالشيْخين بعد المغرب ، فأجاز من أجاز وردّ من ردّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيدُ بن ثابت وابنُ عمر ، وأُسيْدُ بن ظُهير ، والبراءُ بن عازب ، وعرَابةُ بن أوْس ، قال : وهو عرَابةُ الذى قال فيه الشمّاخ :

إذا ما رايةٌ رُفِعتْ لمجْدٍ تلقّاها عرَابةُ باليَمِينِ [١]

قال : وردّ أبا سعيد الخُدْرِيَّ وأجاز سَمُرَةَ بن جُنْدب ، ورافعَ بن خَدِيجٍ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر رافعا فقام على خُفَّين له فيهما رِقاعٌ ، وتطاول على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أجازه .

قال محمد بن جرير : فحدثنى الحارث قال : حدثنا ابنُ سعد قال : أخبرنا ابن عمر قال :

كانت أم سَمُرة تحت مُرَىّ بن سِنان [٢] بن ثعلبة عمّ أبى سعيد الخُدْرِيّ وكان رَبِيبَه، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، وعرض أصحابه فرَدّ من استصغر ، ردّ سَمُرة بن جُنْدب ، وأجاز رافعَ بن خَدِيج ، فقال سمرة لربيبه مُرَىّ بن سنان : يا أبت أجاز رافعا وردّنى وأنا أصْرعه ، فقال [مُرَىّ ابن سنان] يارسول الله ردَدْت ابنى وأجزت رافع بن خَدِيج وابنى يصرعه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرافع وسمرة : اصْطَرِعا ، فصرع سمرةُ رافعا ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدها مع المسلمين . وكان دليلَ النبىّ صلى الله عليه وسلم أبو حَثْمةَ [٣] الحارثىُّ .

---

(١) قبله فى الطبرى :

رأيت عرابة الأوسى ينمى إلى الخيرات منقطع القرين

(٢) فى الإصابة : اسمه مرى بن سنان بن عبيد بن ثعلبة .

(٣) فى المطبوع : أبو خيثمة ، وهو خطأ ، انظر الإصابة والطبرى .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرَّة بنى حارثة فذَبَّ فرسٌ بذَنبه فأصاب كُلاَّب سيفه فاستلَّه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان يحب الفأل ولا يعتاف — لصاحب السيف : شِم[1] سيفك فإنى أرى السيوف ستُسَلّ اليوم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من يخرج بنا على القوم من كَثَبٍ من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خَيْثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدَّمه فنفذ به فى حَرَّةِ بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك به فى مال المِربَع بن قَيْظِىّ[2] وكان رجلا منافقا ضرير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَحْثى التراب فى وجوههم ويقول : إن كنت رسول الله فلا أُحِلُّ لك أن تدخل حائطى ، وقد ذُكِر لى أنه أخذ حَفْنة من تراب فى يده ثم قال : لو أنى أعلم أنى لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفعلوا فهذا الأعمى البصرِ الأعمى القلب ، وقد بَدَر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فضربه بالقوس فى رأسه فشجَّه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حتى نزل الشِّعب من أحد فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد وقال : لا يُقاتِلَنَّ أحدٌ أحداً حتى نأمُرَهُ بالقتال . وقد سرَّحَتْ قريشٌ الظَّهْرَ والكُراع[3] فى زروع كانت بالصَّمْغَةِ من قناة للمسلمين ، فقال رجل من المسلمين حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أَتُرْعَى زروع بنى قَيْلَة ولمَّا نُضارب ؟

وتعبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سبعمائة رجل ، وتعبَّت

(١) شم سيفك : أغمده ، من شامه يشيمه .

(٢) فى مخطوط : قيظى .

(٣) الظهر : الركاب التى تحمل الأثقال . والكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

قريش وهم ثلاثةُ آلاف ومعهم مائتا فارس قد جَنَبُوا [١] خيولهم فجعلوا على ميمنة الخيل خالدَ بن الوليد وعلى ميسرتها عِكرمة بن أبى جهل، وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم [على الرماة] عبدَ الله بن جُبير أخا بنى عمرو بن عَوف وهو يومئذ مُعْلَمٌ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا وقال: انْضَحْ عنا الخيلَ بالنَّبْل لايأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبُتْ بمكانك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلِك. وظَاهَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين.

قال محمد بن جرير: فحدثنا هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المِقدام قال: حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال:

لما كان يوم أُحد ولَقِى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين أجلس رسول الله رجالا بإزاء الرُّماة، وأمَّر عليهم عبدَ الله بن جُبير وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم وإن رأيتمونا ظَهَرْنا عليهم وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تُعينونا، فلما لَقِى القومَ هزَم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهن وبدتْ خلاخيلهن فجعلوا يقولون: الغنيمةَ الغنيمةَ، فقال عبدُ الله: مهلاً أَمَا علمتم ما عَهِد إليكم رسولُ الله؟ فأبَوْا فانطلقوا، فلما أتوهم صرف الله وجوههم فأُصِيب من المسلمين سبعون رجلا.

قال محمد بن جرير: حدثنى محمد بن سعد قال: حدثنى أبى قال: حدثنى عمى قال: حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قال:

أقبل أبو سفيان فى ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أُحُداً، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَذَّن فى الناس فاجتمعوا، وأمَّرَ الزُّبيرَ على الخيل ومعه يومئذ المِقْدادُ الكِندى، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايةَ رجلا من قريش يقال له مُصعب بن عُمير، وخرج حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه بالجيش [٢]، وبَعَثَ حمزةَ بين يديه، وأقبل خالدُ بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبى جهل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) جنبوه: جعلوها إلى جنبهم.
(٢) فى الطبرى: بالحسر.

الزبير وقال : استقبِلْ خالدَ بن الوليد فكنْ بإزائه حتى أوذِنَك ، وأمر بخيل أُخرى فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرَحُنَّ حتى أوذنَكم .

وأقبل أبو سفيان يحمل اللاَّتَ والعُزَّى ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يَحْمِل ، فحمل على خالد بن الوليد ، فهزمه الله تعالى ومن معه ، فقال جل وعز « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ » إلى قوله تبارك وتعالى اسمه « مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ »[1] وإن الله تعالى وعد المؤمنين النصر وإنه معهم . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسا من الناس فكانوا من ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا هاهنا ، فرُدُّوا وجه من فرَّ منا وكونوا حرَسا لنا مِن قِبَلِ ظهورنا وإنه عليه السلام لما هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعِلوا من ورائهم بعضُهم لبعضٍ ورأوا النساء مُصْعِداتٍ فى الجبل ورأوا الغنائم : انْطَلِقُوا إلى رسول الله وأدْرِكوا الغنائم قبل أن تُسْبَقوا إليها ، وقالت طائفة أخرى : بل نطيعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا ، فقال ابن مسعود : ما شعرت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعَرَضَها حتى كان يومئذ .

قال محمد بن جرير : حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن المُفضَّل : حدثنا أسباط عن السُّدِّىّ قال :

لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحدٍ إلى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصْلِ الجبل فى وجوه خيلِ المشركين وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم قد هزمناهم فإنا لانزال غالبين ما ثبتُّمْ مكانَكُم وأمَّرَ عليهم عبدَ الله بن جُبَيْر أخا خوَّاتِ بنِ جبير ، ثم إن طلحة بنَ عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال : يامعاشر أصحابِ محمد ، إنكم تزعمون أن الله عز وجل تعجِّلنا بسيوفكم إلى النار وتعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفى إلى الجنة أو يعجلنى بسيفه إلى النار ؟ فقام إليه علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فقال : والذى نفسى بيده لاأفارقك حتى يُعَجِّلَكَ الله عز وجل بسيفى إلى النار أو يُعجِّلَنى بسيفك إلى الجنة ،

(١) سورة آل عمران ١٥٢ .

فضربه على فقطع رجله، فبدت عورته فقال: أنشدك الله والرحم يابن عم، فتركه فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لعلىّ أصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: إنّ ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه، ثم شدّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم، وحمل النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أباسفيان، فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقطع، فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم: لانترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد قلة الرماة صاح فى خيله ثم حمل فقتل الرماة، وحمل على أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم، فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم.

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة أخو بنى ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به فى العدوّ حتى ينحنى، فقال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم على رأسه بعصابة له حمراء علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أخذ عصابته تلك فعصب بها رأسه، ثم جعل يتبختر بين الصفين.

قال محمد بن إسحاق: حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر: إنها مشية يبغضها الله إلا فى هذا الموطن.

وقد أرسل أبو سفيان رسولا فقال : يا معشر الأَوس والخزرج خَلُّوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرِفْ عنكم فإنه لا حاجة بنا إلى قتالكم . فردُّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة :

أن أبا عامرٍ عمرَو بن (١) صَيْفِيّ بن النُّعمان بن مالك بن أُمية أحدَ بنى ضُبَيْعَة وقد كان خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما من الأَوس منهم عثمان بن حُنَيف وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر ، فكان يَعِدُ قُريشا أن لو قد لقى محمدًا لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناسُ كان أوّلَ من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وَعُبْدانِ أهلِ مكة ، فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعَمَ اللهُ بك عينا يا فاسق وكان أبو عامر يُسمى فى الجاهلية الراهبَ ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسقَ ، فلما سمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شَرّ ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضَخَهم بالحجارة .

وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدّار يحرضهم بذلك على القتال : يا بنى عبد الدار إنكم وَلِيتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤْتَى الناسُ من قِبَلِ راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تَكْفُونا لواءنا ، وإما أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكموه ، فهَمُّوا به وتوعَّدوه وقالوا : نحن نُسْلِم إليك لواءنا ؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ، وذلك الذى أراد أبو سفيان ، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللواتى معها ، وأخذن الدُّفوفَ يضرِبن خلف الرجال ويُحرّضن ، فقالت هند فيما تقول :

إنْ تُقْبِلوا نُعانِقْ ... ونفْرِشِ النّمارِقْ
أوْ تُدْبِرُوا نُفارِقْ ... فراقَ غيرِ وامِقْ

(١) فى الطبرى : عبدعمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان .

وتقول :

إيها[1] بنى عبد الدّارْ • إيها حماةَ الأدْبارْ • ضَرْبا بكُلّ بتّارْ

واقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن فى الناس ، وحمزةُ بن عبد المطلب وعلىُّ بن أبى طالب رضى الله عنهما فى رجال من المسلمين فأنزل الله نصره وصَدَقهم وعده ، فحَسُّوهم[2] بالسيف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لاشكّ فيها .

وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدّه قال :

قال الزُّبَير : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى هند بنتِ عتبة وصواحبها مُشَمِّراتٍ هَوَارِبَ ما دون أخْذِهنّ[3] قليلٌ ولا كثير إذ مالت الرُّماةُ إلى العسكر حين كشفْنا القومَ عنه يُريدون النهْبَ ، وخلَّوْا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا ، وصرخ صارخٌ : ألا إنّ محمداً قد قُتل ، فانكفأْنا وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو إليه أحد من القوم .

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عَمْرَةُ بنتُ علقمةَ الحارثية فرفعتْه لقريش فلاذوا بها ، وكان اللواء مع صؤاب غلامٍ لبنى أبى طلحة حبشىّ ، وكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتل حتى قُطِعتْ يداه ، فبرك عليه وأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهمّ قد أَعذرْتُ ، فقال حسان بن ثابت فى قطع يد صؤاب حين تقاذفوا بالشعر :

فخَرْتُم باللّواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حينَ رُدَّ إلى صؤابِ
جعلتمْ فخرَكمْ فيها لعبْـــدٍ ... مِنَ الأَمِ مَن وَطِى عفَرَ التّرابِ
ظننتمْ والسّـفيهُ له ظُنونٌ ... وما إنْ ذاك من أمْرِ الصّوابِ
بأنّ جِــلادَنا يومَ التقَينا ... بمكّةَ بَيْعُكم حُمْرَ العيابِ
أقرّ العينَ أنْ عُصِبتْ يداه ... وما إنْ يُعْصَبانِ على خِضابِ

(١) فى الطبرى : ويها .
(٢) حسوهم : قتلوهم واستأصلوهم .
(٣) فى مخطوطتين : إحداهن .

قال محمد بن جرير : وحدثنا أبو كُرَيب قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال : حدثنا حبَّان بن علىّ ، عن محمد بن عبيد الله بن أبى رافع ، عن أبيه ، عن جدّه قال :

لما قُتِل أصحاب الألوية يوم أُحد قتلهم علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، أبصَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من مشركى قريش فقال لعلىّ : احْمِلْ عليهم ، فحمل علىّ ففرّق جمعهم وقتل عمرَو بنَ عبد الله الجمحىَّ ، ثم أبصر جماعة من مُشركى قريش فقال لعلىّ : احمل ، فحمل علىّ ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحدَ بنى عامر بن لُؤىّ ، فقال جبريل عليه السلام : [يا رسول الله] إن هذه لَلمُواساةُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو منى وأنا منه ، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ، قال : فسمعوا صوتا :

لا سيفَ إلا ذو الفقا رِ ولا فَتَى إلاَّ على

فلما أُتِى المسلمون من خلفهم انكشفوا ، وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لمَّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثا : ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلث منهزم وقد جهدته الحرب حتى مايدرى مايصنع ، وأُصيبت رَباعيَتُهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّفلى ، وشُقَّتْ شَفَتُهُ وكُلِمَ فى وجْنته وجبهته فى أصول شعره ، وعلاه ابن قَميئة بالسيف على شِقّه الأيمن ، وكان الذى أصابه عتبةَ بنَ أبى وقّاص .

قال محمد بن جرير : وحدثنا ابن بشَّارٍ[١] قال : حدثنا ابنُ أبى عَدِىّ ، عن حُميد ، عن أنس بن مالك قال :

لما كان يوم أُحد كُسِرَت رَباعِيَتُهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وشُجّ فجعل الدم يسيل على وجهه [وجعل يمسح الدم عن وجهه] ويقول : كيف يُفلح قوم خَضبوا وجه نبيِّهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله تعالى ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ : « ليسَ لكَ مِنَ الأمرِ شَىْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ »[٢] الآية ، وقد

(١) فى مخطوط : يسار ، أما الطبرى فكما بالأصل .

(٢) سورة آل عمران ١٢٨ .

[قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : مَنْ رجلٌ يَشْرى لى نفسه ؟

قال محمد : فحدثنى ابن حُميد قال : حدثنا سَلَمة قال : حدثنى محمد بن إسحاق قال : حدثنى الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعاذ ، عن محمود ، عن عمرو بن يزيد بن السَّكن [قال :

فقام زياد بن السَّكن] فى نفرٍ خمسةٍ من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنما هو عُمارة بن زياد بن السَّكَن ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ثم رجلا يُقْتَلون دونه ، حتى كان آخرهم [زياد أو] عمارة بن زياد بن السَّكَن ، فقاتل حتى أثبتَتْه الجِراحة ، ثم فاءت من المسلمين فئةٌ حتى أجْهَضُوهم [1] عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدْنُوه منى ، فأدْنَوْه منه فوسَّدَه قدَمه ، فمات وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتَرَّس من دون النبىّ صلى الله عليه وسلم أبو دُجانة بنفسه يَقَعُ النَّبْلُ فى ظهره وهو مُنْحَنٍ عليه حتى كَثُرَت فيه النَّبل ، ورمى سعد بن أبى وقَّاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال سعد : فلقد رأيته يُناولنى ويقول : [ارْمِ] فِداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم مافيه نَصْلٌ فيقول : ارمِ به .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رَمى عن قوسه حتى اندَقَّتْ سِيَتُها ، فأخذها قَتادةُ بن النُّعمان فكانت عنده ، وأصيبتْ يومئذ عَيْنُ قتادةَ حتى وقعت على وَجْنَتِه .

عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّها بيده فكانت أحْسَنَ عينيه وأحدَّهما وقاتل مصعب بن عُمَير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لِواؤه حتى قُتِل ، وكان الذى أصابه ابن قميئة اللَّيْثىّ وهو يظنّ أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أجهضوهم : أبعدوهم ونحوهم .

فرجع إلى قريش فقال : قد قتلت محمدا ، فلما قُتِل مصعبُ بن عمير أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللّواءَ عليَّ بن أبى طالب عليه السلام .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حتى قتل أرطاةَ بن شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء، ثم مرَّ به سِباعُ بن عبد العُزّى الغُبْشانىّ ، وكان يكنى أبا نيارٍ فقال له حمزةُ : هَلُمَّ إلىّ يا ابن مُقَطِّعَة البُظُور ، وكانت أمه [أم أنمار] ختانةً [بمكة] مولاة شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفىّ ، فلما التقيا ضربه حمزة عليه السلام فقتله ، فقال وحشىٌّ غلامُ جُبَيرِ بن مُطْعِم : إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدُّ الناسَ بسيفه ما يُلِيقُ شيئا يَمُرُّ به [١] مثل الجمَل الأورق ، إذ تقدَّمنى إليه سِباعُ بنُ عبد العُزّى فقال له حمزة : هلُمَّ إلىّ يا ابن مُقَطِّعة البُظور فضربه فكان ما أخطأ رأسه ، وهززْتُ حربتى حتى إذا ما رضيتُ دفعتُها عليه ، فوقعتْ فى لَبَّتِه [٢] حتى خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوى فغُلِب فوقع ، فأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ، ثم تنحَّيت إلى العسكر ولم يكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

وقد قتل عاصمُ بنُ ثابت بن أبى الأقلَح أحدُ بنى عمرو بن عوفٍ مُسافِعَ ابنَ طلحة ، وأخاه كِلابَ بن طلحة ، كلاهما يُشْعِره [٣] سَهْما فيأتى أُمَّهَ سُلافة ، فيضع رأسه فى حجرها فتقول : يابنىّ من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا يقول حين رمانى : خُذْها إليك وأنا ابن الأقلح ، فتقول : أقلَحىّ ، فنذرتْ لله إنِ اللهُ أمكنها من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله عزّ وجلّ أن لا يمسَّ مُشركا ولا يمسه [٤] .

عن ابن إسحاق قال : حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عَدِىّ ابن النجّار قال :

(١) يهد الناس : يقطعهم سريعا . والسيف ما يليق شيئا يمر به : أى لا يمر بشىء إلا قطعه .
(٢) اللبة : موضع القلادة من الصدر .
(٣) يشعره سهما : يخالطه به ، أى يقذفه به فيصيبه .
(٤) انظر حماية النحل له من المشركين يوم مات فى الإصابة ترجمته .

انتهى أنسُ بن النَّضْر عمُّ أنسِ بن مالك إلى عمرَ بنِ الخطّاب وطلحةَ ابنِ عبيد الله فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد أَلْقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم هاهنا ؟ قالوا : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا كراما على ما مات عليه [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ثم استقبل القومَ فقاتل حتى قُتِل . وبه سُمّىَ أنسُ بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدثنى حُمَيد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : لقد وجدْنا بأنسِ بنِ النضر يومئذ سبعين ضربةً وطعنةً فما عرفتْه إلا أختُه ، عرفته بحُسْنِ بنانِه .

عن ابن إسحاق قال : كان أولَ من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم – بعد الهزيمةِ وقولِ الناس : قُتِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى ابنُ شهاب الزهرىّ قال – كعبُ بن مالك أخو بنى سَلِمَةَ قال : عرفت عينيه تَزْهَرانِ[1] تحت المِغْفَر ، فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلىَّ عليه السلام أنْ أنْصِتْ ، فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشِّعب معه أبو بكر بن أبى قُحافة وعمرُ بن الخطاب وعلىٌّ بن أبى طالب وطلحةُ بن عبيد الله والزُّبير بن العوام والحارث بن الصِّمَّة فى رهْطٍ من المسلمين رضى الله عنهم أجمعين ، فلما أُسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركَهُ أُبَىُّ بنُ خلَفٍ وهو يقول : يا محمد لا نجوتُ إنْ نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله أيعطفُ عليه رجل منا؟ فقال : دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربَةَ من الحارث بن الصمَّة – قال : يقول بعض الناس فيما ذُكر لى – فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعْرَاء[2] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ بها[3]

(١) تزاهران : تتلألآن .

(٢) الشعراء : ذباب أزرق ، وقيل : أحمر ، يقع على الإبل والحمير والكلاب .

(٣) تدأدأ : تمايل أو تدحرج .

عن فرسه مرارا ، وكان أُبيُّ بن خلف — كما حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن صالح ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف — يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندى العَوْدَ أعلفه كلّ يوم فَرْقا [١] من ذُرَة أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى ، فلما رجع إلى قريش وقد خدَشه فى حلقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال : قتلنى والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك ، والله ما بك بأس ، قال : إنه كان بمكة قال لى : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق علىّ لقتلنى . فمات عدوُّ الله بسَرِف وهم قافلون به إلى مكة .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشِّعب خرج علىُّ بن أبى طالب حتى ملأ دَرَقَتَه من المِهْراس ، ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب منه وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتدّ غضبُ الله عز وجل على من دَمّى وجهَ نبيِّه .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى صالح بن كَيْسان ، عمن حدثه .

عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يقول : والله ما حَرَصْتُ على قتل رجل قطُّ ما حَرَصْتُ على قتلِ عُتبة بن أبى وقاص ، وإنْ كان ما علمتُ لَسَيِّئَ الخُلُق مُبْغَضًا فى قومه ، ولقد كفانى منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضبُ الله على من دَمّى وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان قال :

خرجتْ هندُ والنسوة اللواتى معها تَمْثَلْنَ بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يَجْدَعْنَ الآذانَ والأُنُف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأُنُفِهم خدَمًا وقلائد ، وأعطت خدَمَها [٢] وقلائدها وقُرْطَها [٣] وَحْشِيا غلامَ جبير

(١) العود : المسن من الإبل . والفرق : مكيال بالمدينة .

(٢) الخدم ، جمع خدمة : وهى الخلخال .

(٣) فى مخطوطة : ومرطها . وفى الطبرى : وقرطتها .

ابنُ مُطعم ، وبقَرَتْ عن بطن حمزة عليه السلام فأخرجت كبدَه فلاكَتها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظَتها ثم علَتْ على صخرةٍ [مُشرفةٍ] فصاحت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : حدثني صالح بن كيسان أنه حُدِّث :

أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابن الفُريعة لو سمعت ماتقول هند ورأيت أشَرَها قائمةً على صخرة ترتجزُ بنا وتذكر ما صنعتْ بحمزة، قال له حسان : والله إنى لأنظر إلى الحربةِ تهوى وإنى على رأس فارعٍ يعنى أُطُمه ، فقلت : والله إن هذه لسلاحٌ ما هى بسلاحِ العرب وكأنها إنما تهوى [إلى حمزة] ولا أدرى ،أَسمِعْنِى بعضَ قولها أكْفِكُمُوها : قال : فأنشده عمرُ بعضَ ما قالت ، فقال حسان يهجو هِنْداً :

أشِرَتْ لَكَاعِ وكان عادَتُها ... لُؤماً إذا أَشِرَتْ من الكُفْرِ
لعن الإلهُ وزوجَها معها ... هندَ الهنود طويلةَ البَظْرِ
أخرَجْتِ مُرْقِصَةً إلى أُحد ... فى القوم مُقْتَبِةً على بَكْرِ
[بَكْرٍ ثِفالٍ لا حراك بِهِ ... لا عن مُعاتَبَةٍ ولا زَجْرِ][1]
وعَصاكِ إسْتُكِ تتَّقِينَ بها ... دُقَّ عِجانك منك بالفِهْرِ[2]
قَرِحَتْ عجيزَتُها ومَشْرَجُها ... من دأْبِها نَصًّا على القَتْرِ[3]
ظلَّتْ تُداويها زميلَتُها ... بالماء تنضحُه وبالسِّدْرِ
أخرجْتِ ثائرةً مُبادِرَةً ... بأبيك وابنك يَوْمَ ذى بَدْرِ[4]
وبعمِّكِ المستوهِ فى وَدَعٍ ... وأخيك مُنْعَقِرين فى الجفْرِ[5]

(١) الثفال : البطىء من الدواب . هذا ، والزيادة من مخطوط والطبرى .
(٢) العجان : الاست . والفهر : الحجر . وفى الطبرى : دق العجاية هند بالفهر .
(٣) النص : الاستحثاث للناقة واستقصاء آخر ماعندها من السير . والقتر : الناحية والجانب . وفى الديوان : من نصها نصاعل القهر . والمشرج : موضع الشرج ، وهى العصبة التى بين الدبر والفرج .
(٤) فى الأصول : « فاتك يوم ذى بدر » ، والتصويب من الديوان والطبرى .
(٥) الودع : خرز أبيض فى بطنه شق ، والمنعقر : المقطوع القوائم أو الرأس . والجفر : البئر الواسعة . وفى الديوان والطبرى : منعفرين . والمنعفر : الممرغ فى التراب .

ونسيتِ فاحشةً أتيتِ بها ... ياهندُ ويحكِ سبَّةَ الذكرِ[١]

فرجعتِ صاغرةً بلا تِرَةٍ ... منَّا ظفرتِ بها ولا نصرِ

زعم الولائدُ أنها ولَدتْ ... ولدا صغيرا كان من عُهْرِ

قال محمد بن جرير : ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم — فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال : حدثنا مُصعبُ بن المِقدام قال : حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابنُ وكيع قال : حدثنا أبى ، عن إسرائيل : قال حدثنا ابن إسحاق عن البراء قال : ثم إن أبا سفيان أشرف علينا — فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، مرتين [ثم قال : أفى القوم ابنُ أبى قحافة ؟ ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه ، ثم قال : أفى القوم ابنُ الخطاب ؟ ثلاثا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجيبوه] ثم التفت إلى أصحابه فقال : أمَّا هؤلاء فقد قتلوا ، لو كانوا فى الأحياء لأجابوا . فلم يملك عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفسَه أن قال : كذبْتَ يا عدوَّ الله ، قد أبقى الله لك ما يُخزيك ، فقال : اعلُ هُبَلُ اعلُ هُبَلُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : اللهُ أعلى وأجلّ . قال أبو سفيان : لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحربُ سِجال ، أما إنكم ستجدون فى القوم مُثْلَةً[٢] لم آمرْ بها ولم تسُؤْنى ، قال ابن إسحاق فى حديثه : لما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلمَّ ياعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائته فانظر ما شأنُه ، فجاءه فقال له أبوسفيان : أنْشُدُكَ اللهَ ياعمر أقتلنا محمدا ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامكَ الآن ، قال : أنت أصدقُ عندى من ابن قميئة وأبرّ — لقول ابن قميئة لهم : إنى قتلت محمدا — ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كانَ مُثْلةٌ واللهِ ما رضيتُ ولا سخطتُ ولا أمرتُ ولا نهيتُ .

---

(١) سبة الذكر : أى سيئة الذكر . وفى الطبرى والديوان : سبة الدهر .

(٢) المثل : التمثيل والتنكيل بالقتيل .

وقد كان الحُلَيس بن زَبَّان أخو بنى الحارث بن عبد مناة وهو يومئذ سيِّدُ الأحابيش قد مرّ بأبى سفيان بن حرب وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب عليه السلام [يَزُجُّ بالرمح] وهو يقول : ذُقْ عُقَق ، فقال : الحُليس : يا بنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه – كما ترون – لحمًّا [١] فقال : اكتُمْها علىّ فإنها كانت زَلَّة ، قال : فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدرٌ للعام المقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجل من أصحابه : قل : نعم هى بيننا وبينك موعد .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب عليه السلام فقال : اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ؟ فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزنّهم ، قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر مايصنعون ، فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : أىّ ذلك كان فأَخْفِه حتى تأتينى ، قال علىّ : فلما رأيتهم قد توجَّهوا إلى مكة أقبلت أصيح ، ما أستطيع أن أكتم الذى أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا بى من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة . وفرغ الناسُ لقتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : – كما حدثنا ابن حُميد قال : حدثنا سلمة قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن أخى صعصعة المازنىّ أخى بنى النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : – من رجلٌ ينظر لى ما فعل سعدُ بن الرّبيع – وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج – أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل : فنظر فوجده جريحا فى القتلى به رَمَقٌ ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر له أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنا فى الأموات ، أبْلِغْ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله

(١) فى الأصل : لحما . يقال : هو ابن عمى لحا : أى هو لاصق النسب .

خيرا ما جزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله جل وعز إنْ خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تَطْرِفُ . ثم لم أبرح حتى مات رحمه الله ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى يلتمس حمزة بن عبد المطلب عليه السلام فوجده ببطن الوادى قد بُقر بطنه عن كبده ومُثِّل به فجُدِع أنفه وأذناه . وعن ابن إسحاق قال : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، حين رأى بحمزة ما رأى : لولا أن تَحْزَنَ صفيّةُ أو تكون سُنَّةً من بعدى لتركته حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ولئن أنا أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حُزْنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظَه على مافُعل بعمه قالوا : والله لئن أظهرنا الله عليهم يوما من الدهر لنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلها أحدٌ من العرب بأحد قطّ .

عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى بُرَيْدَةُ بن سفيان بن فَرْوة الأسلمىُّ ، عن محمد بن كعب القُرَظىِّ ، عن ابن عباس . قال ابن حميد : قال سلمة : وحدثنى محمد بن إسحاق قال : فحدثنا الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة [1] عن مِقْسَمٍ عن ابن عباس .

إن الله عز وجلّ أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « وإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » [2] إلى آخر السورة ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المُثْلة .

قال ابن إسحاق فيما بلغنى : خرجتْ صفيّةُ بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة وكان أخاها لأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير : القَها فارْجعها

(١) فى مخطوط : عيينة . أما الطبرى فكما هومثبت بالأصل .

(٢) سورة النحل : ١٢٦ .

لاترى ما بأخيها ، فلقيها الزبير ، فقال : يا أُمَّه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي ، فقالت : ولم ؟ فقد بلغني أنه مُثِّل بأخي ، وذلك في الله جل وعز قليل ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى ، فلما جاء الزبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : خلِّ سبيلها ، فأتته فنظرت إليه وصلّت عليه واسترجعتْ واستغفرتْ له ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدُفِن .

قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع حُسَيْل بن جابر — وهو اليمان أبو حُذَيفة بن اليمان — وثابتُ بن وَقَش بن زَعُوراء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لاأبا لك ما تنتظر ؟ فوالله إنْ بَقِي لواحدٍ منّا من عمره إلا ظِمْءُ حمارٍ إنما نحن هامةُ اليومِ أوغد[1] ، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ الله يرزقنا شهادة معه ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يُعْلَم بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون . وما حُسيلُ بنُ جابرٍ اليمانُ فاختلفتْ عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه ، فقال حذيفة : أبي ، وقالوا : واللهِ إنْ عرفناه . وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ، فتصدّق حُذيفة بدِيَتِه على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا .

قال حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :

كان فينا رجل أَتِيّ[2] لا يُدْرَى من أين هو ؟ يقال له قُزْمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكره : إنه لمن أهل النار ، فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا فقتل هو وحده ثمانيةً من المشركين أوتسعة ، وكان شهما شجاعا

(١) ظمء الحمار : عطشه ، ويكنى به هنا عن قصر المدة . وفلان هامة اليوم أو غد ، معناه : يموت اليوم أو غدا ، فالهامة معناها : الجثة .

(٢) الأتي : الغريب .

ذا بأس ، فأثبتته الجِراحة فاحتُمِل إلى دار بنى ظَفَر قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت القومَ يا قُزْمان فأَبْشِر ، قال : بم أُبشِر؟ فوالله إنْ قاتلت إلاَّ على أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت ، فلما اشتدت عليه جِراحته أخذ سهما من كنانته فقطع رَواهِشَه فنَزَفَهُ الدمُ [1] فمات ، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : إنى رسول الله حقا .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدثنى حسين بن عبد الله عن عكرمة قال :

كان يومُ أحد يومَ السبت للنصف من شوّال ، فلما كان الغد من يوم أُحُد وذلك يوم الأحد لستَّ عشرةَ ليلةً خلتْ من شوّال أذَّن مُؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بِطلَبِ العدوّ ، وأذّن موذنه أن لا يخرُجَنَّ معنا إلا من حضر يَوْمَنا بالأمْس ، فكلَّمه جابر بن عبدالله بن حَزْم الأنصارىُّ ، فقال : يا رسول الله إنَّ أبى كان خلَّفنى على أخوات لى سَبْعٍ وقال لى : يا بنى إنه لا ينبغى لى ولالك أن تَتْرك هؤلاء النسوةُ بلا رجل فيهن ، ولستُ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ، فتخلَّفْ على أخواتك ، فتخلفت عليهنَّ . فأذِن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه .

وإنما خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبا للعدو أنهم قد خرجوا فى طلبهم فيظنون أن بهم قُوَّةً وأن الذى أصابهم لم يُوهِنهم عن عدوّهم .

قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن خارِجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان :

أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل كان شهد أُحدا قال : فشَهِدْت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لى فرجعنا جريحَيْن ، فلما أذّن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى وقال لى : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما لنا من دابَّة نركبها وما منا إلاَّ جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى

(١) نزف الدم فلانا : خرج منه دم كثير حتى يضعف .

الله عليه وسلم ، وكنت أَيْسَرَ جرحا منه ، فكنت إذا غُلِب عليه حملتُه عُقْبَةً حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهينا إلى حَمْراءِ الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثا : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : عن عبيد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :

إنه مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم مَعْبَدٌ الخُزَاعىُّ ، وكانت خُزاعة مسلِمُهم ومشركُهم عَيْبَةَ [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم [بتِهامة ، صَفْقَتهم معه] لا يُخفون عليه شيئا كان بها ، ومَعْبدٌ يومئذ مشركٌ ؛ فقال : أما والله يا محمد لقد عزَّ علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوَدِدْتُ أن الله كان قد أعفاك منهم ، ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقى أبا سفيان بنَ حرب بالرَّوْحاء ومَنْ معه وقد أجمعوا الرَّجْعَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وقادتهم و أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم لنَكُرَّنَّ على بقيتهم فلنفرُغَنَّ منهم ، فلما رأى أبو سفيان مَعْبَدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أَرَ مثله قطّ يتحرّقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحَنَق عليكم شىءٌ لم أرَ مثله قطّ ، قال : ويلك ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نَوَاصِىَ الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لِنَستأصل شأْفتهم ، [٢] قال : فإنى أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلتُ فيه أبياتا من شِعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كادَتْ تُهَدُّ من الأصوات راحلتى إذْ سارت الأرْضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ [٣]

(١) العيبة هنا معناها : موضع سره .

(٢) استأصل شأفتهم : أزالهم من أصلهم .

(٣) فى الطبرى : إذ سالت الأرض .

[تَرْدِى بأُسْدٍ كرامٍ لاتنابِلَةٍ عِندَ اللّقاء ولاخُرْقٍ معازيل] ¹
فظلْتُ عدْوًا أظنُّ الأرض مائِلةً لَمَّا سَمَوْا برئيسٍ غيرِ مَخْذُولِ
فقلتُ ويْلَ ابنِ حَرْبٍ منلقائكُمُ إذا تَغَطْمَطَتِ البطحاءُ بالجيلِ ²
إنِّى نذيرٌ لأهل السَّيْلِ ضاحيةً لكلِّ ذى إرْبَةٍ منهم ومَعْقُولِ ³
من جيش أحمدَ لا وَخْشٍ تنابلة وليس يُوصف ما أنذرْتُ بالقيل ⁴

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فلم؟ قالوا: نريد المِيرَة، قال: فهل أنتم مبلّغون عنى محمدا رسالة أُرسلكم بها إليه وأُحمِّل لكم إبلَكم هذه غدًا زبيبا بعُكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم، قال: فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل شأْفتهم، فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذى قال أبوسفيان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل:

صوت

أمِنْ رَيْحانةَ الداعى السَّميعُ ⁵ يُؤرّقُنى وأصحابى هُجُوعُ
بَرانى حُبُّ مَنْ لا أستطيعُ ومَنْ هو للذى أهوى مَنُوعُ
إذا لم تستطعْ شيئًا فدعْهُ وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

الشعر لعَمْرِو بن مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبيدىّ، والغناءُ للهُذَلىّ ثقيل أول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى من رواية إسحاق، وفيه ثقيل الأولِ على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، وفيه لابن سريج رَمَل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه.

---

(١) زيادة من الطبرى، والرواية كلها عنه. والمعازيل: جمع معزال، وهو الذى لاينزل مع القوم، ومن لارمح معه. والضعيف الأحمق. وتردى من ردى الفرس: رجم الأرض بحوافره.
(٢) تغطمطت: اضطربت وغلت.
(٣) الإربة من معانيها: الدهاء والحيلة. هذا، وفى المطبوع: لأهل السيل، وفى الطبرى: لأهل البسل. والبسل: الحرام والحلال. ويراد إذن بأهل البسل أهل الحرم، وهم أهل مكة.
(٤) الوخش: الردىء.
(٥) السميع معناها هنا المسمع غيره لا السامع.

ذكر عمرو بن معديكرب وأخباره

هو عمرُو بن مَعْدِ يكَرِبَ بنِ عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيْد وهو مُنَبِّه، هكذا ذكر محمد بن سلاّم فيما أخبرنا به أبوخليفة عنه. وذكر عُمَرُ بن شَبَّةَ عن أبي عُبيدة أنه عمرو بن معد يكرب بن رَبيعة بن عبد الله ابن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبيد بن مَنَبِّه بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سَعْد العَشِيرة بنِ مَذْحِج بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان، ويكنى أباثور، وأمه وأم أخيه عبدالله امرأةٌ من جَرْم فيما ذُكر، وهي معدودة من المُنْجبات.

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُريد قال: أخبرنا أبوحاتم، عن أبي عبيدة قال: عمرو بن معد يكرب فارِس اليمَن، وهو مُقَدَّمٌ على زَيْدِ الخَيْلِ في الشدة والبأس.

وروى عليّ بن محمد المدائني عن زيد بن قُحَيفِ الكِلابيّ قال: سمعت أشياخنا يزعمون:

أن عمرو بن معد يكرب كان يقال له مائِقُ بني زُبيد، فبلغهم أن خَثْعَمَ تريدهم، فتأهبوا لهم، وجمع معد يكربُ بني زبيد، فدخل عمرٌو على أخته فقال: أشْبعيني إنى غداً لكَتيبَةٌ، قال: فجاء معد يكربُ فأخبرته ابنتُه، فقال: هذا المائق يقول ذلك؟ قالت: نعم، قال: فسليه ما يُشبعه؟ فسألته، فقال: فَرْقٌ من ذُرة وعنز رَباعِيَة. قال: وكان الفَرْقُ يومئذ ثلاثة أصْوُع، فصنع له ذلك وذَبح العَنْزَ وهُيِّيء له الطعام. قال: فجلس عليه فسلَتَه جميعا، وأتتهم خثعمُ الصَّباحَ فلقُوهم، وجاء عمرو فرمى بنفسه؛ ثم رفع رأسه فإذا لواء أبيه قائم، فوضع

رأسه فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سَرْحَةٌ مُحْرَقَةٌ[١] فتلقى أباه وقد انهزموا فقال : انزل عنها فاليَوْمَ ظُلْمٌ ، فقال له : إليك يا مائق ، فقال له بنو زُبَيد : خلّه أيها الرجل وما يريد ، فإن قُتل كُفِيتَ مَئُونته وإن ظهر فهو لك ، فألقى إليه سلاحه ، فركب ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظْهُرهم ثم كرَّ عليهم وفعل ذلك مِرَارًا ، وحملت عليهم بنو زُبيد فانهزمت خثعم وقُهِروا ، فقيل له يومئذ : فارس زبيد .

قال أبو عمرو الشيباني : كان من حديث عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن زُبيد بن مُنَبِّه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مالك وهو مَذْحِج بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يعربَ بن قحطان أنه قال لقيس بن مَكْشُوحٍ المُرَادِيّ — وهو ابن أخت عمرو — حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس إنك سيد قومك وقد ذُكِر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال له نبيّ ، فانطلق بنا حتى نعلم علمه ، وبادِرْ فَرْوَةَ لايَغْلِبْكَ على الأمرِ ، فأبى قيسٌ ذلك وسَفَّه رأيه وعصاه ، فركب عمرو مُتَوَجِّهًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : خالفتَني يا قيس ، وقال عمرو في ذلك :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعا ءَ أمرًا بَيِّنًا رَشَدُهْ
أمرتُك باتِّقاء الله ه تأتيه وتَتَعِدُهْ
فكنتَ كذِي الْحُمَيِّرِ غرّ ه مِنْ عَيْرِهِ وَتِدُهْ

قال أبو عبيدة : حدثنا غير واحد من مَذْحِج قالوا :

قدم علينا عمرٌو في وفد مَذْحِج مع فَرْوَةَ بن مُسَيك المُراديّ على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وبعث فروةَ على صدقاتِ مَنْ أسلم منهم وقال له : ادْعُ الناس وتألَّفْهم ، فإذا وجدتَ الغفلة فاهْتَبِلْها واغْزُ . قال أبو عمرو الشيباني : وإنما رحل فروةُ مفارقا لملوك كندة مباعدًا لهم إلى رسول الله صلى الله

(١) السرحة : كل شجرة طالت ، أو الدوحة الواسعة .

عليه وسلم ، وقد كانت قبل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وَقْعَة أصابت فيها همدان من مُراد حتى أثخنوهم فى يوم يقال له يوم الرَّزْم ١ ، وكان الذى قاد همدانَ إلى مُرادٍ الأجْدَعَ بنَ مالك بن حَرِيم الشاعر الهَمْدانىّ بن مسروق بن الأجْدَع ففضحهم يومئذ ، وفى ذلك يقول فروةُ بن مُسيك المرادى :

فإنْ نَغْلِبْ فغلاَّبون قِدْماً وإن نُهْزَمْ فغَيْرُ مُهزَّمينا

فلما توجه فروةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول :

لما رأيتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعرضَتْ كالرِّجْلِ خانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَاها

يَمَّمْتُ راحلتى أمام محمد أرجو فواضِلَها وحُسْنَ سُراها

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فيما بَلَغَنا : هل ساءك ما أصابَ قومَك يوم الرَّزْم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا الذى يُصيب قومَه مثلُ الذى أصاب قومى ولا يسوءُه ؛ فقال له : أما إنَّ ذلك لم يَزِدْ قومَك فى الإسلام إلاَّ خيرا ، واستعمله على مُرادٍ وزُبيد ومَذْحِج كلِّها ، قال أبو عبيدة فلم يلبث عَمْرٌو أن ارتد عن الإسلام فقال حين ارتد :

وجدنا مُلْكَ فروةَ شرَّ مُلْكٍ حِمارٌ سافَ مَنْخِرَه بِقَذْرٍ[٢]

وإنك لو رأيت أبا عُمَيْرٍ ملأْتَ يديك من غَدْرٍ وَخَتْرِ

قال أبو عبيدة : فلما ارتد عمرو مع من ارتد عن الإسلام من مذحج استجاش فروةُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فوجَّه إليهم خالدَ بن سعيد بن العاص وخالدَ ابن الوليد وقال لهما : إذا اجتمعتم فعلىٌّ بن أبى طالب أميرُكم وهو على الناس ، ووجه عليًّا عليه السلام ، فاجتمعوا بِكَسْرٍ[٣] من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم

---

(١) الرزم : موضع فى بلاد مراد كانت فيه الوقعة ، وكان يومها يوافق يوم وقعة غزوة بدر .

(٢) ساف : شم . والقذر : الشيء القذر . ويراد بكلمة ساف هنا : مسح ، كما فسر فى اللسان قول الشاعر : « قالت وقد ساف مجذ المرود » . والحمار إذا شم قذرا رفع رأسه فى صورة تدعو للتعجب من منظره .

(٣) كسر : قرى كثيرة بحضرموت سكنتها كندة « انظر معجم البلدان » .

ونجا بعض ، فلم تزل جعفرٌ وزُبيدٌ وأُدد بنو سعد العشيرة بعدها قليلة ، وفى هذا الوجه وقعت الصَّمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سبب وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنتَ معد يكرب سُبِيتْ يومئذ ، ففداها خالد ، وأثابه عَمْرٌو الصَّمْصامة ، فصار إلى أخيه سعيد ، فوُجد سعيد جريحا يوم عثمان بن عفان رضى الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمْد ، ثمّ وُجد الغمد ، فلما قام معاوية جاءه أعرابى بالسيف بغير غمد وسعيد حاضر ، فقال سعيد : هذا سيفى ، فجحد الأعرابىّ مقالته ، فقال سعيد : الدليل على أنه سيفى أنْ تَبْعثَ إلى غمده [فتغمده] فيكون كِفافَهُ [١] فبعث معاوية إلى الغمد فأُتى به من منزل سعيد ، فإذا هو عليه ، فأقر الأعرابىُّ أنه أصابه يوم الدار ،فأخذه سعيد منه وأثابه ، فلم يزل عندهم حتى أصعد المهدىّ من البصرة ، فلما كان بواسط بعث إلى سعيد فيه ، فقال : إنه للسَّبيل ، فقال : خمسون سيفا قاطعا أغنى من سيف واحد ، فأعطاهم خمسين ألف درهم وأخذه .

وذكر ابنُ النَّطاح أن المدائنى حكى عن أبى اليقظان عن جُوَيرِيةَ بن أسماء قال :

أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك يريد المدينة فأدركه عمرو بن معد يكرب الزُّبيدى فى رجال من بنى زُبيد ،فتقدم عمرو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأُمْسك عنه حتى أوذن به ، فلما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسير قال : حيَّاكَ اللهُ إنهُ أبيتَ اللَّعْنَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، فآمِنْ بالله يُؤمِّنك يوم الفزع الأكبر . فقال عمرو بن معد يكرب : وما الفزع الأكبر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه فزع ليس كما يُحْسَب ويُظَنّ ، إنه يصاح بالناس صيحة لا يبقى حىّ إلاّ مات إلاّ ما شاء الله من ذلك ، ثم يصاح بالناس صيحة لايبقى ميتٌ إلاّ نُشِر ثم تَلَجُّ تلك الأرض بدوِىٍّ تنهدّ منه الأرض وتخرّ منه الجبال وتنشقّ السماء انشقاق القُبْطِيَّةِ [٢] الجديد ما شاء الله فى ذلك ، ثم تبرز النارُ فيُنظَرَ إليها حمراءَ مظلمة قد صار لها لسان فى السماء ، ترمى بمثل

(١) كفافه : بكسر الكاف غراره . وبفتح الكاف : مثله ومقداره .
(٢) القبطية : ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة إلى القبط

رءوس الجبال من شرر النار ، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه ، أين أنت ياعمرو ؟ قال : إنى أسمع أمرا عظيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمرو أسلِمْ ، فأسْلَمَ وبايع لقومه على الإسلام ، وذلك مُنْصَرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبوكَ وكانت فى رجب من سنة تسع .

وقال أبو هارون السَّكْسَكِيُّ البصريّ : حدثنى أبوعمرو المدائنى :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا نظر إلى عمرو قال : الحمد لله الذى خلقَنا وَخلق عَمْرًا ، تعجبا من عظم خَلْقِه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن خالد ابن خِداش ، عن أبى نُمَيْلَة قال :

أخبرنى رُمَيْح ، عن أبيه قال : رأيت عمرو بن معد يكرب فى خلافة معاوية شيخا عظيما أعظم مايكون من الرجال أجشَّ الصوت ، إذا التفت التفت بجميع جسده .

وهذا خطأ من الرواية ، والصَّحيح أنه مات فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه ودفن برُوذَة بين قُمّ والرَّىّ ، ومن الناس من يقول : إنه قتل فى وقعة نَهاوند وإن قبره فى ظاهرها فى موضع يعرف بقيد يشخان [1] وإنه دفن هناك يومئذ هو والنعمان ابن مُقَرِّن . ورُوى أيضا من وجه ليس بالموثوق به أنه أدرك خلافة عثمان رضى الله عنه .

روى ذلك ابنُ النطَّاح ، عن مروان بن ضِرار ، عن أبى إياس البصرى ، عن أبيه ، عن جُويرية الهُذَلىّ فى حديث طويل قال :

رأيت عمرو بن معد يكرب وأنا فى مسجد الكوفة فى خلافة عثمان حين وجَّهه إلى الرَّىّ كأنه بعير مَهْنُوءٌ .

وقال ابن الكلبىّ : حدثنى أسعر ، عن عمرو بن جرير الجُعْفىّ ، قال : سمعت خالد بن قَطَن يقول :

---

(١) هذه الكلمة فى مخطوط غير منقوطة . ولا توجد فى معجم البلدان بلدة بهذا الاسم أو موضع . وفى معجم البلدان « روذة » إن عمرو بن معدى كرب دفن فى موضع يقال له كرمانشاه . وفى الشعر والشعراء : الإسفيذهان .

خرج عمرو بن معد يكرب فى خلافة عثمان رضى الله عنه . إلى الرَّى وَدَسْتَبى فضربه فالج فى طريقه فمات بِرُوذَةَ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنى خالد ابن خِداش قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن مجالد ، عن الشَّعْبِىّ .

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فرض لعمرو بن معد يكرب ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألف هاهنا وأومأ إلى شِقّ بطنه الأيمن ، وألف هاهنا وأومأ إلى شِقّ بطنه الأيسر ، فما يكون هاهنا ؟ وأومأ إلى وسط بطنه ، فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خَمْسمائة .

قال علىّ بن محمد : قال أبو اليقظان :

قال عمرو بن معد يكرب : لو سرتُ بظعينةٍ وحدى على مياه مَعَد كلّها ما خفت أن أُغلبَ عليها ما لم يلقنى حُرَّاها أو عبداها ؛ فأما الحُرَّان فعامر بن الطُّفيل وعُتَيْبة بن الحارث بن شِهاب ، وأما العبدان فأسود بنى عَبْس يعنى عنترةَ ، والسُّلَيْكُ بن السُّلَكَة ، وكلهم قد لقيت ؛ فأما عامر بن الطفيل فسريع الطَّعْن على الصوت . وأما عتيبة فأول الخيل إذا أغارت وآخرها إذا آبَتْ ؛ وأما عنترة فقليل الكَبوة شديد الجَلَب [1] ، وأما السُّلَيْك فبعيد الغارة كالليث الضارى . قالوا : فما تقول فى العباس بن مِرْداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فىّ :

إذا مات عمرٌو قلتُ للخيل أَوْطِئُوا ۝ زُبَيْدًا فقد أَوْدَى بنجدّيها عمرو [2]

وقام مغضبا وعلم أنهم أرادوا توبيخه بالعباس . قال علىّ : وقال أبو اليقظان : أحسب فى اللفظ غلطا وأنه إنما قال : هَجِينا مُضَر ، لأن عنترة استرقّ والعباس [3] لم يسترقّ قط .

أخبرنى أبو خليفة قال : حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أحمد بن حُباب ، عن عيسى بن يونس ، عن إسماعيل عن قيس :

---

(١) فى مخطوط : فقليل النبوة شديد الكلب .
(٢) النجدى هنا : نسبة إلى النجدة ، وهى الشجاعة .
(٣) لعلها : والسليك لم يسترق . أو أراد العباس بن مرداس .

أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص : إنى قد أمددتك بألفَىْ رجل عمرِو بن معد يكرب وطُليحة بن خُويلد — وهوطُلَيحة الأسدى — فشاوِرْهما فى الحرب ولا تُوَلِّهما شيئا .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا أحمد بن حُباب قال : حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل .

عن قيس قال : شهدت القادسيِّةَ وكان سعد على الناس ، فجاء رُسْتم فجعل يمرّ بنا وعمرو بن معد يكرب الزُّبيدى يمر على الصفوف يحضُّ الناس ويقول : يامعشر المهاجرين كونوا أُسدًا أغْنَى شَأْنه فإنما الفارسىّ تَيْسٌ بعد أن يُلْقِيَ نَيْزَكَهُ[١] قال : وكان مع رستم إسْوارٌ[٢] لاتسقط له نُشَّابَةٌ ، فقيل له : يا أبا ثور اتَّقِ ذلك ، فإنَّا لنقول له ذلك إذرماه رَمْيةً فأصاب فرسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه ثم ذبحه وسلبه سِوَارَىْ ذهبٍ كانا عليه وقَبَاءَ ديباجٍ . قال أبو زيد : فذكر أبو عبيدة أن عمرًا حمل يومئذ على رجل فقتله ثم صاح : يا معشر بنى زُبيد دونكم فإن القوم يموتون .

وقال على بن محمد المدائنى : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبد ربّ بن نافع ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبى حازم قال :

حضر عمرو الناس وهم يقاتلون، فرماه رجل من الفُرس بنُشَّابَة فوقعت فى كتفه، وكانت عليه درع حصينة فلم تنفُذ ، وحمل على العِلْج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرو وسلبه ورجع بسلبه وهو يقول :

أنا أبو ثَوْرٍ وسيفى ذو النُّونْ أضربهم ضَرْبَ غلامٍ مجنونْ
يال زُبيدٍ إنهم يموتون

قال أبو عبيدة : وقال فى ذلك عمرو بن معد يكرب :

---

(١) أغنى شأنه : لعلها بمعنى كفى أمره ، أو أن الشأن من معانيه : عروق فى الجبل ينبت فيها النبع ويراد به هنا عرينه . والنيزك : الرمح القصير . هذا وفى المطبوع : أغنى ثابتة . . . بعد أن يلقى بيرك ، والتصويب من مخطوط .

(٢) الإسوار : الرامى بالسهام ، وقائد الفرس .

صوت

أَلْمِمْ بسلمى قبل أن تظعَنا إنَّ لنا من حُبِّها دَيْدَنا
قد علمتْ سلمى وجاراتُها ما قطَّرَ الفارسَ إلاَّ أنا
شكَكْتُ بالرُّمح حَيازِيمَهُ والخيل تعدُو زِيَما بيننا[1]

غنى فيه الغَرِيض ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر ، وفيه رمل بالبنصر يقال : إنه لمَعْبَد ، ويقال إنه من منحول يحيى المكى .

قال أبو عبيدة فى رواية أبى زيدٍ عمرَ بنِ شبَّة :

شهد عمرو بن معديكرب القادسيةَ وهو ابن مائة وستّ سنين . وقال بعضهم : بل ابن مائة وعَشر . قال : ولما قتل العِلجَ عبر نهر القادسية هو وقيس بن مكشوح المُرادى ومالك بن الحارث الأشتر ، قال فحدثنى يونس : أن عمرو بن معد يكرب كان آخرهم ، وكانت فرسُه ضعيفه ، فطلب غيرها فأُتى بفرس فأخذ بعُكْوَةِ ذَنَبِه وأخلد به إلى الأرض فأقعى الفرسُ فردّه ، وأُتىَ بآخر ففعل به مثل ذلك فتحلحل ولم يُقْعِ ، فقال : هذا على كل حال أقوى من تلك وقال لأصحابه : إنى حامل وعابر الجسر فإن أسرعتم بمقدار جَزْرِ الجَزُور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتل به تلقاء وجهى وقد عَقِرَ[2] بى القومُ وأنا بينهم وقد قَتَلْتُ وجَرَّدْتُ ، وإن أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم وقد قُتِلْتُ وجُرِّدْتُ . ثم انغمس فحمل فى القوم فقال بعضهم : يابنى زُبيد عَلامَ تَدَعون صاحبكم ؟ والله مانرى أنْ تُدركوه حيًّا ، فحملوا فانتهوا إليه وقد صُرِع عن فرسه وقد أخذ بِرِجْلِ فَرَسِ رَجُلٍ من العجم فأمسكها ، وإن الفارسَ ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده ، فلما غشيناه رمى الأعجمىُّ بنفسه وخلىَّ فرسه ، فركبه عمرو وقال : أنا أبوثور ، كِدتم والله تَفْقِدونى ، قالوا : أين فرسك ؟ قال رُمِىَ بنُشَّابة فشَبَّ فصرعنى وعَارَ[3] .

(١) زيما : جماعات متفرقة . ومن معانى الزيم أيضا : الغارة .
(٢) عقر القوم : فجئهم الروع فلم يقدروا أن يتقدموا أو يتأخروا .
(٣) عار : انفلت وذهب هاهنا وهاهنا .

وروى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدى ، عن أبى سَـبْرَةَ عن أبى عيسى الخيَّاط ، ورواه علىُّ بن محمد أيضا ، عن مرة ، عن أبى إسماعيل الهَمْدَ انى عن طلحة بن مُصَرِّف ، فذكرا مثل هذا ، قال الواقدى : وحدثنى أُسامة ابن زيد ، عن أبان بن صالح قال :

قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية : ألْزموا خراطيمَ الفيَلةِ السُّيوفَ فإنه ليس لها مقتل إلاَّ خراطيمها . ثم شد على رستم وهو على فيلٍ فضرب فيلَه فجذم عُرْقُوبَيْه فسقط ، وحُمِلَ رستم على فرسٍ وسقط من تحته خُرْجٌ فيه أربعون ألف دينار ، فحازه المسلمون ، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله .

قال على بن محمد المدائنى : حدثنى على بن مجاهد عن ابن إسحاق قال :

لما ضَرب عمرٌو الفيلَ وسقط رستم سقط على رستم خُرْجٌ كان على ظهر الفيل فيه أربعون ألف دينار ، فمات رستم من ذلك وانهزم المشركون .

وقال الواقدىّ : حدثنى ابن أبى سَبْرَة ، عن موسى بن عقبة ، عن أبى حَبيبة مولى آل الزبير قال : حدثنا نِيَار بن مُكرم الأسلمى قال :

شهدت القادسية فرأيت يوما اشتدّ فيه القتال بيننا وبين الفُرْس ، ورأيت رجلا يفعل يومئذ بالعدوّ أفاعيل ، يقاتل فارسا ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقْودَه فى حَقْوه فيقاتل ، فقلت : مَن هذا جزاه الله خيرا ؟ قالوا : هذا عمرو ابن معد يكرب .

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السَّكَنُ بن سعيد ، عن محمد ابن عباد ، عن ابن الكلبى ، عن خالد بن سعيد ، عن أبى محمد المُرهبى ، قال :
كان شيخ يجالس عبد الملك بن عُمير فسمعته يُحَدِّث قال : قدم عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن الكوفة فأقام بها أيّاما ثم قال : والله ما لى بأبى ثور عهدٌ منذ قَدِمْنا هذا الغائط [١] ، يعنى عمرَو بن معد يكرب ، أَسْرِجْ لى يا غلام ، فأسرج له فرسا أنثى من خيله ، فلما قرّبها إليه قال له : ويحك أرأيتنى ركبتُ أنثى فى الجاهلية فأركبها فى الإسلام ؛ فأسرج له حصانا فركبه وأقبل إلى مَحَلَّة بنى زُبيد ، فسأل عن مَحَلة

(١) الغائط هنا : المطمئن الواسع من الأرض .

عمرو فأُرشد إليها، فوقف ببابه ونادى: أيْ أبا ثور اخرُجْ إلينا. فخرج إليه مؤتزرا كأنما كُسِرَ وجُبِرَ فقال: أنْعِمْ صباحا أبا مالك. فقال: أو ليس قد أبدلنا الله تعالى بهذا: السلام عليكم؟ قال: دعنا مما لا نعرف، انزلْ فإن عندى كبشا ساحاً [١] فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ثم كشف عنه وعَضَّاه وألقاه فى قِدْرٍ جِماعٍ [٢] وطبخه، حتى إذا أدرك جاء بجَفْنة عظيمة فثَرَد فيها وأكفأ القِدْر عليها فقعدا فأكلاه، ثم قال له: أيُّ الشراب أحبُّ إليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه فى الجاهلية؟ قال: أوليس قد حرّمها الله جل وعز علينا فى الإسلام؟ قال: أنت أكبر سنا أم أنا؟ قال: أنت. قال: فأنت أقدم إسلاما أم أنا؟ قال: أنت قال: فإنى قد قرأت ما بين دَفَّتَىِ المصحف فوالله ما وجدت لها تحريما إلاّ أنه قال «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» [٣] فقلنا: لا، فسكت وسكتنا. فقال له: أنت أكبر سنا وأقدم إسلاما، فجاء بها فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمْسيا، فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو: لئن انصرف أبو مالك بغير حِباءٍ إنه لوَصْمَةٌ علىّ، فأمر بناقة له أرْحَبِيَّة كأنها جَبِيرَةُ لُجَيْنٍ فارتحلها وحمله عليها، ثم قال: يا غلام هاتِ المِزْوَد، فجاءه بمزود فيه أربعة آلاف درهم فوضعها بين يديه، فقال: أما المال فواللهِ لا قَبِلته. قال: واللهِ إنه لمن حِباء عمرَ بنِ الخطاب رضى الله عنه، فلم يقبله عيينة وانصرف وهو يقول:

جُزِيتَ أبا ثورٍ جزاءَ كرامةٍ ... فنِعْمَ الفتى المُزْدَار والمُتضيَّفُ
قَرَيْتَ فأكرمْتَ القِرَى وأفدتنا ... نَجيثة علم لم تكن قطُّ تُعْرَفُ [٤]
وقلتَ حلالٌ أن نُديرَ مُدامةً ... كلونِ انْعقاقِ البرْقِ والليل مُسْدِفُ
وقدَّمتَ فيها حُجَّةً عربيَّةً ... تَرُدُّ إلى الإنصاف من ليس يُنصِفُ

(١) الساح: السمين غاية السمن.

(٢) عضاه: جزأه. وقدر جماع: عظيمة.

(٣) سورة المائدة ٩١.

(٤) النجيثة تأنيث النجيث، وهو السر الذى كان يخفى: ومنه النجاث: البحاث عن الأمور. وفى المطبوع: نحية علم. والمخطوط بدون نقط هكذا «نحىه».

وأنت لنا والله ذى العرش قدوةٌ إذا صدَّنا عن شُربها المتكلِّفُ

نقول أبو ثور أحلَّ حرامَها وقولُ أبى ثور أسدُّ وأعرَف

وقال على بن محمد : حدثنى عبد الله بن محمد الثقفى ، عن أبيه ، والهذلىّ عن الشَّعبى قال :

جاءت زيادةٌ من عند عمر بعد القادسية ، فقال عمرو بن معد يكرب لطُليحة : أما ترى أن هذه الزعانف تُزاد ولا نزاد ؟ انطلق بنا إلى هذا الرجل حتى نكلمه ، فقال : هيهات ، كلا والله لا ألقاه فى هذا المغنى أبدا ، فلقد لقينى فى بعض فجاج مكة فقال : يا طليحة ، أقبلتَ عُكاشةَ [1] . فتوعدنى وعيدا ظننت أنه قاتلى ولا آمنه ، قال عمرو : لكنى ألقاه . قال : أنت وذاك ، فخرج إلى المدينة فقدم على عمر رضى الله عنه وهو يُغدى الناس وقد جفَّن لعشرة عشرة ، فأقعده عمر مع عشرة فأكلوا ونهضوا ولم يقُم عمرو ، فأقعد معه تكملة عشرة حتى أكل مع ثلاثين ثم قام فقال : يا أمير المؤمنين إنه كانت لى مآكل فى الجاهلية منعنى منها الإسلام وقد صَرَرْتُ فى بطنى صُرَّتين وتركت بينهما هواءً فسُدَّه ، قال : عليك حجارةً من حجارة الحرَّة فسُدَّه به ، ياعمرو إنه بلغنى أنك تقول : إن لى سيفا يقال له الصمصامة ، وعندى سيف أسميه المصمِّم ، وإنى إن وضعته بين أذنيك لم أرفعه حتى يخالط أضراسك .

وذكر ابن النطَّاح [2] ، ومحمد بن كُناسة أن جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب لقى عمرو بن معد يكرب وهويسوق ظُعُنا له ، فقال عمرو لأصحابه : قفوا حتى آتيكم بهذه الظُّعُن ، فقرُبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال : خلّ سبيل الظعن . قال : فلم إذاً ولدتنى ؟ ثم شدَّ على عمرو فطعنه فأذْراه عن فرسه ، وأخذ فرسه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كأنى رأيت منيَّتى فى سنانه . وبنو كنانة يذكرون أن ربيعة بنَ مُكدَّم الفِراسِىَّ طعن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فرسه وأخذ فرسه ، وأنه لقيه مرة أخرى فضربه فوقعت الضربة فى قَرَبوس السَّرج فقطعه حتى عضَّ السيفُ بِكاثِبةِ [3] الفرَس ، فسالمه عمرٌو وانصرف .

(١) الكاشة من معانيه : العنكبوت . ريراد : أقبلت ياعنكبوت .

(٢) فى مخطوط : ابن الكلبى .

(٣) كاثبة الفرس : مقدمه حيث يقع عليه يد الفارس ، وقيل : أعلى الظهر .

قال المدائنى : حدثنى مَسلمة بن مُحارب ، عن دواد بن أبى هِند قال :

حمل عمرو بن معد يكرب حَمالةً فأتى مُجاشعَ بنَ مسعود يسأله فيها — وقال خالد بن خِداش : حدثنى أبو عوَانة ، عن حُصين بن عبد الرحمن قال : بلغنى أن عمرا أتى مجاشعَ بن مسعود — فقال له : أسألك حُملان[1] مثلى وسِلاحَ مثلى ، قال : إن شئت أعطيتك ذاك من مالى . ثم أعطاه حُكْمه . وكان الأحنف أمر له بعشرين ألف درهم وفرسٍ جَواد عتيق وسيفٍ صارم وجارية نفيسة، فمرّ ببنى حنظلة فقالوا له : يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ فقال : لله بنو مجاشع ، ما أشدَّ فى الحرب لقاءها، وأجزل فى اللزْباتِ [2] عطاءَها، وأحسن فى المكرمات ثَناءها ، لقد قاتلتها فما أفللْتُها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتها فما أفحمتها .

وقال أبو المِنْهال عيينة بن المنهال : سمعت أبى يحدث قال :

جاء رجلٌ وعمرو بن معد يكرب واقف بالكُناسة على فرس له فقال : لأنظرنّ ما بقى من قوة أبى ثور ، فأدخل يده بين ساقه وبين السرج ، وفطن عمرو فضمّها عليه وحرك فرسه ، فجعل الرَّجلُ يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده ، حتى إذا بلغ منه قال : يا ابن أخى ما لك ، قال : يدى تحت ساقك ، فخلى عنه وقال : يا ابن أخى إن فى عمك لبقية بَعْدُ .

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلّه مشهورا بالكذب .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوى ، ولم يتجاوزه . وذكر ابن النطّاح هذا الخبر بعينه عن محمد سلام ، وخبر المبرد أتمّ قال :

كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار ويتحدثون ويتذاكرون أيام الناس ، فوقف عمرو إلى جانب خالد بن الصَّقْعَب النَّهْدى ،

(١) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة .

(٢) اللزبات : جمع لزبة ، وهى الشدة والقحط .

فأقبل عليه يحدثه ويقول : أغرتُ على بنى نهد فخرجوا إلىّ مُسْتَرْعفين [١] بخالد ابن الصَّقْعَب يقدُمُهم ، فطعنته طعنة فوقع ، وضربته بالصمصامة حتى فاضت نفسُه ، فقال له الرجل : يا أباثور إن مقتولك الذى تذكره هو الذى تحدثه ، فقال اللّهمّ ، غفرًا ، إنما أنت مُحدِّثٌ فاسمع ، إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لِنُرْهِبَ هذه المَعَدِّيّة [٢].

قال محمد بن سلام : وقال يونس : أبت العرب إلاّ أن عمرًا كان يكذب . قال : وقلت لخلفٍ الأحمر وكان مولى الأشعريِّين وكان يتعصّب لليمانية : أكان عمرو يكذب ؟ قال : كان يكذب باللسان ويصدق بالفعال .

أخبرنى إبراهيم بن أيوب ، عن ابن قُتيبة :

أنّ سعدًا كتب إلى عمر رضى الله عنه يُثْنى على عمرو بن معد يكرب ، فسأله عُمَرُ عن سعد فقال : هو لنا كالأب ، أعرابىّ فى نَمِرته أسد فى تامورَتِه [٣] يقسم بالسَّوِيَّة ، ويعدل فى القَضِيَّة وينفر فى السَّرِيَّة ، وينقل إلينا حقَّنا كما تنقُلُ الذَّرَّةُ [٤] . فقال عمر رضوان الله عليه : لشدّ ما تقارضتما الشهادة [٥] .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا الحارث ، عن ابن سعد ، عن الواقدى عن بُكَير بن مسْمارٍ عن زياد مولى سعد قال :

سمعت سعدا يقول : . وبلغه أن عمرو بن معد يكرب وقع فى الخمر وأنه قد دُلِّه فقال : لقد كان له موطِنٌ صالح يوم القادسية عظيم الغناء شديد النّكاية للعدوّ ، فقيل له : فقيس بن مكشوح ، فقال : هذا أبذل لنفسه من قيس ، وإن قيسا لَشجاع .

---

(١) مسترعفين : متقدمين .

(٢) المعدية : المنسوبون إلى معد بن عدنان .

(٣) النمرة : شملة فيها خطوط . والتامورة : العرين ، والتامورة أيضا : علقة القلب ودمه ، فيجوز أن يكون أراد أنه أسد فى شدة قلبه وشجاعته « انظر اللسان تمر » .

(٤) الذرة : صغار النمل .

(٥) فى مخطوط : الثناء . ويتفق مع الشعر والشعراء .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبى خاصة، حدثنى أسْعَرُ بن عمرو بن جرير ، عن خالد بن قَطَن قال : حدثنى من شهد موت عمرو بن معديكرب ، والرواية قريبة وحكاية عمرَ بنِ شبة وابن قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها قالوا :

كانت مغازى العرب إذ [ذاك الرَّىّ ودَسْتَبَى ، فخرج عمرو مع شباب من مَذْحِج حتى نزل الخان الذى دون رُوذَة ، فتغدى القوم ثم ناموا ، وقام كلُّ رجل منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرو إذا أراد الحاجة لم يجترئ أحد أن يدعوه وإنْ أبطأ ، فقام الناس للرحيل وترحّلو إلا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صحْنا به : يا أبا ثور ، فلم يُجِبْنا وسمعنا علَزًا شديدا ومِرَاسا [١] فى الموضع الذى دخله ، وقصدناه فإذا به محمرَّةٌ عيناه مائلاً شِدْقه مَفْلوجا ، فحملناه على فرس وأمرنا غلاما شديد الذّراع فارتدفه ليعدِلَ مَيْله فمات بِروذة ، ودفن على قارعة الطريق ، فقالت امرأته الجُعْفِيَّةُ ترثيه :

لقد غادر الركب الذين تحمّلوا بِرُوذة شخصًا لا ضعيفا ولا غُمْرَا
فقل لزُبَيدٍ بل لمَذْحِجَ كلِّها فقدْتُم أبا ثور سِنانَكُمُ عَمْرَا
فإن تجْزَعوا لا يُغْنِ ذلك عنكمُ ولكنْ سَلُوا الرحمنَ يُعْقِبكمْ صَبرا

والأبيات العينية التى فيها الغناء وبها افتُتِح ذكر عمرو يقولها فى أخته ريحانةَ بنتِ معد يكرب لمَّا سباها الصِّمَّةُ [بن الحارث] بن بكر ، وكان أغار على بنى زُبيد فى قيس فاستاق أموالهم وسبا ريحانة وانهزمت زُبيد بين يديه وتبعه عمرو وأخوه عبدُ الله ابنامعد يكرب ، ثم رجع عبدُ الله واتَّبعه عمرو ؛ فأخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم أن عمرًا اتَّبعه يناشده أن يخلى عنها فلم يفعل ، فلما يئس منها ولّى وهى تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ، فلم يَقْدر على انتزاعها وقال :

أمِنْ ريحانَةَ الداعى السميعُ يُؤرِّقنى وأصحابى هجوعُ

(١) العلز : ما يأخذ المريض والمحتضر من القلق والخفة والهلع . والمراس : المعالجة والمعاناة .

سباها الصِّمَّةُ الجُشَميُّ غصبًا كأنَّ بياض غُرَّتها صَديعُ[1]
وحالت دونها فرسانُ قيسٍ تَكشَّفُ عن سواعِدِها الدُّروع
إذا لم تستطعْ شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وزاد الناس فى هذا الشعر وغُنِّى فيه :

وكيف أحبُّ من لا أستطيعُ ومن هو للَّذى أهوى مَنوعُ
ومن قد لامنى فيه صديقى وأهلى ثم كُلًّا لا أُطيعُ
ومن لو أظهر البغضاءَ نحوى أتانى قابضُ الموتِ السريعُ
فِدًا لهُمُ مَعًا عمِّى وخالى وشَرْخُ شبابهم إن لم يُطيعوا

وقد أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبى :

وأما قصَّةُ ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوج امرأةً من مراد وذهب مُغيرا قبل أن يدخل بها ، فلما قدم أُخبر أنه قد ظهر بها وَضَحٌ ، وهو داء تحذَرُه العرب ، فطلقها وتزوجها رجل آخر من بنى مازن بن ربيعة ، وبلغ ذلك عمرًا وأن الذى قيل فيها باطلٌ ، فأخذ يُشَبِّب بها فقال قصيدته وهى طويلة :

أمن ريحانةَ الداعى السميعُ يُؤرِّقنى وأصحابى هجوعُ

وكان عبد الله بن معد يكرب أخو عمرو رئيسَ بنى زُبيد ، فجلس مع بنى مازن فى شَرْبٍ منهم فتغنَّى عنده حَبَشىٌّ عبدٌ للمخزَّمِ أحَدِ بنى مازن فى تَشَبُّب امرأةٍ من بنى زُبيد ، فلطمه عبدُ الله وقال له : أما كفاك أن تشرب معنا حتى تُشبب بالنساء ؟ فنادى الحبشىّ : يا آل بنى مازن ، فقاموا إلى عبد الله فقتلوه ، وكان الحبشىُّ عبدًا للمُخزَّم ، فرُئِّسَ عمرو مكان أخيه ، وكان عمرو غزا هو وأُبَىّ المرادى فأصابوا غنائم ، فادَّعى أُبَىّ أنه قد كان مُساندًا ، فأبى عمرو أن يُعطيه شيئا ، وكره أُبَىّ أن يكون بينهما شرّ لحداثةِ قتْل أبيه[2] فأمسك عنه وبلغ عمرًا أنه توعَّده ، فقال عمرو فى ذلك قصيدة أولها :

(١) الصديع من معانيه : الصبح . (٢) لعلها : أخيه .

صوت

أعاذِلَ شِكَّتِي بَدَنِي ورُمحى ... وكل مُقَلِّصٍ سَلِسِ القيادِ [١]
أعاذل إنما أفنى شبابى ... وأقْرح عاتِقِى ثِقْلُ النِّجادِ
تَمَنَّانِى ليلقانى أُبَىّ ... ودِدْتُ وأينما منى ودادى
ولو لاقيتَنِي ومعى سلاحى ... تكشَّفَ شحمُ قلبك عن سَوَادِ
أُريد حِباءه ويُرِيد قتلى ... عذيرَكَ من خليلك من مُرادِ [٢]

وتمام هذه الأبيات :

تمنانى وسابغتى دِلاصٌ ... كأن قَتِيرَها حَدَقُ الجَرادِ [٣]
وسيفى كان مُذْ عَهْدِ بن صَدّ ... تخيَّرَه الفتى من قوم عاد [٤]
ورُمحى العنبرىُّ تخال فيه ... سِنانا مثل مقباس الزِّنادِ
وعَجْلَزَةٍ يزِلُّ اللِّبْدُ عنها ... أمَرَّ سَرَاتَها حَلَقُ الحِيادِ [٥]
إذا ضُرِبَتْ سمعت لها أزيزا ... كوقع القطر فى الأدَمِ الجِلادِ [٦]
إذًا لوجدْتَ خالك غيرَ نِكْسٍ ... ولا مُتعلِّما قَبْلَ الوِحادِ
يقلِّب للأمور شَرَنْبَثَاتٍ ... بأظفار مغارِزُها حِدَادِ [٧]

لابن سريج فى الأول والثانى ثانى ثقيل بالبنصر، ولابن محرز فى السادس والخامس ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى وفى الرابع والخامس والسادس لحن للهذلىّ من رواية يونس، وهذا البيت الخامس كان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إذا نظر إلى ابن مُلْجِم تمثل به .

---

(١) المقلص : صفة للفرس المشرف الطويل القوائم .

(٢) الحباء : العطاء .

(٣) القتير : رءوس المسامير فى الدرع .

(٤) صد لعله يريد به : صداء بن مذحج .

(٥) العجلزة : الفرس والناقة الشديدة . وأمر : قوى . والسراة : الظهر . والحياد : الطعام ، وقد تكون الكلمة ملق الحياد : أى تليينه .

(٦) الأدم : الجلود ، والجلاد : الصلبة .

(٧) شرنبثات : أكفا غلاظا . وحداد : صفة لأظفار . ومغارزها : فاعل مقدم لحداد .

علي يتمثل بشعر عمرو :

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا حيَّان بن بشر قال : حدثنا جرير ، عن حمزة الزياتِ قال :

كان علىّ رضوان الله عليه إذا نظر إلى ابن ملجم قال :

أريد حِباءه ويريد قتلى عذيركَ من خليلك من مراد

حدثنى العباس بن على بن العباس ، ومحمد بن خلف وكيعٌ قالا : حدثنا أحمد ابن منصور الرمادىّ قال : حدثنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة السَّلْمانى قال : كان على بن أبي طالب عليه السلام إذا أعطى الناس فرأى ابن ملجم قال :

أريد حباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

حدثنى محمد بن الحسن الأشنانىُّ قال : حدثنا على بن المنذر [١] الطريفىُّ قال : حدثنا محمد بن فُضيل قال : حدثنا قَطَن بن خليفة ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة والأصبغ بن نُباتة قالا :

قال علىّ عليه السلام : ما يَحْبِس أشقاها ؟ والذى نفسى بيده لَتُخْضَبَنَّ هذه من هذا .

قال أبو الطفيل : وجمع علىّ الناسَ للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادى فردّه مرتين أو ثلاثا ثم بايعه ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذى نفسى بيده لتُخضَبنَّ هذه من هذا ، ثم تمثل بهذين البيتين :

رِحالَك شُدَّ للموت فإن الموت يأتيكَ [٢]
ولا تَجزعْ من القتلِ إذا حلَّ بواديكَ

---

(١) فى مخطوط : حدثنا المنذر الطريفى .
(٢) فى مخطوط :

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت يأتيك

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

قال : وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إن أخاك قتله رجل منّا سفيهٌ وهو سكران ، ونحن يَدُكَ وعضُدك ، فنسألك الرَّحِمَ إلاّ ما أخذت الدية ما أحببت ، فهَمَّ عمرو بذلك وقال :

إحدى يدىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ

فبلغ ذلك أختا لعمرو يقال لها كبشة وكانت ناكحا فى بنى الحارث بن كعب فغضبت ، فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعرا تُعَيِّرُ عمرًا :

أأرسل عبدُ الله إذ حان يومُه ... إلى قومه لاتَعقِلوا لهمُ دمى ؟
ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبْكُرًا ... وأُترَكَ فى بيت بصَعْدَةَ مُظلِمِ[1]
ودع عنك عمرًا إنّ عمرا مُسالمٌ ... وهل بطن عمرٍو غيرشِبْرٍ لمطعم
فإنْ أنتمُ لم تقبلوا واتَّدَيْتُم ... فمَشُّوا بآذانِ النَّعامِ المُصَلَّمِ
[ولا ترتدوا إلاّ فضول نسائكم ... إذا ارتملتْ أعقابُهن من الدمِ]
أيقُتل عبدَ الله سيِّدَ قومِه ... بنومازنٍ أنْ سُبَّ راعى المَخَزَّمِ

فقال عمرو قصيدة له عند ذلك يقول : فيها :

صوت

أَرِقتُ وأمسيتُ لا أرقدُ ... وساورنى المُوجِعِ الأسوَدُ
وبتُّ لِذِكرى بنى مازن ... كأنّىَ مُرْتِفقٌ أرمدُ

فيه لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى نسبه يحيى المكى إلى ابن محرز ، وذكر الهشامى أنه منحول .

ثم أكبَّ على بنى مازن وهم غارُّون[2] فقتلهم وقال فى ذلك شعرا :

(١) الإفال : صغار الإبل . وصعدة : مخلاف باليمن . وفى المطبوع : لسعدة .
(٢) غارون : غافلون .

خذوا حِقَقًا مُخَطَّمَةً صَفايا وكَيْدِى يا مُحَزَّمُ ما أكيدُ[١]
قتلتمْ سادتى عَرَضًا فإنى على أكتافكم عُثٌ حَديدُ[٢]
[فمن يأبى من الأقوام نصرا ويتركنا فإنا لا نريد]

[وأرادت بنو مازن أن تردَّ عليهم الدِّية لما آذنهم بحرب فأبى عمرو، وكانت بنو مازن من أعداء مذحج . وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو ، وكان عمرٌو قد هَمَّ بالكفِّ عنهم حين قتل من قتل منهم ، فركبت كبشة فى نساء من قومها ورثت أخاها وعيَّرت عمرًا فأحمته ، فأكبَّ عليهم أيضا بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتل تفرقوا ، فلحقت بنومازن بتميم ولحقت ناشرة ببنى أسد وهم رهط الصَّقْعب بن الصَّحصح . ولحقت فالج بآل محمد بن منصور ، وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة ، وأمهما هند بنت عامر ابن زيد ، فقال كاسبة بن حرقوس بن مازن :

يا ليلتى يا ليلتى بالبلْدَة رُدَّتْ علىَّ نجومُها فارتدَّتِ
هلاَّ كناشرةَ الذى ضيعتُمُ كالغُصْنِ فى غُلَوائه المتَنَبِّتِ]

وقال عمرو فى ذلك :

تمنَّتْ مازنٌ جهلاً خِلاطى فذاقتْ مازنٌ طعم الخِلاطِ
أطلْتُ فِراطكم عاما فعاما ودَيْنُ المَذْحجىِّ إلى فِراطِ[٣]
أطلْتُ فِراطكم حتى إذا ما قتلتُ سَراتكم كانت قطاطِ[٤]
غدرْتُم غدرةً وغدرتُ أخرى فما إن بيننا أبدا تعاطى
[بطعنٍ كالحريق إذا التقينا وضرْبِ المشرفيَّة فى الغُطاطِ][٥]

(١) الحقق جمع حق ، وهو الطاعن من الإبل فى السنة الرابعة : مخطمه عليها الخطام ، والصفايا : الغزيرة اللبن .

(٢) العث : ما يأكل الصوف . وحديد : حاد . وعرضا : أصبتموه على غرة .

(٣) الفراط : الإمهال : أى أطلت إمهالكم والتأنى بكم ، أو أطلت التقدم بوعيدى لتخرجوا من حق فلم تفعلوا ، « انظر اللسان : فرط وقط » .

(٤) كانت قطاط : أى حسبى وكفانى : أى كان منكم قول حسبنا وكفانا . وفى اللسان : قالت قطاط .

(٥) الغطاط : الصبح ، أو اختلاط ظلام آخر الليل بضياء أول النهار . وزيادة البيت من مهذب الأغانى والمشرفية : السيوف المنسوبة إلى قرى من أرض العرب .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبى : قال المدائنى : حدثنى رجل من قريش قال : كنا عند فلانٍ القُرشىّ فجاءه رجل بجارية فغنته :

بالله ِ يا ظَبْيَ بنى الحارثِ هَلْ مَنْ وَفَى بالعَهْدِ كالناكِثِ؟

وغنته أيضا بغناء ابن سريج :

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنَمِ وِسادِىَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِى

فأعجبته واستام مولاها فاشتطّ عليه فأبى شراءها ، وأُعجبت الجارية بالفتى فلما امتنع مولاها من البيع إلاّ بشطط قال القرشىّ : فلا حاجة لنا فى جاريتك. فلما قامت الجارية للانصراف رفعت صوتها تغنى وتقول :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيعُ

قال : فقال الفتى القرشى : أفأنا لا أستطيع شراءك ؟ والله لأشترينّك بما بلغتِ ، قالت الجارية : فذاك أردتُ ، قال القرشى : إذاً لأجبُنُكِ ، وابتاعها من ساعته . والله أعلم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

بالله ياظبيَ بنى الحارثِ هل مَنْ وفى بالعهد كالناكث؟
لا تخْدَعَنّى بالمُنى باطلاً وأنت بى تلعب كالعابثِ

عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لابن سريج ، رمل بالبنصر وفيه لِسياط خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى ، وفيه لإبراهيم الموصلى لحن من رواية بذْل ، ومنها :

صوت

يا طول ليلى وبتُّ لم أنمِ وسادىَ الهمُّ مبطنٌ سَقَمِى

إذْ قمتُ ليلا على البلاط فأب ... صرت رَبيبا فليتَ لم أقُمِ[1]
فقلتُ عُوجى تَخَبَّرى خبرًا ... وأنت منه كصاحب الحُلُمِ
قالت بل اخشى العيون إذحضرَت ... حولى وقلبى مباشِرُ الألمِ

[عروضه من الخفيف[2] والشعر] والغناء لابن سريج رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى ، عن إسحاق .

المأمون وطاهر بن الحسين :

وذكر محمد بن الفضل الهاشمى قال : حدثنا أبى قال :

كان المأمون قد أطلق لأصحابه الكلام والمناظرة فى مجلسه فناظر يوما بين يديه محمدُ بن العباس الصُّولى علىَّ بن الهيثم جُونَقا[3] فى الإمامة، فتقلدها أحدهما ودفعها الآخر ، فلجَّت المناظرة بينهما إلى أن نَبَّط[4] محمد عليًا فقال له علىّ : إنما تكلمتَ بلسانِ غيرك ولو كنت فى غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر مما قلتَ، فغضب المأمون وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سوء الأدب بحضرته ونهض عن فرشه ونهض الجلساء فخرجوا ، وأراد محمد الانصراف فمنعه علىّ بن صالح صاحب المُصَلّىَّ وهو إذ ذاك يحجُب المأمون، وقال : أفعلتَ ما فعلت بحضرة أمير المؤمنين ونهض على الحال التى رأيتَ ثم تنصرف بغير إذن منه ؟ اجلس حتى نعرف رأيه فيك ، وأمر بأن يُحْبَس ، قال : ومكث المأمون ساعة فجلس على سريره وأمر بالجلساء فرُدُّوا إليه ، فدخل إليه على بن صالح فعرَّفه ما كان من قول محمدٍ فى الانصراف وما كان من منعه إياه، فقال : دعه ينصرف إلى لعنة الله فانصرف، وقال المأمون لجلسائه : أتدرون لم دخلت إلى النساء فى هذا الوقت ؟ قالوا :

(١) الربيب : ما أحسن القيام على تربيته . وفى المطبوع : رشاقا ، ولعلها أيضا رشيقا ، والرشيق : الخفيف الحسن القد .
(٢) هكذا فى مخطوط ، وليس من الخفيف بل من المنسرح .
(٣) فى المطبوع : حولنا ، والضبط من مخطوط ، ولعل جونقا : لقب لعلى بن الهيثم .
(٤) نبط معناها هنا : استخرج ما عنده ، ويراد أنه لم يبق عنده بعد ذلك ما يجيب به .

لا ، قال : إنه لمّا كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمن فلتات الغضب وله بنا حرمة فدخلت إلى النساء فعابثتهنّ حتى سكن غضبي . قال : ومضى محمد عن وجهه ، إلى طاهر فسأله الركوب إلى المأمون وأن يستوهبه جرمه فقال طاهر : ليس هذا من أوقاتي ، وقد كتب إليّ خليفتي في الدار أنه قد دعا بالجلساء . فقال : أكره أن أبيت ليلة وأمير المؤمنين عليّ ساخط ، فلم يزل به حتى ركب طاهرٌ معه فأذِن له ومُجيرٌ الخادمُ واقف على رأس المأمون ، فلما بَصُرَ المأمون بطاهر أخذ منديلا [كان بين يديه] فمسح به عينيه مرتين أو ثلاثا إلى أن وصل إليه وحرك شفتيه بشيء أنكره طاهر ، ثم دنا فسلّم فردّ السلام وأمر بالجلوس فجلس في موضعه ، فسأله عن مجيئه في غير وقته ، فعرّفه الخبر واستوهبه ذنب محمد فوهبه له وانصرف وعرّف محمدًا ذلك ، ثم دعا بهارون بن خَنْغُويَه وكان شيخا خراسانيا داهية ثقةً عنده ، فذكر له فعل المأمون وقال له : الْقَ كاتبَ مُجيرٍ والْطُف له واضمن له عشرة آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون ، ففعل ذلك ولطف له ، فعرفه أنه لما رأى طاهرًا دمعتْ عيناه وترحّم على محمد الأمين ومسح دمعه بالمنديل ، فلما عرف ذلك طاهر ركب من وقته إلى أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان طاهر لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون وكلهم يركب إليه ، فقال له : جئتك لتوليني خراسان وتحتال لي فيها ، وكان أحمدُ يتولى فضّ الخرائط بين يدي المأمون ، وغسّانُ بن عبّاد يتولى إذ ذاك خراسان ، فقال له أحمد : هلاّ أقمت بمنزلك وبعثت إليّ حتى أصير إليك ولا يُشْهَر الخبر فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأن المأمون يعلم أنك لا تركب إلى أحد من أصحابه ، وسيبلغه هذا فينكره ، فانْصَرِفْ وَأَغْضِ عن هذا الأمر وأمْهلني مدة حتى أحتال لك . ولبث مدة وزوّر ابن أبي خالد كتابا عن غسان بن عباد إلى المأمون يذكر فيه أنه عليل وأنه لا يأمن على نفسه ويسأل أن يستخلف غيره على خراسان . وجعله في خريطة وفضها بين يدي المأمون في خرائط وردت عليه ، فلما قرأ على المأمون الكتابَ اغتمّ به وقال له : ما ترى ؟

فقال : لعلّ هذه علة عارضة تزول وسَيَرِدُ بعد هذا غيره ، فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأْيَه ، ثم أمسك أياما وكتب كتابا آخر ودسَّه فى الخرائط يذكر فيه أنه تناهى فى العلة إلى مالا يرجو معه نفسه . فلما قرأه المأمون قلق وقال : يا أحمد إنه لامَدْفع لأمر خراسان فما ترى ؟ فقال هذا رأى إن أشرْتُ فيه بما أرى فلم أُصِبْ لم أستقبله [١] وأمير المؤمنين أعلم بخدمه ومن يصلح بخراسان منهم . قال : فجعل المأمون يُسمِّى رجالا ويطعن أحمد على واحد واحد منهم إلى أن قال : فما ترى فى الأعور ؟ قال : إن كان عند أحد قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده، فدعا به المأمون فعقد له على خراسان وأمره أن يعسكر فعسكر بباب خراسان، ثم تعقَّب الرأْى فعلم أنه قد أخطأ فتوقف عن إمضائه وخشى أن يُوحش طاهراً بنقضه فمضى شهر تام وطاهر مقيم بمعسكره؛ ثم إن المأمون فى السحر من ليلة أحدٍ وثلاثين يوما من عقده اللواء لطاهر أمر بإحضار مخارق المغنى فأُحضر وقد صلى المأمون الغداة مع طلوع الفجر فقال : يا مخارق أتغنى :

إذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيعُ
وكيف تريد أن تُدعى حكيما   وأنت لكل ما تهوى تَبُوعُ

قال : نعم قال : هاته فغناه، فقال : ماصنعت شيئا فهل تعرف من يقوله أحسن مما تقوله ؟ قال : نعم علَّويه الأعسر فأمر بإحضاره فكأنه كان وراء الستر ، فأمره أن يغنيه فغناه واحتفل ، فقال : ما صنعت شيئا أتعرف من يقوله أحسن مما تقوله ؟ فقال : نعم عمرو بن بانَة شيخُنا فأمر بإحضاره فدخل فى مقدار دخول علّويه، فأمر بأن يغنيه الصوت فغناه، فقال : أحسنت ما شئت ، هكذا ينبغى أن يقال ثم قال : يا غلام اسقنى رطلا واسق صاحبيه رطلا رطلا ، ثم دعا له بعشرة آلافِ درهم وخِلعةِ ثلاثةِ أثواب ، ثم أمره بإعادته فأعاده ، فردّ القول الذى قاله وأمر له بمثل ما أمر حتى فعل ذلك عشرًا ، وحصل لعمرٍو مائةُ ألف درهم وثلاثون ثوبا ، ودخل المؤذن فآذنوه بالصلاة فنَقَد [٢] أصبعه الوسطى بإبهامه

(١) لعلها أيضا : لم أستقله : أى لم أطلب الإقالة منه .
(٢) نقد : نقر أو ضرب . وفى المطبوع : فعقد .

وقال : بَرْقٌ يمانٍ برق يمان ، وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرف مَنْ بحضرته من الجلساء ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين قد أنعمت علىّ وأحسنتَ إلىّ فإن رأيت أن تأذن لى فى مقاسمة أخَوىّ ما وصل إلىّ فقد حَضَراه . فقال : ما أحسن ما استمحْتَ لهما بل نُعطيهما نحن ولانُلحقهما بك. وأمر لكل واحد بمثل نصفِ جائزة عمرو ، وبكَّر إلى طاهر فرحَّله ، فلما ثنى عِنان دابته منصرفا دنا منه حُمَيد الطوسى فقال : اطرَحْ على ذَنَبهِ ترابا . فقال : اخسأْ ياكلب ، ونَفَذَ طاهر لوجهه ، وقدم غسان بن عبّاد فسأله عن عِلّته وسببها ، فحلف له أنه لم يكن عليلا ولا كتب بشىء من هذا ، فعلم المأمون أن طاهرا احتال عليه بابن أبى خالد ، وأمسك على ذلك ، فلما كان بعد مدّة من مَقدم طاهرٍ إلى خراسان قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة ، فقال له عونُ بن مُجاشعِ بنِ مَسْعَدة صاحبُ البريد : لم تَدْعُ فى هذه الجمعة لأمير المؤمنين فقال : سهو وقع فلا تكتب به ، وفعل مثل ذلك فى الجمعة الثانية وقال لعون : لا تكتب به ، وفعله فى الجمعة الثالثة ، فقال له عون ، إن كتب التجار لا تنقطع من بغداد ، وإن اتصل هذا الخبرُ بأمير المؤمنين من غيرنا لم آمن أن يكون سبب زوال نعمتى . فقال : اكتب بما أحببت ، فكتب إلى المأمون بالخبر ، فلما وصل كتابه دعا بأحمد بن أبى خالد وقال : إنه لم يَذْهَبْ علىّ احتيالُك علىّ فى أمر طاهر وتمويهك له ، وأنا أُعطى الله عهدًا لئن لمْ تَشْخص حتى توافينى به كما أخرجتَه من قبضتى وتُصلح ما أفسدته علىّ من أمر مُلكى لأُبيدَنّ غضْرَاءك [1] . وشخص أحمد وجعل يتلوّم فى الطريق ويقول لأصحاب البريد : اكتبوا بخبر عِلّةٍ أجِدُها . فلما وصل إلى الرَّىّ لقيته الأخبار ووافاه رسل طلحة بن طاهر بوفاة طاهر ، فأغَذّ [2] السيرَ حتى قدم خراسان فلقيه طلحة على حين غفلة ، فقال له أحمد: لاتكلمنى ولا تُرنى وجهك فإن أباك عرَّضنى للعطَب وزوال النعمة مع احتيالى له وسعيى — كان — فى محبَّته . فقال له :[إ]أبى قد مضى لسبيله ولو [أ]دركْتَه لما خرج عن

(١) الغضراء : الأرض الطيبة والخصب ، وأباد غضراءه : أهلك خيره .
(٢) أغذ السير : أسرع .

طاعتك . وأما أنا فأحلف لك بكل يمين تسكن إليها نفسك وأبذل كل ما عندى من مال وغيره ، فاضْمَنْ له عنى حسنَ الطاعة وضبطَ الناحية والإخلاص فى النصيحة ،فكتب أحمد بخبرِه وخبرِ طاهر وخبرِ طلحة إلى المأمون وأشار بتقليده، فأنفذ المأمون إليه اللواء والخلع والعَهد ، وانصرف أحمدُ إلى مدينة السلام .

أخبرنى وكيعٌ قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنى حماد بن إسحاق . عن أبيه قال :

مدح ابنُ هَرْمَةَ رجلا من قريش فلمْ يُثِبه فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تفعل فإنه شاعر مُفَوَّهٌ ، فلم يَقبل منه ، فقال فيه ابن هرمة :

فهلاَّ إذ عجزْتَ عن المعالى ... وعمَّا يفعل الرجل القَرِيعُ[١]
أخذْتَ برأى عَمْرٍو حين ذَكىَّ ... وشُبَّ لنارِه الشرفُ الرفيع
إذا لم تستطع شيئا فدَعْه ... وجاوِزْه إلى ما تستطيع

ومما قاله عمرو بن معد يكرب فى ريحانة أخته وغُنِّى فيه قوله :

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطَّربا ... إذْ فارَقَتْك وأمستْ دارها غُرُبا
ما زلت أحبس يوم البَيْنِ راحلتى ... حتى استمرّوا وأذْرَت دمعها سَرِبا
حتى ترَفَّعَ بالحُزَّانِ — يركُضها ... مثلَ المهاة — مَرَتْه الريحُ فاضطربا[٢]
والغانيات يُقَتّلْن الرجالَ إذا ... ضرَّجْن بالزعفرانِ الرَّيْطَ والنُّقُبا
من كل آنسة لم يَغْذُها عَدَمٌ ... ولا تَشُدُّ لشىءٍ صوتَها صَخَبا
إنَّ الغوانىَ قد أهلكننى تعباً ... وخِلتُهن ضعيفاتِ القوى كُذُبا[٣]

غنى فى هذا الشعر ابن سريج خفيف ثقيل من رواية حماد ، وفيه رمل نسبه حَبَش إليه أيضا ، وقال الأصمعى : هذا الشعر لسهل بن الحنظلية الغنوىّ ثم الضَّبِينىّ ثم الجابرىّ وهو جابر بن ضَبِينة .

---

(١) القريع : المقارع ، والغالب ، والسيد .

(٢) الحزان : المنهبط من الأرض ، أوالغليظ منها ، وما كثرت حجارته ، ومرته : استدرته .

(٣) فى مخطوط : إن الغوانى قد أهلكننى وأرى ... حبا لهن ضعيفات القوى كذبا .

سهل بن الحنظلية :

قال أبو الفرج الأصبهانى : وسهل بن الحَنْظَلِيَّة أحدُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد روى عنه حديثا كثيرا ؛ فذكر الأصمعى أن السبب فى قوله هذا الشعر أنه اجتمع ناس من العرب بعُكاظ ، منهم قُرَّة بن هُبَيرة القُشيرىُّ ، والمُخبَّلُ وهو فى جوار قرة بن هبيرة القشيرى فى سنين تتابعت على الناس فتواعَدوا وتوافقوا أن لايتَغاوروا حتى يُخْصِب الناس . ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتَشِر بن وَهْب الباهلىّ ثم الوائلىّ فليشهدْ أمرنا ولنُدْ خِله معنا ، فأتاهم فأعلموه ما صنعوا ، قال : فما يأكل قومى إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارم الضبىّ : إنك لهناك يا أخا باهلة ، قال : أما أنا فالغُسْل والنساء علىّ حرامٌ حتى آكل من قَمَع[1] إبلك ، فتفرقوا ولم يكن إلا ذلك ، وقد قال ابن جارم للمنتشر — عند قوله — : استُكَ أضيق من ذاك . فأغار المنتشر على ابن جارم فلما رآه ابنُ جارم رمى بنفسه فى وِجار ضَبُعٍ وأطرد المنتشرُ إبله ورِعاءها فقال سهل فى ذلك :

٭ هاج لك الشوقُ من ريحانة الطربا ٭

فى قصيدة طويلة له حسنة ، وقال فى ذلك أعشى باهلة :

فِدًى لك نفسى إذ تركتَ ابنَ جارمٍ ... أجبَّ السنامِ بعد ما كان مُصْعَبا

وقال المُخبَّل فى ذلك :

إنّ قُشَيْرًا من لِقاحِ ابنِ جارمٍ ... كفاسلةٍ حيضا وليستْ بِطاهرِ

وأنبأ تُمانى أن قُرَّةَ آمِـــنٌ ... قتالا أباه من مُجيرٍ وخافـِـرِ[2]

فلا تُوكلوها الباهلىَّ وتقعُدوا ... لدى غرَضٍ أرميكُمُ بالنواقرِ[3]

---

(١) القمع : أعلى السنام من البعير أو الناقة ، أو هى جمع قمعة ، ومعناها خيار الإبل .

(٢) فى مخطوط : قتال أباه .

(٣) النواقر : جمع ناقرة ، وهى الداهية ، وتوصف السهام الصائبة بالنواقر .

إذا هي حلّت بالذُّهاب وذى حُسا　　　وراحتْ خفافَ الوطْءِ حُوشَ الخواطرِ [١]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرنى يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنى قَعْنب بن المُحْرِز قال : أخبرنا الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عياش ، عن محمد بن المنتشر قال :

أخبرنى من شهد الأشعث بن قيس وعمرَو بنَ معْدِ يكَرِبَ وقد تنازعا فى شئ فقال عمرو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونكنا أمك ، فقال سعد : قُوما أفّ لكما ، فقال الأشعث لعمرو : واللهِ لأُضرّطنّك . فقال : كلاّ إنها غرور مُوَثَّقة [٢] قال جرير بن عبد الله البَجَلِىّ : فأخذت بيد الأشعث فنثرته فوقع على وجهه ، ثم أخذت بيد عمرو فجذبته فما تحلحل واللهِ لكأنما حرّكتَ أسطوانةَ القصر .

وقال أبو عبيدة : قدم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقّاص الفَهْمى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأتياه وبين يديه مال يوزن ، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يوم الخميس ، قال : فما حبَسكما عنى ؟ قالا : شُغِلنا بالمنزل يوم قدمنا ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم ، فلما فرغ من وزن المال نحّاه ثم أقبل عليهما فقال : هيه ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين هذا الأجلح بن وقّاص شديد المِرَّة ، بعيد القَرَّة ، وشيك الكرَّة ، واللهِ ما رأيت مثله من الرجال صارعا ومصروعا ، والله لكأنه لا يموت ، فقال عمر للأجلح بن وقاص وأقبل عليه : هيه قال : وأنا أعرف الغضب فى وجهه فقلت : يا أمير المؤمنين ، الناس صالحون ، كثيرٌ نسلُهم ، دارّةٌ أرزاقهم ، خصبٌ نباتُهم ، أجْرِئاء على عدوّهم ، جبانٌ عدوُّهم عنهم ، صالحون بصلاح إمامهم ، واللهِ ما رأينا مثلك إلاّ من تقدمك ، فنستمتعُ اللهَ بك ، فقال : ما منعك أن تقول فى صاحبك مثل الذى قال فيك ؟ قال : منعنى ما رأيتُ فى وجهك ، قال : قد أصبتَ ، أما لو قلتَ له مثل الذى قال لك

(١) الذهاب وذو حسا : موضعان ، انظرهما فى معجم البلدان . والحوش : الحديد ، يقال : رجل حوش الفؤاد : أى حديده .

(٢) فى مخطوط : « إنها عزوز موقعة » ، والعزوز : السيىء الخلق ، والموقعة من وقعت الحجارة فى حافره : قطعت سنابكه تقطيعا ، ويراد بها هنا شديدة .

لأوجعتكما عقوبةً ، فإنْ تركتك لنفسك فسوف أتركه والله لك ، لوددت لو سلمتْ لكم حالُكم هذه أبدا ، أما إنه سيأتى عليك تَعَضُّه وينهشُك ، وتهرُّه وينبحك ، ولستَ له يومئذ وليس لك ، فإن لم يكن بعهدكم فما أقربه منكم .

قال أبو عبيدة : حدثنا يونس وأبو الخطاب قالا :

لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانا ومناطق ورقابا فبلغت مالاً عظيما ، فعزل سعدٌ الخُمُسَ ثم فضَّ البقية فأصاب الفارسَ ستةُ آلاف والراجل ألفان . فبقى مالٌ دَثْرٌ [١] ، فكتب إلى عمر رضى الله عنه بما فعل ، فكتب إليه : أنْ رُدَّ على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ، ففعل ، فأجراهم مُجرى مَنْ شهد ، وكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه : أنْ فُضَّ ما بقى على حملة القرآن . فأتاه عمرو بن معد يكرب . فقال : ما معك من كتاب الله تعالى ؟ فقال : إنى أسلمت باليمن ثم غزوت فشُغِلت عن حفظ القرآن ، قال : مالك فى هذا المال نصيب . قال وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمىّ صاحب جبَّانة بِشْر . فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم منه ولم يُعطه شيئا . فقال عمرٌو فى ذلك :

إذا قُتِلْنا ولايبكى لنا أحــدٌ قالت قريش ألا تلك المقاديرُ
نُعْطَى السَوِيَّةَ مِن طَعْنٍ له نفَذٌ ولا سَوِيَّةَ إذ تُعْطَى الدنانيرُ

وقال بشر بن ربيعة :

أنختُ بباب القادسيَّةِ ناقتى وسعدُ بنُ وقَّاصٍ علىَّ أميرُ
وسعد أميرٌ شرُّه دون خَيْرِه وخَيْرُ أميرٍ بالعراق جَرِيرُ
وعند أمير المؤمنين نوافلٌ وعند المُثَنَّى فِضَّةٌ وحَرِيرُ
تَذَكَّرْ هداك اللهُ وَقْعَ سيوفنا بباب قُدَيْسٍ والمَكَرُّ عَسِيرُ [٢]
عشيةَ وَدَّ القومُ لو أن بعضهم يُعارُ جَناحَىْ طائرٍ فيطيرُ
إذا ما فرغْنا من قِراعِ كتيبةٍ دَلَفْنا لأُخرى كالجبال نسيرُ

(١) الدثر : المال الكثير . (٢) معجم البلدان « قديس » والمكر ضرير .

ترى القوم فيها وَاجِمِينَ كأنهمْ جِمالٌ بِأَحْمالٍ لهنّ زفيرُ

فكتب سعد إلى عمر رضى الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردّا عليه وبالقصيدتين ، فكتب : أنْ أعطهما على بلائهما ، فأعطى كل واحد منهما ألفى درهم .

قال : وحدثنى أبو حفص السُّلمىّ قال : كتب عمر إلى سَلْمان بن ربيعة الباهلىّ : إنّ فى جندك عمرَو بنَ معد يكرب وطُليحةَ بن خُويلد الأسدىَّ ، فإذا حضر الناس فأدْنهما وشاورهما وابعثهما فى الطلائع ، وإذا وضعتِ الحربُ أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما ، يعنى بذلك ارتدادهما ، وكان عمرو ارتدّ وطُليحة تنبّأ .

قال : وحدثنا أبو حفص السُّلمى قال : عرض سلمان بن ربيعة جنده بأرمينية ، فجعل لا يقبل إلاّ عتيقا ، فمرّ به عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ ، فقال سليمان : هذا هَجين ، فقال عمرو : الهَجينُ يعرفُ الهجينَ . فبلغ عمرَ رضى الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه : أمّا بعدُ فإنك القائل لأميرك ما قلت ، وإنه بلغنى أن عندك سيفا تُسميه الصمصامة ، وعندى سيف أُسميه مُصَمّما وأُقسم لئن وضعتُه بين أذنيك لا أُقْلِع حتى يَبلغ قِحْفَك ، وكتب إلى سلمان يلومه فى حلمه عنه .

قال : وزعموا أن عمْرًا شهد فتح اليرموك وفتح القادسية وفتح نَهاوند مع النعمان بن مُقَرّن المزَنى ، وكتب عُمَرُ إلى النعمان : إن فى جندك رجلين عمرَو ابنَ معد يكرب وطُليحة بنَ خويلد الأسدىَّ من بنى قُعَيْن فأحضِرْهما الحربَ وشاورهما فى الأمر ولاتوَلّهما عملاً والسلام .

صوت

خليلىّ هُبّا طالما قد رقدْتما أَجِدّكُما لا تقضِيان كَرَاكُما
سأبكيكما طولَ الحياة وما الذى يَرُدُّ على ذى عَوْلةٍ إنْ بكاكما

ويروى : ذى لَوْعة، الشعر لقُسّ بن ساعدةَ الإيادىّ فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدىّ فى خبرٍ أنا ذاكره هاهنا ، وذكر يعقوب بن السِّكّيت أنه لعيسى بن ابن قُدامة الأسدىّ ، وذكر العُتْبِىُّ أنه لرجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له الحسن بن الحارث [1] . والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو :

(١) وذكر أيضا أنه للنصر بن غالب يرثى أوس بن خالد وأنيسا » انظر معجم البلدان : راوند »

ذكر خبر قس بن ساعدة ونسبه

وقصته في هذا الشعر

هو قُسّ بن ساعدة[١] بن عمرو بن عمرو وقيل مكان عَمْرو: شِمْر بن عَدِيّ بن مالك بن أَيْدَعان بن النَّمِر بن واثلة بن الطَّمَثان[٢] بن زيد مناة بن يقدُم[٣] بن أفصى بن دُعْمِيّ بن إياد، خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها وحَكَمُها فى عصره، يقال: إنه أول من علا على شرَف وخطب عليه، وأول من قال فى كلامه: أمّا بعد، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا، وأدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوّة ورآه بعكاظ فكان يأْثِر عنه كلاما سمعه منه، وسئل عنه فقال: يُحشر أُمّةً وحده.

وقد سمعت خبره من جهات عدة إلا أنه لم يَحْضُرنى وقتَ كتبْتُ هذا الخبر غيرُه، وهو وإنْ لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسناداً فهو من أتمها.

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال: حدثنا أبو شعيب صالح بن عمران قال: حدثنى عمر بن عبد الرحمن بن حَفْص النَّسائى قال: حدثنى عبد الله بن محمد قال: حدثنى الحسن بن عبد الله قال: حدثنى محمد بن السائب، عن أبى صالح، عن ابن عباس قال:

لما قدم وفد إياد على النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا: مات يا رسول الله، قال: كأنى أنظر إليه بسوق عُكاظَ على جمل له

(١) فى الإصابة حرف القاف القسم الرابع: قس بن ساعدة بن جذامة بن زفر بن إياد بن نزار الإيادى.

(٢) فى جمهرة أنساب العرب: الطمثان. وهو تصحيف هناك. «انظر تاج العروس: طمث».

(٣) فى تاج العروس: عوذ مناة. وفى جمهرة أنساب العرب: عبد مناة. وفى الأصول: ابن تهدم والتصويب من تاج العروس، وجمهرة الأنساب، والاشتقاق.

أوْرق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدنى أحفظه . فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا رسول الله ، قال : كيف سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : أيها الناس اسمعوا وَعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت، ليلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذات أبراج. بحار تَزْخَر. ونجوم تزْهر، وضوء وظلام، وبِرّوآثام ، ومَطعم ومَشرب ، وملبس ومركب ، مالى أرى الناس يذهبون ولاَ يرجعون ؟ أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ،أم تُرِكوا فناموا ،وإلهِ قسَ بن ساعدة ماعلى وجه الأرض دِينٌ أفضلُ من دِينٍ قد أظلّكم زمانُه.وأدْرَكَكُم أوانه، فطُوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

فى الذّاهبينَ الأوّليـ ن من القرون لنا بصائرْ
لمّا رأيتُ مواردًا للموت ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومى نحوها يمضى الأصاغرُ والأكابرْ
أيقنت أنى لا محا لة حيث صار القوم صائرْ

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يرحم الله قُسًا، إنى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أُمّةً وحده . فقال رجل : يا رسول الله لقد رأيت من قُسَ عجبا ، قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبل يقال له سَمْعانُ فى يوم شديد الحرّ إذ أنا بقس بن ساعدة تحت ظلّ شجرةٍ عند عين ماء ، وعنده سِباع . كلّما زأر سبع منها على صاحبه ضربه بيده وقال : كُفَّ حتى يشرب الذى وَرَد قبلك . قال : فَفَرِقْتُ فقال : لا تخف ، وإذا أنا بقبريْنِ بينهما مسجدٌ فقلت له : ما هذان القبران اللذان أراهما ؟ قال: هذان قبرا أخويْنِ كانا لى فماتا فاتخذت بينهما مسجدًا أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتى ألحق بهما ، ثم ذكر أيامهما فبكى ثم أنشأ يقول :

خليلىَّ هُبّا طالما قد رقدتما أجِدَّكُما لاتقضيان كراكُما
ألم تعلما أنى بسَمْعانَ مُفْرَدٌ وما لىَ فيه من حبيب سواكُما
أُقيم على قبريكما لستُ بارحا طوال الليالى أو يُجيبَ صداكما
كأنّكما والموت أقربُ غاية بجسمىَ فى قبريكما قد أتاكما
فلو جُعلَتْ نفسٌ لنفسٍ وقايةً لجُدْتُ بنفسى أن تكون فداكما

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يرحم الله قسًا .

عيسى بن قدامة

وأما الحكاية عن يعقوب بن السِّكِّيت أن الشعر لعيسى بن قُدامة الأسدىّ فأخبرنى بها علىُّ بن سليمان الأخفش عن السَّكونى قال: قال يعقوب بن السِّكِّيت:

قال عيسى بن قدامة الأسدى، وكان قدم قاسانَ، وكان له نَديمانِ فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين وهما بِرَاوَنْدَ فى موضع يقال له خُزَاقُ فيشرب ويَصُبّ على القبرين حتى يَقْضِىَ وطره، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب:

خليلىَّ هُبَّا طالما قد رقدتما ... أجِدَّكما لاتقضيان كراكُما
ألم تعلما مالى بِراوَنْدَ هذه ... ولا بخُزاقَ مِنْ نديمٍ سِواكُما
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحا ... طَوَالَ الليالى أو يُجيبَ صداكُما
جرى الموتُ مجرى اللحم والعظم منكما ... كأنَّ الذى يَسقى العُقارَ سقاكما
تحمَّل مَن يهْوَى القفُولَ وغادروا ... أخاً لكما أشجاه ما قد شجاكُما
فأىُّ أخٍ يجفو أخاً بعد مَوْتِه ... فلستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما
أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ ... فإلاَّ تذوقا أرْوِ منها ثَرَاكُما
أُناديكما كيما تُجيبا وتَنطقا ... وليس مُجاباً صَوْتُه مَنْ دعاكما
أمِنْ طُولِ نَوْمٍ لا تُجيبانِ داعيا ... خليلىَّ ما هذا الذى قد دَهاكُما
قَضَيْتُ بأنى لا محالةَ هالكٌ ... وأنّى سيعرونى الذى قد عراكُما
سأبكيكما طولَ الحياةِ وما الذى ... يَرُدُّ على ذى عَوْلةٍ أنْ بَكاكُما

أخبرنى ابنُ عمار أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد بنِ يحيى البلاذُرِىّ قال: حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم العجلىُّ قال:

بلغنى أن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجّهه الحجّاجُ إلى الدَّيْلم، وكانوا يتنادمون لايخالطون غيرهم، فإنهم لعلى ذلك إذ مات أحدهما فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره فإذا بلغه الكأسُ هرَاقاها على قبره وبكيا،

ثم إن الثانى مات فدفنه الباقى إلى جنب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذى يليه ثم على الآخر ويبكى ، وقال فيهما :

• نَدِيمَىَّ هُبَّا طالما قد رَقدتُما •

وذكر بعض الأبيات التى تقدّم ذكرها ،وقال مكان «براوند» هذه «بقزوين» وسائر الخبر نحو ماذكرناه . قال ابنُ عمَّار : فقبورهم هناك تعرف بقبور النُّدماء . وذكر العُتبىُّ عن أبيه أن الشعر للحزين بن الحارث أحدِ بنى عامر بن صعصعة وكان أحدُ نديميه من بنى أسد والآخرُ من بنى حَنيفة ، فلما مات أحدهما كان يشرب ويصبّ على قبره ويقول :

لا تُصَرِّدْ هامةً من كأسها ... واسْقِه الخمرَ وإن كان قُبِرْ(١)

كان حُرًّا فهوَى فيمن هوَى ... كلُّ عُودٍ ذى شُعوبٍ يَنْكسِرْ

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد :

• خليلىَّ هُبَّا طالما قد رقدتما •

الأبيات . قال : ثم قالت له كاهنة : إنك لا تموت حتى تنهشك حيَّةٌ فى شجرة بوادى كذا وكذا ، فورد ذلك الوادى فى سفر له وسأل عنه فعرفه ، وقد كان حَطَّ فى أصل شجرة ومَدَّ رِجْله عليها فنهشته حية فأنشأ يقول :

خليلىَّ هذا حيثُ رمسى فعَرِّجا ... علىَّ فإنى نازل فمُعَرِّسُ

لبِستُ رداءَ العيش أَحْوَى أجره الـ ... عشيَّاتِ حتى لم يكنْ فيه ملبَسُ

تركتُ خِبائى حيثُ أرْسَى عمادُهُ ... علىَّ وهذا مَرْمَسِى حيث أُرْمسُ

أحتَنِى الذى لا بدَّ أنّك قاتلى ... هلُمَّ فما فى غابرِ العيش مَتْنفَسُ

أبَعْدَ نديمَىَّ اللَّذيْنِ بعاقِلٍ ... بكيتهما حوْلاً مدًى أتوَجَّسُ

---

(١) لاتصرد : لاتسق دون الرى وإطفاء الغليل .

ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

هو هاشم بن سليمان مولى بنى أُميَّة ، ويكنى أبا العباس . وكان موسى الهادى يُسمِّيه أبا الغَرِيض . وهو حسن الصنعة غزيرها . وفيه يقول الشاعر :

يا وَحْشَتى بعدكَ يا هاشِمُ غِبْتَ فشَجْوِى بكَ دائِمُ
اللَّهْوُ واللَّذَّةُ ياهاشِمُ مالم تكنْ حاضِرَهُ ماتِمُ

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز قال : حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرْدَاذْبَه قال : كان موسى الهادى يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحه ويلقبه أبا الغريض .

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد قال :

بلغنى أن هاشم بن سليمان دخل يوما على موسى الهادى فغناه :

صوت

لو يُرْسِلُ الأَزْلُ الظِّبَا ءَ تَرُودُ ليس لهنَّ قائِدْ (١)
لتيَمَّمَتْكَ تَدُلُّها رِيَّاكَ للسُّبُلِ المَوارِدْ
وإذا الرِّياحُ تَنكَّرَتْ نُكْبا هَوَاجِرُها صوارِدْ
فالناس سائِلَةٌ إليك فصَادِرٌ يَغْشَى ووارِدْ

الشعر لِطُرَيح بن إسماعيل الثقفى يقوله فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، والغناء لهاشم بن سليمان خفيف ثقيل أول بالبنصر . فطرب موسى وكان بين يديه كانونٌ كبير ضخم عليه فحم فقال له : سلنى ما شئت ، قال : تملأُ لى هذا الكانون دراهم فأمر له بذلك وفُرِّغ الكانون فوسع ستّ بُدُور فدفعها إليه .

وقد أخبرنى بهذا الخبر الحسن بن علىّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه قال : حدثنا

(١) الأزل : الوقوع فى الضيق والشدة .

عبد الله بن أبي سعد ، عن أبي تَوْبَةَ ، عن محمد بن جبر عن هاشم بن سليمان قال : أصبح موسى أميرُ المؤمنين يوما وعنده جماعة منّا فقال : يا هاشم غنّني .

أَبهارُ قد هيّجتِ لى أوْجاعا [١]

فإن أصبت مرادى فيه فلك حاجة مقضيّة ، فغنّيته فقال : قد أصبت وأحسنتَ ، سَلْ حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين تأمر أن يُملأ هذا الكانونُ دراهم — قال : وبين يديه كانون عظيم — فأمر به فمُلِىء فوسع ثلاثين ألف درهم ، فلما حصّلتها قال : يا ناقص الهمّة لو سألتنى أن أملأه دنانير لفعلت ، فقلت : أقلنى يا أمير المؤمنين ، فقال : لاسبيل إلى ذلك فلم يُسْعِدْكَ الجَدُّ بِهِ .

نسبة هذا الصوت

أَبهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعا وتركتِنى عَبْدًا لكم مِطْوَاعا
بحديثِكِ الحسنِ الذى لو كُلّمتْ وَحْشُ الفلاة به لجئْنَ سِراعا
وإذا مررْتُ على البَهار مُنَضَّداً فى السُّوقِ هَيّجَ لى إليك نِزاعا
والله لو علِم البَهارُ بأنّها أضْحتْ سَمِيّتَهُ لَصارَ ذِراعا

الغناء لهاشم ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو ، وفيه ثقيل أول بالوسطى ينسب إلى إبراهيم الموصلىّ وإلى يحيى المكىّ وإلى إسحاق .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى بعض أصحابنا قال :

كنا فى منزل محمد بن إسماعيل بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، وكان عالما بالغناء والفقه جميعا ، وقد كان يحيى بن أكثم وصفه للمأمون بالفقه ووصفه أحمد ابن يوسف بالعلم بالغناء ، فقال المأمون : ما أعجبَ ما اجتمع فيه ، العلم بالفقه والغناء ، فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ أن يتحوّل إلينا ، وكان فى جوارنا وعندنا يومئذ محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وذُكاء وصغير غلاما أحمدَ ابن يوسفَ الكاتب ، فكتب إلينا إسحاق : جعلتُ فداكم ، قد أخذتُ دواءً ، فإذا خرجت منه حملت قِدْرى وصرت إليكم ، وكتب فى أسفل كتابه :

(١) الشعر للمؤمل بن أميل معجم الشعراء : ٣٨٤ — ٣٨٥ ، وذكر أن فيه لحنا لمعاذ بن الطبيب .

أنا شَمَاطِيطُ الّذى حُدِّثْتَ بهْ   متى أُنَبَّهْ للغَدَاءِ أَنْتَبِهْ
ثم أدور حوله وأَحْتَبِهْ   حتى يقال شَرِهٌ ولستُ بِهْ

ثم جاءنا ومعه بُدَيحٌ غلامه فتغدينا وشربنا فغنى ذكاء غلام أحمد بن يوسف :

• أبهارُ قد هَيَّجْتِ لى أوجاعا •

فسأله إسحاق أن يعيده فأعاده مرارا ثم قال له : ممن أخذت هذا ؟ فقال : من مُعاذ بن الطَّبيب ، قال : والصنعة فيه له ، فقال له إسحاق : أُحبّ أن تلقيه على بُديح ، ففعل ، فلما صُلِّيَت العشاءُ انصرف ذكاء وقعد أبو جعفر يشرب — يعنى مولاه — وعنده قوم وتخلّف صغيرٌ فغنّانا ، فقال له إسحاق : أنت واللهِ يا غلام ما خُورِىٌّ ؛ وسكِر محمد بن إسماعيل فى آخر النهار فغنّانا :

هَبُونى أغضُّ إذا ما بَدَتْ   وأملِكُ طرْفى فلا أنظرُ

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : أجَرَكَ اللهُ فى ابن عمك ، أى قد سكر فأقْدَمَ على الغناء بحضرتى .

نسبة هذا الصوت

صوت

هَبُونى أغضُّ إذا ما بدتْ   وأملِكُ طرفى فلا أنظرُ
فكيف احتيالى إذا ما الدموعُ   نَطَقْنَ فبُحْنَ بما أُضْمِرُ
أيا مَنْ سُرورى بِهِ شِقْوَةٌ   ومَنْ صَفْوُ عيشى به أكْدَرُ
أمِنّى تخافُ انتشارَ الحديثِ   وحَظّىَ فى سَتْره أوْفَرُ
ولو لم أصُنْهُ لبُقْيا عليكَ   نظرتُ لنفسى كما تَنْظُرُ

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دُحْمانَ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو فى الأبيات الثلاثة الأول ، وفيها لعمرو بن بانة ما خورىّ ، وفى :

• أيا مَنْ سرورى به شِقوةٌ •

لسُلَيْمٍ هزَج ، وفيه ثانى ثقيل ينسب إلى حسين بن مُحْرِز وإلى عباس مِنْقارٍ .

رشيد بن رميض

والحطم والعلاء الحضرمى

صوت

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتَدِّى زِيَم (١) قد لفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ

ليس براعى إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزَّارٍ على ظَهْر وَضَمْ (٢)

عروضه من الرجز . الشعر لرُشَيدِ بن رُمَيضٍ العَنَزىِّ (٣) يقوله فى الحُطَم وهو شُريحُ بن ضُبَيعة ، وأمه هندُ بنت حسان بن عمرو بن مَرْثَد ، والغناء ليزيدَ حوراءَ خفيف ثقيل أول بالبنصر ، وفيه خفيف رمل يقال : إنه لأحمد بن المكّىّ .

قال أبو عبيدة : كان شُريح بن ضُبيعةَ غزا اليمن فى جموع جمعها من ربيعة ، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة أُسر فيها فَرْغانُ بنُ مهدىّ بنِ مَعْدِ يكربَ عمِّ الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق مفازة فَضَلَّ بهم دليلهم ثم هرب منهم ، ومات فَرْغانُ فى أيديهم عطشا ، وهلك منهم ناس كثيرٌ بالعطش وجعل الحُطَمُ يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجوا ووردُوا الماء فقال فيه رُشَيد :

هذا أوان الشَّدِّ فاشتَدِّى زِيَم ليس براعى إبلٍ ولا غَنَمْ

ولا بجزَّارٍ على ظهرِ وضَمْ نام الحُداةُ وابنُ هِنْدٍ لم يَنَمْ

---

(١) زيم فسرت بأنها اسم فرس وبأنها الغارة . انظر اللسان « زيم » .

(٢) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم .

(٣) فى اللسان : مادة وضم : لرشيد بن رميض ، أو لأبى زغبة الخزرجى ، أو للحطم القيسى .

باتت يقاسيها غلامٌ كالزُّلَم[١] خدلَّجُ الساقين خفَّاقُ القدمْ[٢]
قد لفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ

فلُقِّب يومئذ الحُطَمَ لقول رُشيدٍ هذا فيه ، وأدرك الحُطَمُ الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

حدثنا محمد بن جرير الطبريّ قال : حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهريّ قال : أخبرنا عمى يعقوب قال : أخبرنى سَيْفٌ قال :

خرج العلاءُ بن الحَضْرمىّ نحو البَحْرَين ، وكان من حديث البحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا ماتَ ارتدُّوا ففاءت عبدُ القَيْس منهم . وأمَّا بَكْر فتمَّتْ على رِدَّتها ، وكان الذى ثنى عبدَ القيس الجارود بن المُعَلَّى — فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم — فأسلم وأقام بالمدينة حتى فقِهَ[٣] .

حدثنا محمد بن جرير قال : حدثنا محمد بن حُميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق قال :

اجتمعت ربيعةُ بالبحرين فقالوا : رُدُّوا المُلك فى آل المنذر ، فملَّكُوا المُنْذِر بنَ النُّعمان بن المنذر ، وكان يسمَّى الغَرُور ، ثم أسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغرور ولكنى المغْرور .

حدثنا محمد بن جرير قال : حدثنا عبيد الله بن سعد قال : أخبرنى عمى قال : أخبرنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمير بن فلان العَبْدىّ قال :

لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الحُطَم بن ضُبَيعة فى بنى قيس ابن ثعلبة ومن اتبعه من بكر بن وائل على الرِّدَّة ومَن تأشَّبَ إليه[٤] من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا ، حتى نزل القَطِيفَ وهَجَر واستَغْوى من كان بهما من الزُّطّ والسَّيابجة[٥] وبعث بعثا إلى دارينَ فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينهم وبينه وكانوا مخالفين لهم يُمدُّون المسلمين ، وأرسل إلى الغرور بن سُوَيد بن المنذر بنِ أخى النعمان

(١) الزلم ، بضم الزاى وفتحها القدح : أى السهم .
(٢) خدلج الساقين : عظيمهما .
(٣) فى الطبرى حوادث سنة ١١ توسع . وكان إسلامه وفقهه فى حياة الرسول .
(٤) تأشب : اختلط .
(٥) السيابجة : قوم ذوو جلد من السند واضد . « اللسان : سبج » .

ابن المنذر فقال له: اثْبُتْ فإنى إن ظفرت ملَّكتك البحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة ، وبعث إلى رُوَاثا وقيل إلى جُوَاثا فحاصرهم وألحَّ عليهم ، فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين وفيهم رجُلٌ من صالحى المسلمين يقال له عبدُ الله ابن حَذَف[١] أحد بنى أبي بكر بن كِلاب ، فاشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا يَهلِكون فقال عبد الله بن حَذَف :

ألا أبْلِغْ أبا بكرٍ رسولاً ... وفتيانَ المدينـة أجمعينـا
فهـل لكُمُ إلى قوم كرام ... قُعُودٍ فى جُواثا مُحْصَرِينا
كأنَّ دماءَهم فى كل فَجّ ... شُعاعُ الشمس يُعْشِى الناظرينا
توكَّلْنا على الرحمن إنّـا ... وجدْنا النصرَ للمتوكلينـا

حدثنى محمد بن جرير قال : كتب إلىَّ السرىُّ بن يحيى ، عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن الصقعب[٢] بن عطيَّة بن بلال ، عن سهم بن مِنْجاب عن مِنْجاب بن راشد قال :

بعث أبو بكرٍ العلاءَ بنَ الحضرمى على قتال أهل الرِّدة بالبحرين ، فتلاحق به من لم يرتدَّ من المسلمين ، وسلك بنا الدَّهناءَ ، حتى إذا كنا فى بُحْبُوحتها أراد الله عز وجل أن يُرينا آيةً ، فنزل العلاء وأمر الناس بالنزول ، فنفرت الإبل فى جوف الليل فما بقى بعير ولازاد ولا مُرادٌ[٣] ولا بناء — يعنى الخِيَم — قبل أن يَحُطُّوا ، فما علمتُ جمعا هجم عليه من الغمِّ ما هجم علينا وأوصى بعضنا إلى بعض ، ونادى منادى العلاءِ : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه فقال : ما هذا الذى ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نُلام ونحن إن بلغنا غدٌ لم تَحْمَ شمسُه حتى نصير حديثا ؟ فقال : أيها الناس لا تُراعُوا ألستم مسلمين ؟ ألستم فى سبيل الله ؟ ألستم أنصار الله ؟ قالوا : بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذُلُ الله تبارك وتعالى من كان فى مثل حالكم ، ونادى المنادى بصلاة الصبح

(١) فى مخطوط : خدف . أما المطبوع فكالطبرى .
(٢) فى الطبرى : الصعب .
(٣) فى الطبرى : ولا مزاد .

حين طلع الفجر ، فصَلّى بنا ، ومنا المتيمّم ومنا من لم يزَلْ على طَهُوره ، فلما قضى صلاته جثا لِرُكْبتَيه وجثا الناس معه ، فنَصَبَ فى الدعاء ونَصَبوا ، فلمع لهم سرابُ [الشمس فالتفت إلى الصف فقال : رائد ينظر ما هذا ، ففعل ثم رجع فقال : سَرابٌ] ١ فأقبل على الدعاء ، ثم لمع لهم آخر كذلك فقال الرائد : ماءٌ ، فقام وقام الناس فمشينا حتى نزلنا عليه فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى النهارُ حتى أقبلت الإبل من كُلِّ وَجْه وأناختْ إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظَهْرِه فأخذه ، فما فقدنا سِلْكا ، فأرويناها العَلَلَ بعد النَّهَل وتَرَوَّينا ثم تَرَوَّحْنا ، وكان أبو هريرة رفيقى ، فلما غِبْنا عن ذلك المكان قال لى : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا أهدى الناس بهذه البلاد ، قال : فكُرَّ معى حتى تُقيمنى عليه ، فكررت به فأنخت على ذلك المكان بعينه ، فإذا هو لا غديرَ به ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أنى لا أرى الغديرَ لأخبرتك أن هذا هو المكان ، وما رأيت بهذا المكان ماءً قبل ذلك ، فنظر أبو هريرة فإذا إداوةٌ ٢ مملوءة فقال : يا [أبا] سهم هذا والله المكان ، ولهذا رجعتُ ورجعتُ بك ، ملأتُ إداوتى هذه ثم وضعتُها على شفير الوادى فقلت : إن كان منًّا من المنّ وكانت آيةً عرفتُها [وإن كان غياثا عرفته فإذا مَنٌّ من المنّ] ٣ فحمد اللهَ جل وعزّ ، ثم سرنا حتى نزلنا هَجَرَ ، فأرسل العلاء إلى الجارود ، ورجلٍ آخر : أن انضمّا فى عبد القيس حتى تنزلا على الحُطَم مما يليكما ، وخرج هو فيمن معه وفيمن قدِمَ عليه حتى ينزل مما يلى هجر ، وتجمّع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمى ، ثم خندق المسلمون والمشركون ، فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم ، فكانوا كذلك شهرًا ، فبينا الناس ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء شديدة ، فكأنها ضوضاء هزيمة [أو قتال] فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حَذَف : أنا آتيكم بخبر القوم ، وكانت أُمُّه عِجْلِيَّةً ، فخرج

(١) زيادة من الطبرى : فالرواية عنه .

(٢) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

(٣) زيادة من الطبرى : فالرواية عنه .

حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : من أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادى يا أبجراه ، فجاء أبْجر بن بُجَير فعرفه فقال : ما شأنُك ؟ فقال لا أضيعنّ الليلة بين اللّهازِم ، علام أُقْتَلُ وحولى عساكرُ من عِجلٍ وتَيْمِ اللّات وعَنَزَة وقيس ، أيتلاعب بى الُحطَمُ وَنُزّاعُ القبائل وأنتم شهود ؟ فتخلّصه وقال : والله إنى لأظنك بئس ابنُ الأخت لأخوالك الليلة . قال : دعنى من هذا وأطعمنى فقدْ مِتُّ جوعا ، فقرّب إليه طعاما فأكل ثم قال : زَوّدْنى واحمِلْنى وجَوّزْنى أنطلِقْ إلى طِيّتى — ويقول ذلك لرجل قد غلَب عليه الشرابُ — ففعل وحمله على بعير وزوّده وجوّزه ، وخرج عبد الله حتى دخل عسكر المسلمين فأخبرهم أن القوم سُكارى ، فخرج القوم عليهم حتى اقتحموا عسكرهم ، فوضعوا فيهم السيوف حيث شاءوا واقتحموا الخندق هُرّابا فَمُتَرَدٍّ وناجٍ ودَهِشٌ ومقتول ومأسور ، واستولى المسلمون على ما فى العسكر ولم يُفلتْ رجل إلاّ بما عليه ، فأما أبجر فأفلت . وأما الُحطَم فإنه بَعِلَ [١] ودهِشَ وطار فؤاده ، فقام إلى فرسه — والمسلمون خلالهم يجُوسونهم — ليركبه ، فلما وضع رجله فى الركاب انقطع فمرّ به عفيف [٢] بن المنذر أحد بنى عمرو بن تميم ، والحُطَم يستغيث ويقول : ألا رجُلٌ من بنى قيس بن ثعلبة يَعْقِلنى ؟ فرفع صوته فعرفه عفيف فقال : أبو ضُبَيعة ؟ قال : نعم ، قال : أعطنى رجلك أعقلك ، فأعطاه رجله يعقلها فنفحها فأطَنّها [٣] من الفخذ وتركه فقال : أجْهِز علىّ ، فقال : إنى لأُحبُّ أن لا تموت حتى أُمِضّك ، وكان مع عفيف عِدّة من ولد أبيه فأصيبوا ليلتئذ ، وجعل الُحطَم يقول ذلك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصمٍ فقال له ذلك ، فعرفه فَصَلَتَ عليه فقتله ، فلما رأى فخذه نادِرَةً [٤] قال : واسوأتاه لو عرفت الذى به لم أُحَرّكه .

---

(١) بعل : خاف ودهش عند الروع .

(٢) ورد فى مخطوط : عقيف ، وورد فى الإصابة القسم الثالث : عفيف .

(٣) نفحها فأطنها : ضربها بالسيف فقطعها .

(٤) نادرة : ساقطة .

وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتّبعوهم ، فلحق قيسُ بن عاصم أبْجَرَ وكان فرسُ أبجر أقوى من فرس قيس ، فلما خشى أن يفوته طعنه فى العُرْقوب فقطع العَصَب وسَلِمَ النَّسا ، فقال عفيف بن المنذر فى ذلك :

فإنْ يَرْقأ العُرْقُوبُ لا يرْقأ النسا ... وما كلٌّ من تلقى بذلك عالِمُ
ألمْ ترَ أنّا قد فَلَلْنا حُماتَهمْ ... بأُسْرَةِ عمرٍو ، والرّبابُ الأكارمُ

وأسرَ عفيفُ بنُ المنذر الغرور ابنَ أخى النعمان بن المنذر ، فكلمته الرّبابُ فيه ، وكان ابنَ أختهم وسألوه أن يُجيره ، فجاء به إلى العلاء وقال : إنى أجرته . قال : ومن هو ؟ قال : الغَرور ، قال العلاء : أنت غَرَرْتَ هؤلاء ؟ قال : أيها الملك إنى لست بالغَرور ولكنى المغرور . قال : أَسْلِمْ ، فأسلم وبقى بهجر ، وكان الغرورُ اسمَه ليس بلقب ، وقتل العفيفُ أيضا المنذرَ بن سُويدٍ أخا الغرور لأمه ، وكان له يومئذ بلاء عظيم ، فأصبح العلاء يقسم الأنفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثيابا فيها خَميصة [1] ذات أعلام — وكان الُحطَم يباهى فيها — وباع الباقى .

وهرب الفَلُّ إلى دَارِينَ فركبوا إليها السفن ، فجمعهم الله عز وجل بها ، وندب العلاءُ الناسَ إلى دَارين وخطبهم فقال : إن الله جل وعز قد جمع لكم أحزاب الشيطان وشُذَّاذَ الحرب فى هذا اليوم ، وقد أراكم من آياته فى البر لتعبروا بها فى البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم ثم استعرضوا البحر إليهم فإن الله جل وعز قد جمعهم به ، فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعد الدَّهناءِ هَوْلاً مابقينا ، فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر فاقتحموه على الخيل هم والُحمُولَة والإبل والبغال ، الراكب والراجل ، ودعا ودَعَوْا ، وكان دعاؤهم : يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد ياصمد يا حىّ يا مُحْيِىَ الموتى ، يا حىُّ يا قيوم لا إله إلاّ أنت يا ربّنا . فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله يمشون على مثل رَمْلَةٍ مَيْثاء [2] فوقها ماء يَغْمُرُ أخفاف الإبل ، وبين الساحل ودَارِين مسيرةُ يوم وليلة لسفن البحر ،

(١) الخميصة من معانيها : كساء أسود مربع له علمان فإن لم يكن معلما فليس بخميصة .
(٢) ميثاء : سهلة .

ووصل المسلمون إليها فما تركوا من المشركين بها مُخبِراً ، وسَبَوا الذرارى واستاقوا الأموال ، فبلغ من ذلك نَفَلُ الفارس من المسلمين ستة آلاف ، والراجل ألفين . فلما فرغوا رجعوا عَوْدَهم على بَدْئِهم ، وفى ذلك يقول عفيف :

ألم تر أنَّ الله ذلَّل بحرَه وأنزل بالكفار إحدى الجلائلِ

دَعَوْنا الذى شقَّ البحار فجاءنا بأعجبَ من شَقِّ البحار الأوائلِ

وأقفل العلاءُ الناسَ إلاَّ من أحبَّ المُقام ، فاجتاز ثُمامةُ بن أُثال الذى نفَّله العلاءُ خميصةَ الحُطم حتى نزل على ماءٍ لبنى قيس بن ثعلبة ، فلما رأوه عرفوا الخَمِيصةَ فبعثوا إليه رجلا فسألوه : أهو الذى قتل الحُطم ؟ قال : لا ، ولَوَدِدتُ أنى قتلته ، قالوا : فأنَّى لك حُلَّتُه ؟ قال : نُفِّلتُها . قالوا : وهل يُنْفَلُ إلاّ القاتلُ ؟ قال : إنها لم تكن عليه إنما كانت فى رحْله ، قالوا : كذبت ، فقتلوه .

وكان بِهَجَرَ راهبٌ فأسلم ، فقيل له : ما دعاك إلى الإسلام ؟ فقال : ثلاثة أشياء خشيت أن يَمسخنى اللهُ بعدها إنْ أنا لم أفعل : فَيْضٌ فى الرمال ، وتمهيد أثباج البحور ، ودعاءٌ سمعته فى عسكرهم فى الهواء من السَّحَرَ . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم إنك أنت الرحمن الرحيم لا إله غيرك ، والبديع ليس قبلك شىء ، والدائم غير الغافل ، والحىُّ الذى لا يموت وخالق ما يُرى وما لا يُرى وكل يوم أنت فى شأن ، وعَلِمتَ اللهمَّ كلَّ شىء بغير تعليم [1] . فعلمتُ أن القوم لم يُعانُوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله جل وعز .

فلقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا من ذلك الهجرى بعد .

---

(١) فى الطبرى : تعلم .

[عمر بن أبى ربيعة]

وزينب بنت موسى

صوت

يا خليلىَّ من مَلام دعانى وأَلِمَّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما فى آل زينب إن الْـ قلب رَهْنٌ بآلِ زينب عانى

الشعر لعمر بن أبى ربيعة والغناء للغَريض خفيف رمل بالبنصر ، وهذا الشعر يقوله فى زينب بنت موسى أختِ قُدامة بن موسى الجُمحىّ .

وأخبرنى حرمىٌّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزُّبير بن بكار قال : حدثنى عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله عن أبى سلمةَ قال :

حدثنى قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأختى زينب بنت موسى إلى العُمْرة فلما كنت بِسَرِف لقينى عمرُ بن أبى ربيعة على فرس فسلَّم علىَّ ، فقلت : إنى أراك متوجِّها يا أبا الخطاب . قال : ذُكرت لى امرأةٌ من قومى بَرْزَةُ الجمال فأردت الحديث معها . قلت : أما علمتَ أنها أختى ؟ قال : لا والله ، واستحيا وثَنَى عنق فرسه راجعا إلى مكة .

أخبرنى حرمىّ قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد العزيز الزهرىُّ قال :

تشبب ابن أبى ربيعة بزينب بنت موسى الجمحى أخت قدامة بن موسى فقال : « يا خليلى من ملام دعانى »

وذكر البيتين وبعدهما :

لم تدع للنساء عندى نصيبا غير ما قلت مازحا بلسانى

فقال له ابن أبى عتيق : أما قلبُك فمُغيَّبٌ عنَّا وأما لسانك فشاهد عليك .

أخبرنى الحرمى قال : حدثنى الزبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهرىُّ :

لما تشبب عمر بن أبى ربيعة بزينب قال :

لم تدع للنساء عندى نصيبا ... غير ما قلت مازحا بلسانى

قال له ابن أبى عتيق : رضيتَ لها بالمودة وللنساء بالدَّهْفَشَة ، قال : والدهفشة : التجميشُ والخديعة بالشىء اليسير .

أخبرنى الحرمىُّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير قال : أخبرنى مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجشون قال :

فبلغ ذلك أبا وَدَاعةَ السهمىَّ فأنكره ، فقيل لابن أبى عتيق : أبو وداعة قد اعترض لعمر بن أبى ربيعة دون زينب بنت موسى الجُمحيَّة وقال لا أُقِرُّ له أن يذكر فى الشعر امرأةً من بنى هُصَيْصٍ ، فقال ابن أبى عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يَنْعظ من سَمَرْقَنْدَ على أهل عدَن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضا عمر :

طال عن آل زينبَ الإعراضُ ... للتعدّى وما بنا الإبغاضُ
ووليداً قد كان عَلَّقَها القلـ ... ـبُ إلى أن علا الرءوسَ البياضُ
حَبْلُها عندنا متينٌ وحبلى ... عندها واهنُ القوى أنقاضُ

غناه ابنُ محرز رمل بالبنصر عن حَبَش ، وفيها يقول أيضا :

صوت

أيها الكاشح المُعَيِّرُ بالصُّر ... م تزحزحْ فما بها الهِجْرانُ
لامطاعٌ فى آل زينب فارجعْ ... أو تكلّمْ حتى يَمَلَّ اللسانُ
فاجْعلِ الليلَ موعداً حين يُمْسِي ... ويُعَمِّى حديثَنا الكتمانُ[1]
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصْـ ... ـبر عن بعض نفسه إنسانُ

(١) فى الديوان : نجعل الليل موعدا حين نمسى ... ثم يخفى حديثنا الكتمان

ولقد أشهَدُ المحدّث عند ال قَصْر فيه تَعَفُّفٌ وبَيانُ
في زمان من المعيشة لَذٍّ قد مضى عصرُه وهذا زمانُ

عروضه من الخفيف غناه ابن سُريج . ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقته دَنانيرُ . وذكر يونس أن فيه لابن مُحْرز ولابن عبَّاد الكاتب لحنَين ولم يُجَنّسهما . وأول لحن ابن عباد .

« لا مطاع في آل زينب »

وأول لحن ابن محرز :

« ولقد أشهد المحدّث »

قال : وفيها يقول أيضا :

صوت

أُحدّث نفسي والأحاديث جمَّةٌ وأكبرُ همّي والأحاديثِ زينبُ
إذا طلعتْ شمس النهار ذكرتُها وأُحْدِث ذكراها إذ الشمسُ تغربُ

ذكر حمّاد عن أبيه أن فيه للهذلىّ لحنا لم ينسبه .

صوت

يا نُصْبَ عيني لا أرى حيث التفتُّ سِواكِ شيّا
إني لَمَيْتٌ إن صددْ تِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعلى بن أدَيم [١] الجُعْفىّ الكوفى . والغناء لعمرو بن بانة رمل بالوسطى .

(١) كتب فى المطبوع : على بن آدم ، والتصويب من مخطوطتين قيمتين ، والفهرست : « ذكر العشاق » ، ومعجم الشعراء ص ٢٨٣ .

ذكر على بن أديم وخبره

هو رجل من تجار أهل الكوفة كان يبيع البزّ ، وكان متأدبا صالح الشعر يهوى جارية يقال لها مَنهلة ، واستهام بها مدة ثم بيعت فمات أسفا عليها ، وله حديث طويل معها فى كتاب مفرد مشهور صنفه أهلُ الكوفة لهما ، فيه ذكر قصصهما وقتا وقتا وما قال فيها من الأشعار ، وأمرُهما مُتعالمٌ عند العامة وليس مما يصلح الإطالة به .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى محمد بن داود بن الجرّاح قال : حدثنا أحمد بن أبى خَيْثمة قال : قال دِعْبل بن علىّ .

كان بالكوفة رجل يقال له علىّ بنُ أَدِيم ، وكان يهوى جارية لبعض أهلها ، فتعاظم أمره وبيعت الجارية فمات جزَعا عليها ، وبلغها خبره فماتت .

قال : وحدثنى بعض أهل الكوفة أنه علقها وهى صبية تختلف إلى الكُتّاب فكان يجىء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظر إليها ، فلما أن بلغتْ باعها مَوَاليها لبعض الهاشميِّين فمات جزعا عليها .

قال : وأنشدنى له أيضا .

صوت

صاحُوا الرَّحيل وحثَّنى صَحْبِى ... قالوا الرَّواح فَطَيَّرُوا لُبِّى
واشتقتُ شوقا كاد يَقْتلنى ... والنفسُ مشرِفةٌ على نَحْبِ
لم يلْقَ عند البينِ ذو كَلَفٍ ... يوما كما لاقيتُ من كَرْبِ
لاصبر لى عند الفراق على ... فقْدِ الحبيب ولوْعةِ الحُبِّ

الشعر لعلى بن أَدِيم الكوفى الجُعْفِىّ والغناء لحكَم الوادى ، غنى فى هذه الأبيات حَكَمُ الوادى ، وذكر حَبَش أن لإبراهيم بن أبى الهيثم فيه لحنا .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدثنى أبو بكر العُمرىّ قال : حدثنى دعبل بن على قال :

كان بالكوفة رجل من بنى أسد يقال له على بن أديم يهوى جارية لبعض بنى عبس لامرأة منهم، فباعتها لرجل من بنى هاشم ، فخرج بها عن الكوفة ، فمات علىّ بن أدِيم جزَعا عليها بعد ثلاثة أيام من خروجها ، وبلغها خبره فماتت، فعمل أهل الكوفة لهما أخبارًا هى مشهورة عندهم .

حدثنى محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو بكر العُمرىّ قال : حدثنا أبو صالح الأزدىّ قال : حدثنا محمد بن الحسين الكوفىّ قال : حدثنا محمدُ ابن سَماعة قال :

آخر من مات من العشق على بن أديم الجعفى ، مرّ بمكتبٍ فى بنى عبس بالكوفة ، فرأى فيه جاريةً تُسمى مَنهَلة عليها ثياب سوادٍ ، فاستُهيم بها وكلِف بها وقال فيها :

إنى لما يَعْتادُنى ... من حُبّ لابسةِ السَّوادِ
فى فتنةٍ وبليّة ... ما إنْ يُطيقهما فؤادِى
فبقيتُ لا دُنيا أصبْـ ... ـتُ وفاتنى طَلَبُ المَعادِ

وسأل عنها فإذا لها مالكة عَبْسية ، وكان ابن أديم خزّازًا، فتحمّل أبوه بجماعة من التجار على مولاتها لتبيعها فأبَتْ، وخرج إلى أُمّ جعفر ورفع إليها قِصتَهُ يسألها فيها المعونة على الجارية ، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ ، وأقام يتنجز تمام أمره فبينا هو ذات يوم على باب أُم جعفر إذ خرجت امرأة من دارها فقالت : أين العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت: أنت عاشق وبينك وبين من تُحبّ القناطرُ والجسور والمياه والأنهار مع مالا يؤمن من حدوث الحوادث ، وكيف تصبر على هذا ؟ إنك لجسور صبور . فخامر قلبَهُ هذا القولُ .وجزع فبادرَ واكترى بغلا إلى الكوفة على الدخول ، فمات يوم دخول الكوفة .

ذكر عمرو بن بانة

هو عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد مولى ثَقِيف، وكان أبوه صاحب ديوان وَوَجْهًا من وجوه الكتاب، ونُسب إلى أُمه بانَة بنت روح القَحْطبيَّة، وكان مغنيا محسنا وشاعرا صالح الشعر، وصنعته صنعةٌ متوسطة، النادر منها ما ليس بالكثير وكان يُقْعِده عن اللَّحاقِ بالمتقدِّم في الصنعة أنه كان مُرْتَجِلاً، والمرتجل من المُحْدَثِين لا يلحق الضُّرَّاب، وعلى ذلك فما فيه مطعن، ولا يُقَصِّرُ جيّدُ صنعته عن صنعة [غيره من] طبقته وإن كانت قليلة، وروايته أحسن رواية، وكتابه في الأغاني أصلٌ من الأصول. وكان يذهب مذهب إبراهيم بن المهدى في الغناء وتجنيسه، ويخالف إسحاق ويتعصَّب عليه تعصُّبا شديدا، ويواجهه بذلك وينصر إبراهيم بن المَهدىّ عليه. وكان تَيَّاها معجبا شديد الذَّهاب بنفسه، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم على ما كان به من الوَضَح، وفيه يقول الشاعر:

أقول لعمرو وقد مـــرَّ بى ... فَسَلَّم تسليمـــةً جافيَهْ

لئن فَضَّلوك بفضل الغِناءِ ... لقد فضَّل اللهُ بالعافيَهْ

وقال ابنُ حَمدون: كان عَمْرٌو حَسَنَ الحكاية لمن أخذ الغناءَ عنه، حتى كان من يسمعه لو توارى عن عينه عمرٌو ثم غنى لم يشكُكْ في أنه هو الذى أخذ عنه لحسن كفايته وحكايته، وكان محظوظا ممن يعلِّمه، ماعلَّم أحدا قط إلا خرج نادرا مُبَرِّزًا.

فأخبرنى جحظة قال: حدثنى أبو العُبَيْس بن حَمْدون قال: قال لى عمرو ابن بانة: علَّمت عَشَرَةَ غلمان، كُلّهم تبيَّنْتُ فيهم الثقافة والحذق وعلِمْتُ أنه يتقدّم، أحدهم أنت وتَمْرةُ، وما تبيَّنت من أحد قط خلاف ذلك فعلَّمته؛

وقال محمد بن الحسن الكاتب حدثني أبو حارثة الباهليّ عن أخيه أبي معاوية قال :

سمعت عمرو بن بانة يقول لإسحاق في كلامٍ جرى بينهما : ليس مثلي يقاس بمثلك ، لأنك تعلمت الغناء تكسُّبا وتعلَّمتُه تطرُّبا ، وكنتُ أُضرَب لئلا أتعلَّمه وكنتَ تُضرَبُ لأنْ تتعلَّمه .

وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني محمد بن الحسن بن الحرُون قال :

اجتمع عمرو بن بانة والُحسين بن الضَّحَّاك في منزل ابن شَعُوف ، وكان له خادم يقال له مُفْحَمٌ وكان عمرٌو يُتّهم به ، فلما أخذ فيهم الشرابُ سأل عمرٌو الحسينَ بنَ الضحاك أن يقول في مُفْحَمٍ شِعرًا فيغني فيه ، فقال الحسين :

وَا بأَبِي مُفْحَمٌ لِغِرَّتِـــه   قلت له إذ خلوتُ مُكتتِما
تُحِبُّ بالله من يَخُـصُّك بال   وُدِّ فما قال لا ولا نَعَما

الشعر للحسين بن الضحاك والغناء لعمرو بن بانة ثاني ثقيل بالبنصر ، قال : فغنى فيه عمرو ولم يزل هذا الشعر غناءهم وفيه طربهم إلى أن تفرقوا ، وأتاهم في عشيّتهم إسحاق بن إبراهيم الموصليّ فسألوا ابن شَعُوف أن لا يأذن له ، فحجبه ، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى منزله ، فلمَّا تفرقوا مرَّ به الحسين بن الضحاك وهو سكران فأخبره بجميع ما دار في مجلسهم ، فكتب إسحاق إلى ابن شَعُوف :

يا ابنَ شَعُوف أما سمعتَ بما   قد صار في الناس كُلِّهم عَلَما
أتاك عمرٌو فبات ليلتَـــهُ   في كلِّ ما يشتهي كما زَعما
حتى إذا ما الظلام خالَطَــهُ   سَرَى دَبِيبا فضاجع الخدَما
ثمّتَ لم يرضَ أن يفوز بذا   سِرًا ولكنْ أبدى الذي كَتَما
حتى تغنَّى لفرْطِ صبوتــهِ   صَوْتا شفى من فؤاده السَّقَما
وَا بأَبِي مُفْحمٌ لغِرَّتِــهِ   قلتُ له إذ خـلوتُ مكتتِما
تُحِبُّ بالله من يَخُصُّك بال   ودِّ فما قال لا ولا نعما

فهجر ابنُ شعُوفٍ عمرَو بنَ بانة مدة وقطع عشرته .

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدى بهذا الخبر قال: حدثنى ميمون بن هارون قال:

كان لمحمد بن شعوف الهاشميّ ثلاثةُ غلمان مغنين، منهم اثنان صَقْلَبِيّانِ مجبوبان يعرفان بخاقان وحسين، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غناء، وكان حسينٌ يغنى غناء متوسّطا وهو مع ذلك أضربُ الناس، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق أحسن الناس وجها وجِسْمًا، وكان الغلام الثالث فَحْلاً يقال له حَجّاج، حسنُ الوجه روميّ حَسَنُ الغناء، فتعشق عمرُو بنُ بانةَ منهم المعروف بحسين وقال فيه:

وا بأبى مُفَحَّمٌ لِغِرّتِـهِ ... قلت له إذ خلوتُ مُكتَتِمًا
تحبّ بالله من يخصّك بالـ ... ودّ فما قال لا ولا نعما

ولم يذكر غير هذا.

وقال عمرو بن الحسين [١]: حدثنى أبو الحسين العاصمى قال:

دخلت أنا وصديق لى على عمرو بن بانة فى يوم صائف، فصادفناه جالسا فى ظلّ طويل مُمْتِع وهو مصطبح. فدعانا إلى مشاركته فيه. وجعل يغنينا يومنا كله لحنه.

صوت

نِقابُكِ فاتنٌ لاتَفتِنينا ... ونَشْرُكِ طيِّبٌ لاَتحرِمينا
وخاتَمكِ اليمانى غيرَ شَكٍّ ... ختمتِ به رقابَ العالمينا

الغناء لعمرو بن بانة هزج خفيف بالبنصر.

قال: فما طربت لغناء قط طربى له ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغما ولا أحسن مما غناه.

(١) فى مخطوط: محمد بن الحسن: حدثنى أبو الحسن العاصمى.

أخبرنى جحظة قال : حدثنى أبو حشيشة قال : كنت يوما عند عمرو ابن بانة فزاره خادم كان يحبه فأقام عنده. فطلب عمرو فى الدنيا كلها من يضرب عليه فلم يجد أحدا ، فقال له جعفر الطبال ، إن أنا أغنيتك اليوم عن عود يضرب به عليك أى شىء لى عندك؟ قال: مائة درهم ودستيجة نبيذ ، وكان جعفر حاذقا متقدما نادرا طيبا نذل الهمة[1] فقال : أسمعنى مخرج صوتك ، ففعل، فسوى عليه طبله كما يسوى الوتر ، واتكأ عليه بركبته ووقع عليه ، ولم يزل عمرو يغنى بقية يومه وجعفر يوقع على إيقاعه لا ينكر منه شيئا حتى انقضى يومنا، ودفع إليه مائة درهم وأحضر الدستيجة فلم يكن له من يحملها، فحملها جعفر على عنقه وغطاها بطيلسانه وانصرفنا . قال أبو حشيشة: فحدثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بزيع وكان صديق إبراهيم بن المهدى ، فحدثنى أن إبراهيم ابن المهدى قال له : يا جعفر ، حذق فلانة جاريتى ضرب الطبل ولك مائة دينار ، أعجل لك منها خمسين ، قال: نعم ، فعجلت له الخمسون وعلمها فلما حذقت، طالب إبراهيم بتتمة المائة فلم يعطه، فاستعدى عليه أحمد بن داود الحسنى خليفته فأعداه ، ووكل إبراهيم وكيلا ، فلما تقدم مع الوكيل إلى القاضى أراد الوكيل أن يكسر حجة جعفر فقال : أصلح الله القاضى ، سله من أين له هذا الذى يدعى وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضى ، أنا طبال وشارطنى إبراهيم على مائة دينار على أن أحذق جاريته فلانة، وعجل لى خمسين دينارا ومنعنى الباقى بعد أن رضى حذقها ، فيحضر القاضى الجارية وطبلها وأحضر أنا طبلى ويسمعنا القاضى ، فإن كانت مثلى قضى لى عليه وإلا حذقتها فيه حتى يرضى القاضى . فقال له القاضى : قم عليك وعليها لعنة الله وعلى من يرضى بذلك منك ومنها . فأخذ الأعوان بيده فأقاموه .

وقال على بن محمد البسامى[2] : حدثنى جدى ابن حمدون قال :

كنت عند ابن بانة يوما ففتح باب داره ، فإذا بخادم أبيض شيخ قد دخل

---

(١) بهامش نسخة خطية : بذى الهيئة .

(٢) فى المطبوع الشامى وفى مخطوط الهشامى ، وبهامشه تصويب له : البسامى .

يقود بَغْلاً له ، عليه مزادة ، فلما رآه عمرٌو صرخ : لا إله إلاّ الله ، ما أعجبَ أَمْرَكِ يا دُنْيا : فقلت له : مالك ؟ قال : يا عبد الله ، هذا الخادم رِزْقٌ غلام عَلُّوَيةَ المُغنى الذى يقول فيه الحسينُ بن الضحاك الشاعر :

يا ليت رِزْقا كان من رِزْقى يا ليته حَظِّى من الخَلْقِ

قد صار إلى ما ترى ، ثم غنانى لحنا له فى هذا الشعر ، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت :

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليتَ رِزْقا كان من رزقى يا ليتَه حَظِّى من الخَلْقِ
ياشادِنا مَلَكْتُهُ رِقى فلستُ أرجو راحةَ العِتْقِ

الشعر للحسين بن الضحاك ، والغناء لعمرو بن بانة ، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى .

وقال على بن محمد البسّامىّ : حدثنى جدّى يعنى ابنَ حمدون ، قال :

كنا عند المتوكل ومعنا عمرو بن بانة فى آخر يوم من شعبان ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، جعلنى الله فداءك ، تأْمُرُ لى بمنزلٍ ، فإنه لامنزل لى يسعنى ، فأمر المتوكل عُبيد الله بنَ يحيى بأن يبتاع له منزلا يختاره ، قال : وهجم الصَّوْم وشُغِل عبيدُ الله ، وانقطع عمرٌو عنا . فلمّا أُهِلَّ شوّالٌ دعا بنا المتوكّل فكان أول صوت غناه عمرو فى شعرٍ هذا :

صوت

مَلاّكَ رَبِّى الأعيادَ تُخْلِقُها فى طُول عُمْرٍ يا سيِّدَ الناسِ
دُفِعْتُ عن منزل أمرتَ بِه فإنّنى عنه مُبْعَدٌ خاسِى[1]

(١) الخاسى : مخفف من الخاسىء ، وهو المطرود .

[فمُرْ بتسليمه إلىّ على رغم عدوّى بجرمة الكاس]
أعوذ بالله والخليفةِ أنْ يرْجِعَ ما قُلْتُه على راسِي

لحن عمرو فى هذا الموضع هزج بالبنصر ، فدعا المتوكل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لِمَ دافعتَ عمرًا بابتياع المنزل الذى كنتُ أمرتك بابتياعه ؟ فاعتلّ بدخول الصوم وتشعُّب الأشغال . فتقدّم إليه أن لايُؤخّرَ ابتياع منزل له ، فابتاع له الدار التى من دُورِ سُرَّ مَنْ رأى بحضرة دار المُعلّى بن أيوب ، وفيها تُوُفّى عمرو .

أخبرنى محمد بن إبراهيم قَرِيص قال : سمعت أحمد بن أبى العلاء يحدّث [أستاذى يعنى محمد بن داود بن الجراح] قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بَدْرَةَ دراهم سَبَقاً لمن تقدّم منهم وأحسن ، فحضره مُخارق وعَلُّويَةُ وعمرُوُ بن بانة ومحمدُ بن الحارث بن بَسْخُنَّر ، فغنى علّوية فلم يصنع شيئا ، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيله ، وامتدت الأعين إلى مخارق وعمرو ، فبدأ مخارق فغنى :

أنّى امرُؤٌ من خيرهِمْ عَمّى وخالى من جُذامِ

فما نَهْنَهَ[1] عَمْرٌو مع انقطاع نَفَسه حتى غَنّى :

يا ربْعَ سَلاَّمَةَ بالمُنْحَنَى بِخَيْفِ سَلْعٍ جادكَ الوابِلُ

وكان إبراهيم بن المهدى حاضرا فبكى طربا وقال : أحسنت واللهِ واستحققْتَ ، فإن أُعْطِيته وإلاّ فخذه من مالى . ياحبيبى عَنّى أخذْتَ هذا الصوتَ وقد والله زدتَ علىّ فيه وأحسنت غاية الإحسان ، ولا يزال صوتى عليك أبدا . فقال له عبد الله : مَنْ حكمتَ له بالسَّبْق فقد حصل له ، وأمر له بالبَدْرةِ فحُمِلَتْ إلى عمرو .

ثم حَدّثنا بعد ذلك أن إسحاق لَقِىَ عمرو بن راشد الخنّاق فقال له : قد بلغنى خبرُ المجلس الذى جمع عبدُ الله فيه المغنين يمتحنهم ، ولو شاء لكان فى راحةٍ من ذلك ، قلت : وكيف ؟ قال : أما مخارق فأحسن القومِ غناء إذا اتفق له أن يُحسن

(١) نهنه : كف ومنع . ومنه فما نهنهها شيء دون العرش ، أى ما منعها . ويراد هنا ما توقف .

وقلّما يتفق له ذلك ، وأما محمد بن الحارث فأحسنهم شمائل وأملحهم إشارةً بأطْرافه ووجهه فى الغناء ، وليس له غير ذلك ، وأما عمرو بن بانة فأعلم القوم وأرقاهم ، وأما عَلّوية فمَنْ أدخله ابنَ الزانية مع هؤلاء .

نسبة هذين الصوتين

صوت

إنى امرؤٌ من خيرهم عمى وخالى من جُذامِ
خَوْدٌ كضوء البدر أو أَضْوى لَدى ليْلِ التّمامِ
فجرَى وشاحاها عَلى نَحْرٍ نَقِىٍّ كالرُّخامِ

والغناء لابن جامع رمل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

[أبو العتاهية

وأبناء معن بن زائدة]

صوت

يا خليليَّ من بنى شَيْبــانِ ... أنا لاشك مَيِّتٌ فابكيانى

إن رُوحى لم يبق منها سوى شَىْءٍ ... يسيرٍ مُعلَّقٍ بلســانى

الشعر لأبى العتاهية والغناء لإبراهيم رمل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ وإبراهيم ، وهذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبدَ الله وزَائدة ابنى مَعْن بن زَائدة الشيبانىّ ، وكان صديقا وخاصًا بهما ، ثم إن يزيد بن معن غضب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعْدى وكان أبو العتاهية يُشبِّب بها فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ثم أصلح بينهم مَنْدَلُ بن علىّ العَنَزِىُّ وهو مولى أبى العتاهية ، فعاد إلى ما كان عليه لهم .

فأخبرنى وكيع قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى على بن محمد النوفلى عن أبيه قالا :

قول أبى العتاهية :

يا خليلىَّ من بنى شيبان

يخاطب به عبد الله ويزيد ابنىْ مَعْن بن زائدة أو قال : عبد الله وزائدة .

أخبرنى ابن عمار قال : حدثنى محمد بن موسى بن حماد ، وأخبرنى محمد ابن يحيى قال : حدثنى محمد بن موسى ، [قالا : حدثنا] أبو سُويد عبد القوىّ[1] ابن محمد بن أبى العتاهية قال :

كان أبو العتاهية فى حداثته يهوى امرأة من أهل الحيرة نائحةً لها حُسْنٌ وجمال ودَمَاثة ، وكان ممن يهواها أيضا عبد الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ، وكانت مولاةً لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية مغرما بالنساء فقال فيها :

---

(١) انظر الجزء الرابع فنه صححنا السند والأصل : سعيد أبو سويد .

أَلا يا ذَواتِ السَّحْقِ في الغربِ والشرقِ
أفِقْنَ فإنَّ النَّيك أشهى من السَّحْقِ

أفِقْنَ فانَّ الخبزَ بالأُدْم يُشتهى ... وليس يَسوغ الخُبزُ بالخبزْ في الحلْق

أرَاكنَّ ترْقعْنَ الخُروقَ بمثلها ... وأيُّ لبيبٍ يرْقعُ الخرقَ بالخرْق

وهل يَصْلُح المِهراسُ إلاَّ بعُودِهِ ... إذا احتيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّقّ

قال : وقال فيها أيضا :

قلتُ للقلب إذا طوى وَصْلَ سُعدى ... لهواءِ البعيدةِ الأَنْسابِ

أنتَ مِثْلُ الذى يَفِرّ من القطْـ ... ـرِ حِذارَ النَّدى إلى المِيزابِ

قال محمد بن موسى فى خبره : فغضب عبد الله بن مَعْنٍ لسُعْدى فضرب أبا العتاهية مائة فقال :

جلدتْنِى بِكفِّها ... بنتُ مَعْنِ بْنِ زائِدَهْ

جلدتْنِى بكفها ... بأبى أنتِ جالِدَهْ

جلدتْنِى وبالغَتْ ... مائةً غيرَ واحِدَهْ

اجْلدِى اجلدِى اجلِدى ... إنما أنتِ والِدَهْ

أخبرنى وكيع قال: حدثنى أبو أيُّوب المدينى قال : احتال عبد الله بن معن فضرب أبا العتاهية ضربا غير مُبرّح إشفاقا ممن يغنى [1] به فقال :

اجلدى اجلدى اجلدى ... إنما أنْتِ والِدهْ

أخبرنى محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الغلابىّ ، قال :حدثنى مَهْدِىّ قال : تهدد عبدالله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ، ونهاه أن يَعرِض لمولاته سُعدى فقال أبو العتاهية قوله :

ألا قُلْ لابن معنٍ والَّـ ... ـذى [2] فى الوُدّ قد حالا

(١) فى الجزء الرابع : خوفا من كثرة من يغنى به .
(٢) فى الديوان : لابن معن ذا الذى .

لقـد بُلِّـغْـتُ ما قالا فما باليتُ ما قـالا
ولو كان من الأُسْـدِ لمَا راعَ ولا هـالا
فَصُغْ ما كُنْتَ حَلَّيْتَ به سَيْفَكَ خَلْخالا
فما تصنعُ بالسيف إذا لمْ تَكُ قَتَّالا
ولَوْ مَدَّ إلى أذنَيْـ ـهِ كَفَّيْهِ لما نالا
قصير الطَّوْلِ والطُّولِ فلا شَبَّ ولا طالا[1]
أرى قومك أبطالاً وقد أصبحْتَ بَطَّالا

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى الحسن بن علىّ الرازىُّ قال :

حدثنى أحمد بن أبى فنَن قال : كنا عند ابن الأعرابىّ فذكر قولَ يحيى بنِ نَوْفَلٍ فى عبد الملك بن عُمَير القاضى وهو :

إذا كلَّمتْهُ ذاتُ دَلّ لحاجةٍ فهَمَّ بأن يَقْضِى تنحنحَ أوْسَعَلْ

وأن عبدَ الملك بنَ سليمان بنِ عمير قال : تركنى والله وإن السَّعْلَةَ لتعرِض لى فى الخلاء فأذكر قوله فأتركها ، قال : فقلت له : هذا عبد الله بن معن بن زائدة يقول له أبو العتاهية :

فصُغْ ما كُنْتَ حَلَّيْتَ به سيفَك خَلْخالا
وما تصنع بالسيف إذا لم تَكُ قَتَّالا

قال : فقال عبد الله : ما لبست السيف قط فلمحنى إنسان إلاّ قلت : إنه يحفظ شعر أبى العتاهية فىّ فينظر إلىّ بسببه . فقال ابن الأعرابى : اعْجَبُوا لعَبْدٍ يهجو مولاه ، وكان أبو العتاهية [2] من موالى بنى شيبان .

وقال محمد بن موسى فى خبره : وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن :

لا تُكْثِرَا يا صاحِبَىْ رَحْلِى فى شَتْمِ من أكثرَ مِنْ عَذْلِى
سبحانَ مَن خصّ ابنَ مَعْنٍ بما أرَى به من قِلَّةِ العَقْلِ
قال ابنُ مَعْنٍ وجَلَا نفسَه على مَنِ الجِلْوَةُ يا أهلى[3]

(١) الطول : بفتح الطاء وسكون الواو : الفضل والعطاء والقدرة . وطال : ضد قصر ، وأيضا من معانيها : امتن وأنعم . وفى الديوان : قصير الطول والطيلة . (٢) فى ج ٤ : ابن الأعرابى .
(٣) الجلوة : مصدر أو ما يعطيه الزوج عروسه وقت الزفاف . وفى الديوان : على القرابين من الأهل .

أنا فتاةُ الحيَّ من وائـــلِ ... فى الشرف الباذخ والنُّبْـلِ
ما فى بنى شيبانَ أهْلِ الحجا ... جاريـةٌ واحـدةٌ مِثْـلى
يا ليتنى أبصَرْتُ دَلاَّلَــةً ... تَدُلُّنى اليومَ على فَحْلِ
والهفتا اليومَ على أمْـرَدٍ ... يُلْصِقُ منى القُرْطَ بالحِجْلِ
أتيتُــه يوما فصافحْتُــهُ ... فقال دَعْ كَفِّى وخُذْ رِجْلى
تُكْنَى أبا الفضلِ فيا مَنْ رأى ... جاريةٌ تُكْنَى أبا الفَضْلِ
قد نَقَّطَتْ فى خدِّها نقطةً ... مخافةَ العينِ من الكُحْلِ
إنْ زُرتموها قال حُجَّابُها ... نحن عن الزُّوَّارِ فى شُغْلِ
مولاتُنا خاليــةٌ ، عنــدها ... بَعْلٌ ولا إذْنَ على البَعْلِ
قولا لعبد الله لا تَجْهَلَــنْ ... وأنت رأس النَّوكِ والجَهْلِ [1]
أتَجْلِد الناسَ وأنت امرؤٌ ... تُجْلَدُ فى الدُّبْرِ وفى القُبْلْ
تَبْذُلُ ما يمنع أهلُ النَّدَى ... هذا لعمرى مُنْتَهى البَذْلِ
ما ينبغى للناس أن يَنْسُبُوا ... مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخْلِ [2]

وقال فى ضربه إياه :

ضربتْنى بكَفِّها بنتُ معنٍ ... أوجعت كفَّها وما أوجعتْنِى
ولعَمْرِى لولا أذى كفِّها إذْ ... ضربتْنى بالسَّوْط ما تركتْنِى

أخبرنى ابن عمار قال : حدثنى محمد بن موسى ، وأخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى عون بن محمد قال :

لما اتَّصل هجاءُ أبى العتاهية عبدَ الله بن معن غضب من ذلك أخوه يزيد ابن معن ، فهجاه أبو العتاهية فقال :

بَنَى مَعْنٌ ويَهْدِمُهُ يزيدُ ... كذاك اللهُ يفعلُ ما يُرِيدُ
فمَعْنٌ كان للحُسَّادِ غَمًّـــا ... وهذا قد يُسَرُّ به الحَسُودُ

---

(١) النوك : أجمع أنوك ، وهو الأحمق .

(٢) فى الديوان بعده بيت هو :

ما قلت هذا فيك إلا وقد ... جفت به الأقلام من قبل

يزيدُ يزيدُ فى منْعٍ وبُخْلٍ ويَنْقص فى النَّوالِ ولا يَزِيدُ

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنى جبلة بن محمد ، قال : حدثنى أبى قال : هجا أبو العتاهية بنى معن . فمَضَوْا إلى مَنْدَلٍ وحَيَّانَ ابْنَى علىٍّ العنزِيَّيْنِ الفقيهين ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، وهما من بنى عمرو بن عامر بَطْنٍ من تَقَدُّمَ من عَنَزة ، فقالوا لهما : نحن واحد وأهلُ بيتٍ ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتى من بعيد الولاءِ لوجب أن تردعاه . فأحضرا أبا العتاهية ولم يكن يُمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنى معن ، وضمنا عنه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما أن لا يتّبعاه بسوء ، وكانا ممن لا يمكن خلافهما ، فرجعت الحالُ إلى المودّة والصفاء، وجعل الناس يَعْذِلُون أبا العتاهية على ما فرط منه ، ولامه آخرون على صلحه لهما فقال :

ما لِعُذّالى ومالى أمرونى بالضّلالِ
عذلونى فى اغتفارى لابن مَعْنٍ واحتمالى
أنا منه كنت أكْبَى زَنْدَةً فى كلّ حالِ[1]
كلُّ ما قد كان منه فلِقُبْحٍ من فِعالى
إنما كانت يمينى ضربَتْ جَهْلاً شِمالى[2]
مالُهُ بل نَفْسُهُ لى وله نفسى ومالى
قلْ لمَنْ يَعْجب من حُسْن رجوعى وانتقالى
قد رأينا ذا كثيراً جاريا بين الرّجالِ
رُبَّ وَصْلٍ بعد صَدٍّ وَقِلًى بعد وِصالِ

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدثنا محمد بن موسى قال :

كان أبو العباس زائدة بنُ معن صديقا لأبى العتاهية ولم يُعِنْ أخويه عليه فمات فرثاه فقال :

---

(١) فى الديوان : « أنا منه كنت أسوا » عشرة» .
(٢) فى مخطوطة : صرمت جهلا .

حَزِنْتُ لموت زائدةَ بن معنٍ ... حقيقٌ أن يطول عليه حزْني
فتى الفتيان زائدةُ المُصَفّى ... أبو العباس كان أخي وخِدْني
فتى قومي وأيَّ فتىً توارَتْ ... به الأكفانُ تحت ثرًى ولِبْنِ[1]
ألا يا قبرَ زائدةَ بنِ معْن ... دعوتك كي تُجيبَ فلم تُجِبْني
سَلِ الأيامَ عني إنَّ قومي ... أُصيبتُ بهن رُكْناً بعد رُكْنِ

(١) اللبن بكسر اللام وسكون الباء : هو اللبِن « بفتح فكسر أو بكسرتين وهو المضروب من الطين للبناء . »

[كثير وقطام]

صوت

فما روضةٌ بالحَزْنِ طيّبةُ الثّرَى يَمُجُّ الندى جَثْجاثُها وعَرارُها[١]
بأطيبَ من أرْدانِ عَزّةَ مَوْهِنا وقداً وقِدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطبِ نارُها
فإنْ خَفِيَتْ كانت لعينيك قُرّةً وإن تَبْدُ يوما لم يُعَمِّمْك عارُها
من الخفرات البيضِ لم تَرَ شِقْوَةً وفى الحسب المكنون صافٍ نِجارُها

الشعر لكُثَيِّر ، والغناء لمعبد فى الأول والثانى ، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سريج ، وللغريض فى الرابع والثالث ثقيل أول بالبنصر عن عمرو وحبش ، وذكر الهشامىّ أن فى الأول والثانى رَملا لابن سُريج بالوسطى ، وذكر عمرو وحبش أن فيه رملا لابن جامع بالبنصر ، وفى الأبيات خفيفُ ثقيلٍ يقال : إنه لمَعْبد ، ويقال: إنه للغَرِيض وأحسبه للغريض .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة — هكذا موقوفا لم يتجاوز وأخبرنى — :

أن كُثَيّرَ بن عبد الرحمن كان غاليا فى التّشيع ، وأخبر عن قَطامِ صاحبة ابن مُلْجمٍ فى قَدْمَةٍ قَدِمها الكوفة ، فأراد الدخول عليها ليُوبِّخها ، فقيل له : لاترْزُها[٢] فإنّ لها جوابا ، فأبى وأتاها فوقف على بابها فقرَعه ، فقالت : من هذا ؟ فقال : كُثَيِّر بنُ عبد الرحمن الشاعر ، فقالت لبنات عَمٍّ لها :

(١) الجثجاث والعرار : نبتان طيبا الريح .
(٢) رازه يروزه : جرب ما عنده واختبره ، وقد تكون : لا ترزها .

تَنَحَّيْنَ حتى يَدخل الرّجلُ ، فولجْنَ البيت وأذنَتْ له ، فدخل وتنحَّت من بين يديه فرآها وقد ولّت فقال لها : أنت قَطامِ ؟ قالت : نعم ، قال : صاحبة علىّ بن أبى طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبةُ عبد الرحمن بن مُلْجِم ، قال : أليس فيك قَتل علىّ بنَ أبى طالب ؟ قالت : بل مات بأجله ، قال : أما والله لقد كنتُ أُحِبُّ أن أراك فلما رأيتك نبَتْ عينى عَنْكِ فما احْلَوْلَيْتِ فى خَلَدِى ، قالت : واللهِ إنك لقصير القامة ، عظيمُ الهامة ، قبيح المنظر ، وإنك لكما قال الأوّل : تَسمعُ بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أن تراه . فقال :

رأتْ رَجُلاً أوْدَى السِّفارُ بوَجهِه فلم يَبْقَ إلا منظرٌ وجَناجِنُ[1]
فإنْ أكُ مَعْرُوقَ العِظام فإننى إذا وُزِن الأقوامُ بالقَوْمِ وازِنُ
وإنى لِمَا استودَعْتِنى من أَمانةٍ إذا ضاعَتِ الأسرارُ للسِّرِّ دافِنُ

فقالت : أنت — لله أبوك — كُثَيرُ عَزّةَ ؟ قال : نعم . قالت : الحمد لله الذى قَصَّرَ بك فصرت لاتُعرف إلاّ بامرأة ، فقال : الأمر كذلك ، فوالله لقد سار بها شعرى وطار بها ذِكْرِى ، وقرَّب من الخليفة مَجْلسى وأنا لكما قُلْتُ :

فإن خَفِيَتْ كانتْ لعينك قُرّةً وإنْ تَبْدُ يوما لم يُعَمِّكْ عارُها
فما روضةٌ بالحزْنِ طيّبة الثّرى يَمُجُّ النَّدَى جَثْجاثُها وعَرَارُها
بأطيب من أرْدانِ عَزّةَ مَوْهِنا وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ اللَّدْنِ نارُها

فقالت : باللهِ ما رأيت شاعرًا قطُّ أنقص عقْلاً منك ولا أضعف وصْفا ، أين أنت من سيدك امرئ القيس حيث يقول :

أَلَمْ تَرَيانِى كُلَّما جئت طارقا وجدْتُ بها طيبا وإنْ لم تَطَيَّبِ

فخرج وهو يقول :

الحق أبْلَجُ لايُخيلُ سَبِيــلُهُ والحقُّ يعرفه ذَوُو الألبـــاب[2]

---

(١) الجناجن : عظام الصدر ، وقيل : رءوس الأضلاع .

(٢) يخيل : يشكل ويشتبه .

صوت

هاكَ فاشرَبْها خليلى ... فى مدى الليل الطَّويلِ
قهْوةً فى ظِلِّ كَرْمٍ ... سُبِيَتْ من نهرِ بيل[١]
فى لسان المرء منها ... مثلُ طعم الزَّنجبيلِ
قل لمن يلْحاك فيها ... من فقيهٍ أوْ نبيلِ[٢]
أنتَ دَعْها وارْجُ أُخرى ... من رَحيقِ السَّلسبيلِ
تَعْطَش اليومَ وتُسْقى ... فى غدٍ نَعْتَ الطُّلول

الشعر لآدَمَ بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، والغناء لإبراهيم الموصلى هزج بالبنصر عن حبش ، ولإبراهيم بن المهدى فى الخامس والسادس والأول خفيف رمل بالوسطى عن الهشامىّ ، ولهاشمٍ فيها ثانى ثقيل بالبنصر وقيل لعبد الرحيم .

---

(١) نهر بيل لغة فى نهر بين : طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

(٢) فى معجم البلدان « نهر بيل » : قل لمن ينهاك عنها « من وضيع ونبيل .

ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمه أمُّ عاصم بنتُ سُفيان[1] بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم أيضا ، وهو أحد مَنْ مَنَّ عليه أبو العباس السَّفاح من بنى أمية لمَّا قتَل من وَجد منهم ، وكان آدم أول أمره خَليعا ماجنا منهوكا فى الشراب ، ثم نَسَكَ بعد ما عُمِّرَ ومات على طريقة محمودة .

وأخبرنى الحسن بن على ، عن أحمد بن سعيد الدِّمشقىّ ، عن الزبير بن بكار عن عمه .

أن المهدىَّ أُنشد هذه الأبيات وغُنِّى فيها بحضرته :

أنت دعها وارْج أُخرى   من رحيق السلسبيلِ

فسأل عن قائلها فقيل : آدم بن عبد العزيز بن عمر بنَ عبد العزيز . فدَعا به فقال له : ويلك تزندقْتَ ، قال : لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشيا تزندق ، والمِحْنة[2] فى هذا إليك ، ولكنه طرَبٌ غلبنى ، وشعر طفَح على قلبي فى حال الحداثة فنطقتُ به ، فخَلَّى سبيلَه . قال : وكان المهدىُّ يُحبه ويكرمه لظَرْفه وطيب نفسه .

ورُوى هذا الخبر عن مصعب الزبيرى وإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال :

كان آدم بن عبد العزيز يشرب الخمر ويُفرط فى المجون ، وكان شاعرا ؛ فأخذه المهدىُّ فضربه ثلاثمائة سوطٍ على أنْ يُقِرَّ بالزندقةِ فقال : والله ما أشركت بالله طرفةَ عينٍ ومتى رأيتَ قُرَشيا تزندق ؟ قال : فأين قولك :

اسقِنى واسقِ غُصَيْنَا   لاتَبِعْ بالنَّقْدِ دَيْنَا

(١) لعله زيان بن عبد العزيز .

(٢) المحنة : من معانيها الاختبار والتجربة . والتصفية من الشوائب .

اسقنيها مُرَّةَ الطَّعْـ ـمِ تُرِيكَ الشَّيْنَ زَيْنا

فى هذين البيتين لعمرو بن بانة ثانى ثقيل بالوسطى ، ولإبراهيم هزج بالبنصر.

قال : فقال : لئن كنتُ قُلْتُ ذاك فما هو مما يشهد على قائله بالزندقة ، قال : فأين قولك :

اسقنى واسقِ خليلى فى مَدَى الليلِ الطويلِ
قهوةً صهباء صِرْفا سُبِيَتْ من نهرِ بيل
لونُها أصفرُ صافٍ وهْيَ كالمسك الفَتِيلِ
فى لسان المرء منها مثلُ طعمِ الزنجبيلِ
ريحُها يَنْفَحُ منها ساطعا من رأسِ مِيلِ
من يَنَلْ منها ثلاثا يَنْسَ مِنْهاجَ السبيل
فمتى ما نال خَمْسا تركتْه كالقتيلِ
ليس يدرى حين ذاكم ما دَبِيرٌ من قَبِيلِ[1]
إنَّ سمعى عن كلام الـ ـلائمى فيها الثَّقيلِ
لشديدُ الوَقْرِ إنى غيرُ مِطْواعٍ ذَليلِ
قل لمن يَلْحاك فيها من فقيهٍ أو نَبِيلِ
أنت دعها وارج أخرى من رَحيقِ السلسبيلِ
تَعْطَش اليومَ وتُسْقَى فى غدٍ نَعْتَ الطُّلُولِ

فقال : كنت فتى من فتيان قريش أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل المجون ، واللهِ ما كفرت بالله قطّ ولا شككت فيه . فخلى سبيله ورَقَّ له .

قال : مصعب : وهو الذى يقول :

صوت

اسقِنى يا مُعاوِيَهْ سبعةً أو ثمانيَهْ

(١) لايعرف ما دبير من قبيل : أى لايعرف من يدبر عنه ممن يقبل عليه .

اسقنيها وغنِّنى قَبْلَ أخْذِ الزبانيةْ
اسقنيها مُدامةً مُرَّة الطعم صافِيَهْ
ثُمَّ مَنْ لامنا علَيْها فذاك ابنُ زانيَهْ

فيه خفيف رمل بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكى وإلى حكم الوادى .

قال : وآدم الذى يقول :

أقول وراعنى إيوان كسرى برأسِ مَعَان أوْ أدْرُوسفانِ [١]
وأبصرتُ البغالَ مُرَبَّطَاتٍ به من بعد أزمنة حِسانِ
يعزّ علَى أبِى ساسانَ كِسرى بموقِفِكُنَّ فى هذا المكان
شربْتُ علىتذكُّرِ عَيْشِ كسرى شرابا لونه كالزَّعفرانِ
ورُحْتُ كأننى كسرى إذا ما علاه التّاج يوم المِهْرَجانِ

قال : وهو الذى يقول :

أُحبُّكَ حبَّين ، لى واحد وآخر أنَّكَ أهلٌ لِذاكَ
فأما الذى هو حُبُّ الطِّباعِ فشىءٌ خُصِصْتَ به عن سواك
وأما الذى هو حبُّ الجمال فلستُ أرى ذاك حتى أراكَ
ولست أمُنُّ بهذا عليك لك المَنُّ فى ذا وهذا وذاك

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى عن فليح بن سليمان قال :

مررنا يوما مع خالِصَةَ فى موكبها ، فوقفتعلى آدم بن عبد العزيز فقالت : يا أخى طلبت منَّا حاجة فرفعناها لك إلى السيدة وأمرتْ بها ، وهى فى الديوان ، فساء ظنُّك بها فقعدتَ عن تَنَجُّزها . قال : فموَّه لها عُذْرًا اعتذر به ، فوقفْتُ عن الموكب حتى مضتْ ثم قلتُ له : أجملْتَ ؟ واللهِ ما أحسب أنه حبسك عنها إلاّ الشراب ، أنت ترى الناس يركضون خلفها وهى ترُفُّ [٢] عليك

(١) أد روسفان : لاشك أنه موضع ، ولم يذكر فى معجم البلدان .

(٢) ترف : تحسن إليك وتسدى إليك يدا ، أو تحوطك وتعطف عليك .

لحاجتك ، فقال : والله هو ذاك ، إذا أصبحتَ فكُلْ كِسرةً ولو بمِلْح ، وافتح دَنَّك فإن كان حامضا دبغ معدتك ، وإن كان حلوا خرَّطَكَ [١] وإن كان مُدْرِكا فهو الذى أردتَ . قلت : لابارك اللهُ عليك ، ومضيت ، ثم أقلع بعد ذلك وتاب ، فاستأذن يوما على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب : ارفعوا الشراب فإنّ هذا قد تاب وأحسبه يكره أن يراه ، فَرُفع وأَذِن له ، فلما دخل قال : إنّى لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أنْ تُفَنِّدُونِ [٢] » قال يعقوب هو الذى وجدتَ ولكنا ظننا أنه يثقل عليك لتركك الشراب ، قال : إى والله إنه ليثقل علىّ ذاك ، قال : فهل قلت فى ذلك شيئا منذ تركته ؟ قال : قلت :

ألا هَلْ فتى عن شُرْبها اليومَ صابِرُ ليجزِيه يوما بذلك قادِرُ
شربتُ فلمّا قيل ليس بنازِعٍ نزعْتُ وثوبى منْ أذى اللّوم طاهرُ

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم قال : حدثنى أبوهِفّان ، عن إسحاق قال :

كان مع المهدى رجل من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لِحْيةٌ عظيمة ، فذهب يوما ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه فى الركاب ، فذهب عامّتُها ، فقال آدم بن عبد العزيز قوله :

قد استوجب فى الحكمِ سليمانُ بنُ مختارِ
بما طوّل من لحيَـتِهِ جزّا بمِنْشارِ
أو السيف أو الحلْقَ أو التّحْرِيقَ بالنارِ
فقد صار بها أشْهَرَ من رايةِ بَيْطارِ

قال : ثم أنشدها عمرُ بنُ بَزِيع المهدىَّ فضحك ، وسارت الأبيات ، فقال أَسِيد ابن أسيد ، وكان وافر اللحية : ينبغى لأمير المومنين أن يكُفَّ هذا الماجنَ عن الناس ، فبلغت آدم بن عبد العزيز فقال :

لِحْية تمّتْ وطالَتْ لأسيدِ بنِ أسيد

(١) خرطه : جعله يسهل ، من الإسهال .

(٢) سورة يوسف ٩٤ ، واقتبسها آدم بن عبد العزيز .

كشراع من عَبَـاءٍ قطعتْ حبلَ الوَريدِ [١]
يَعْجَبُ الناظِرُ منها من قَريب وبعيـدِ
هيَ إنْ زادتْ قليلا قطعتْ حبلَ الوريـدِ

وقال : وكان المهدى يُرَبّى آدمَ ويُحبُّه ويُقرّبه ؛

وهو الذى قال لعبد الله بن على لما أمر بقتله فى بنى أمية بنهر أبى فُطرس [٢]
إن أبى لم يكن كآبائهم، وقد علمتَ مذهبه فيكم ، فقال : صدقت ،وأطلقه ؛
وكان طيب النفس مُتَصَوّفا ومات على توبة ومذهبٍ جميل ؛

(١) العباء : كساء من صوف . هذا وقد تكرر العجز ولعله : أوكساء من برود .

(٢) نهر أبي فطرس : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين ، كانت فيه وقعة عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس مع بنى أمية ، فقتلهم فى سنة ١٣٢ هـ ، انظر معجم البلدان .

الحسين ويزيد بن معاوية

صوت

ألا يا صاحِ للعَجَبِ دعوتُكَ ثم لم تُجِبِ
إلى القَيْنات واللذّا تِ والصَّهباءِ والطَّرَبِ
ومنهن التى تبلَتْ فؤادك ثم لم تَتُبِ

الشعر ليزيد بن معاوية يقوله للحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام ، والغناء لسائب خاثر خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى المدائنى قال :

قدم سَلْم بن زياد على يزيد فنادمه ، فقال له ليلة ألا أُوَلِّيك خُراسان ؟ قال : بلى وسِجِسْتانَ ، فعقد له فى ليلته فقال :

اسقنى شربة فَرَوِّ عظامى ثُمَّ عُدْ واسْقِ مثلها ابنَ زيادِ
موضعَ السِّرِّ والأمانة مِنِّى وعلى ثَغْرِ مَغْنَمِى وَجِهادِى

قال : ولما حجّ فى خلافة أبيه جلس بالمدينة على شراب فاستأذن عليه عبد الله ابن العباس والحسين بن على ، فأمر بشرابه فرُفع ، وقيل له : إن ابن عباس إنْ وجد ريح شرابك عرفه ، فحجبه وأذن للحسين ، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطِّيب فقال : لله دَرُّ طِيبك هذا ما أطيبه ، وما كنت أحسب أحدا يتقدمنا فى صنعة الطيب فما هذا يا ابن معاوية ؟ فقال يا أبا عبد الله هذا طيب يُصنع لنا بالشام ثم دعا بقدح فشربه ثم دعا بقدح آخر فقال : اسْقِ أبا عبد الله يا غلام ، فقال الحسين : عليك شرَابَك أيها المرءُ لاعَيْنَ عليك منى ، فشرب وقال :

ألاَ يا صاح للعجَبِ دعوتُك ثم لم تُجِبِ
إلى القيْنات واللذّا ت والصهباء والطرَبِ
وباطِيَةٍ مُكـلّلـة عليها سادةُ العرَبِ
وفيهن التى تبلتْ فؤادك ثم لم تتُبِ

فوثب الحسين عليه السلام وقال : بل فؤادك يا ابن معاوية :

الأحوص ومطر

صوت

أأن نادى هَدِيلاً يوم فَلْجٍ مع الإشراق فى فَنَنٍ حَمامُ
ظَلِلْتَ كأنّ دمعك دُرُّ سِلْكٍ وَهَى خيطًا وأَسلمه النظامُ
تموت تَشَوُّقًا طوْرًا وتَحْيا وأنت جَدِيرُ أنَّك مُسْتَهامُ
كأنَّك من تذكُّرِ أُمِّ عمرو وحبلُ وِصالها خَلَقٌ رِمامُ
سلام الله يامطرٌ عليها وليس عليك يامطرُ السلامُ
فإن يكن النكاح أحلّ أنثى فإنّ نكاحَها مطرٌ حرامُ
ولا غفر الإله لمُنْكِحيها ذُنُوبَهُمُ وإن صَلّوْا وصاموا
فطلِّقْها فلستَ لها بكفءٍ وإلا عَضَّ مَفْرِقَكَ الُحسامُ

الشعر للأحْوص والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر فى مجرى الوسطى ، ولإبراهيم الموصلى فى الأربعة الأبيات الأول ثانى ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر .

أخبرنى الحرمىّ قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاد الأنصارى قال : حدثنى أبو عبد الله بن سعد الأنصارى قال :

قدم الأحْوص البصرة فخطب إلى رجل من تميم ابنته وذكر له نسبه فقال : هاتِ لى شاهدا واحدا يشهد أنك ابن حَمِىّ الدَّبْرِ[١] وأزوِّجك ، فجاءه بمن شهد له على ذلك فزوجه إياها وشرطت عليه أن لايمنعها من أحد من أهلها ، فخرج

(١) حمى الدبر : أى الذى حماه النحل ، وهو جده عاصم بن ثابت الأنصارى ، حماه النحل من أن يمثل به المشركون ، انظر ترجمة عاصم بن ثابت الأنصارى فى الإصابة .

بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بنى تميم قريبا من طريقهم فقالت له : اعْدِلْ بى إلى أختى ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها فى إبله فقالت زوجة الأحْوص له : أقم حتى يأتى ؛ فلما أمسوا راح مع إبله ورِعائه وراحت غنمه ، فراح من ذلك أمر كثير ، وكان يُسَمَّى مَطَرًا فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمتْه عينُه وكان قبيحا دميما فقالت له زوجته : قُمْ إلى سِلْفِك وسلِّم عليه ، فقال : وأشار إلى أخت زوجته بأصبعه .

سلامُ اللهِ يا مطَرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلام

وذكر الأبيات وأشار إلى مطر بأصبعه،فوثب إليه مطر وبنوه وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجِز بينهم .

قال الزبير : قال محمد بن ثابت :

أبو عبد الله بنُ سعدٍ الذى حدّث بهذا الحديث أُمُّه بنت الأحوص ، وأمها التميمية أخت زوجة مطر .

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدثنا حماد ، عن أبيه :

أن امرأة الأحوص التى تزوّجها إحدى بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ وذكر باقى القصيدة وهو قوله :

كأنك مِنْ تذكُّرِ أمِّ عمروٍ وحبلُ وِصالها خَلَقٌ رِمامُ
صريعُ مُدامة غلبتْ عليه تموتُ لها المفاصل والعظامُ
وأنَّى من بلادك أمُّ عمروٍ سقى دارًا تحلُّ بها الغَمامُ
تحُلُّ النَّهْدَ من أُحُدٍ وأدنى مساكِنها السكينةُ أو سَنامُ[1]
فلو لم يُنْكِحوا إلاَّ كَفِيًّا لكان كَفِيَّها المَلِكُ الهُمامُ

أخبرنى الحسين قال : قال حماد : قرأت على أبى ، حدثنا ابنُ كُناسةَ قال :

(١) السكينة : لاشك موضع ، ولاتوجد فى معجم البلدان . وسنام : جبل .

مرّ بنا أشعبُ ونحن جماعة فى المجلس فأتى جارٌ لنا صاحبُ جوَارٍ يقال له أبان بن سليمان ، وعليه رِداء خَلَقٌ قد بدا منه ظهره ، وبه آثار ، فسلّم علينا فرددنا عليه السلام ، فلما مضى قال بعض القوم : مَدَنِيّ مجلود ، فأُراه سَمِعَها أو سَمعها رجل يمشى معه فأخبره ، فلما انصرف وانتهى إلى المجلس قال :

سلام الله يامطر عليها ... وليس عليك يا مطر السلام

فقلت للقوم : أنتم والله مطر .

ومثل ما جرى فى هذا الخبر من قوله فى المرأة خبرٌ له آخر شبيهٌ [1] فرجع له ابن حزم .

أخبرنى الحرمىّ قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا محمد بن فَضَالة عن جَميع بن يعقوب قال :

خطب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم بنتَ عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر إلى أخيها مَعْمَرِ بن عبد الله فزوجه إياها ، فقال الأحوص أبياتا وقال لفتى من بنى عمرو بن عوف : أنْشِدْها مَعْمَرَ بن عبد الله فى مجلسه ولك هذه الجُبَّة ، فقال الفتى : نعم ، فجاءه وهو فى مجلسه فقال :

يا معمرٌ يا ابن زيد حين تنكحها ... وتَستَبِدُّ بأمرِ الغَىّ والرَّشَدِ

فقال : كان ذلك الرجل غائبا ، فقال الفتى :

أما تذكَّرت صَيْفِيًّا فتحفظَه ... أو عاصما أو قتيل الشّعْبِ من أُحُد

قال : ما فعلت ولا تذكرت ، فقال الفتى :

أكنت تجهل حزْمًا حين تنكحها ... أم خفتَ لازلت فيها جائعَ الكبِدِ

قال : معمر : لم أجهل حزْما ، فقال الفتى :

أبعد صهر بنى الخطاب تجعلهم ... صِهْرًا وبعد بنى العَوّامِ من أسد

فقال معمر : قد كان ذلك ، فقال الفتى :

(١) فى الأصل : خبر له أخرسه . وما أثبتنا أقرب للمعنى .

هَشَّبها سليلةَ خَيْلٍ غيرِ مُقْرِفةٍ   مظلومةً حُبِسَتْ للعَيْرِ في الجَدَدِ[١]

قال : نعم أعانها الله وصَبَّرها ، فقال الفتى :

فكلُّ ما نالنا من عارِ مَنْكحِها   سُوًى إذا فارقَتْه وهى لم تَلِدِ

قال : نعم إلى الله عز وجل فى ذلك الرغبةُ .

قال الزبير : أما قوله صهر بنى الخطاب فإنَّ جَميلة بنت أبى الأقْلحِ كانت عند عمر بن الخطاب فولدت له عاصم بن عمر ، وأما صهر بنى العوّام فإن بُهيسة بنتَ النُّعمان بن عبد الله بن أبى عقبة كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير فولدت له أبا بكر ومحمدا .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى مصعب قال : قال الهُذَيْل :

كرِهتْ أُم جعفر أصواتا من الغناء القديم فأرسلتْ لها رسولاً يُلقيها فى البحر ثم غنّتها جاريةٌ بعد ذلك :

سلامُ الله يا مطرٌ عليها   وليس عليك يا مطرُ السلام

فقالت : هذا أرسلوا به رسولا مفردا إلى دَهْلَك[٢] ليلقيه فى البحر خاصّة ، قال : والذى حمل أمَّ جعفر على هذا التطيُّرُ على ابنها محمد الأمين من هذه الأصواتِ أيام محاربته أخاه المأمون فمنها قوله :

كُلَيْبٌ لعمرى كان أكثر ناصرًا   وأكثر جرْمًا منك ضُرِّجَ بالدَّمِ

ومنها قوله :

همُ قتلوه كى يكونوا مكانه   كما غدرتْ يوما بكسرى مَرَازِبُهْ

ومنها قوله :

رأيتُ زُهيرًا تحت كَلْكَلِ خالدٍ   فأقبلتُ أسعى كالعَجُول أُبادِرُهْ

---

(١) الجدد : ما استرق من الرمل . والأرض الغليظة المستوية . والعير : الحمار . والمقرفة : التى أبوها أقل من أمها .

(٢) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن ضيقة حارة .

ومنها قوله :

أبا منذر أفنَيْتَ فاستَبْقِ بعضَنا ... حَنانَيْكَ بعضُ الشرّ أهون من بعضِ

مضى الحديث :

صوت

وكُنا كنَدْمانَىْ جَذِيمةَ حِقْبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتَصَدّعَا

فلما تفرّقنا كأنى ومالـــكا ... لطول اجتماع لم نبِتْ ليلةً مَعَا

الشعر لمُتَمِّم بن نُوَيرة يرثى أخاه مالكا والغناء لسياط .

ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

هو مُتَمّم بن نُويرة بن جَمرة[١] بن شدّاد بن عُبيد بن ثعلبة بن يَربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نزار، ويكنى متمم بن نويرة أبا نَهْشل ويكنى أخوه مالك أبا المِغوار[٢] وكان مالك يقال له فارس ذي الخِمار قيل له ذلك بفرس كان عنده يقال له: ذو الخمار، وفيه يقول وقد أحمده فى بعض قائعه:

جرى بى فلاى ذوالخمار وضيعتى   بما فات أطواء بنىّ الأصاغر[٣]

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

كان مالك بن نويرة شريفا فارسا شاعرا وكانت فيه خُيلاءُ وتَقدُّمٌ، وكان ذا لِمّة كبيرة وكان يقال له الجَفُول، وكان مالك قُتِل فى الردّة، قتله خالد بن الوليد بالبُطاح فى خلافة أبى بكر وكان مقيما بالبُطاح، فلما تنبأت سَجاحِ[٤] اتبعها ثم أظهر أنه مسلم فضرب خالد عنقه صبرا، فطَعن عليه فى ذلك جماعةٌ من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وأبو قتادة الأنصارى لأنه تزوج امرأة مالك بعده، وقد كان يقال: إنه يهواها فى الجاهلية واتهم لذلك أنه قتله مسلما ليتزوج امرأة بعده.

حدثنا بالسبب فى مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبرى قال:

(١) فى المطبوع: عمرو. وفى جمهرة أنساب العرب: نمرة. وفى خزانة الأدب ضبطه جمرة بالجيم، وهو ما يتفق مع تاج العروس فى مادة جمر، والمؤتلف والمختلف للآمدى ١٩٤، ومعجم الشعراء ٣٦٠.

(٢) فى معجم الشعراء: يكنى أبا حنظلة.

(٣) هكذا البيت وتركناه كما هو.

(٤) سجاح: تبنى على الكسر كحزام وقطام.

كتب إلىّ السَّرىّ بن يحيى يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمى عن سيف بن عمر ، عن الصَّعْب بن عطية عن أبيه :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عمَّاله على بنى تميم فكان مالكُ بن نُويرة عاملَه على بنى يَربوع ، قال : ولمَّا تنبأت سجاحِ بنتُ الحارث بن سُويدِ بن عُقْفان وسارت من الجزيرة راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى الموادعة فأجابها ونهاها [١] عن غزوها وحملها على أحياء بنى تميم فأجابته وقالت : نعم فشأنك ممن رأيت ، وإنما أنا امرأة من بنى يَربوع ، وإن كان مُلْكٌ فهو مُلككم ، فلما تزوّجها مُسَيلمةُ الكذّاب ودخل بها انصرفتْ إلى الجزيرة وصالحته على أن يحمل إليها النِّصف من غلاّت اليمامة ، فارعوى حينئذ مالكُ بن نويرة وندم وتحيّر فى أمره فلحق بالبُطاح ؛ ولم يبق فى بلاد بنى حنظلة شىء يُكره إلا ما بقى من أمر مالك بن نويرة ومن تأشَّب إليه بالبُطاح ، فهو على حاله متحير ما يدرى ما يصنع .

وقال سيف : فحدثنى سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد وعمر بن شُعيب قالا :

لما أراد خالد بن الوليد المسير خرج وقد استبرأ أسداً وغطفان وغَنِيّاً [٢] فسار يريد البُطاح دون الحَزْن وعليها مالك بن نويرة ، وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفت عنه وقالوا : ما هذا بعهدِ الخليفة إلينا فقد عَهِد إلينا إنْ نحن فرغنا من البُزَاخة [٣] واستبرأنا بلاد القوم أن [نقيم حتى] يكتب إلينا بما نعمل ، فقال خالد : إن يكن عَهِدَ إليكم هذا فقد عهد إلىّ أن أمضى وأنا الأمير وإلىّ تنتهى الأخبار ، ولو أنه لم يأتنى له كتابٌ ولا أمر ثم رأيتُ فرصة [فكنت] إن أعلمته بها فاتتنى لم أعلمه حتى أنتهزها ، وكذلك

(١) فى الطبرى . وفثأها . ومعنى فثأها كفها .

(٢) فى الطبرى : وطيئا وهوازن » والرواية عن الطبرى » .

(٣) البزاخة : ماء لبنى أسد كانت فيه وقعة لخالد مع طليحة بن خويلد الأسدى ، انظر معجم البلدان « بزاخة » .

لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم نَدَعْ أن نرى أفضل ما بحضرتنا ونعمل به ، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وأنا قاصد له بمن معى من المهاجرين والتابعين لهم بإحسان ولست أُكرههم ، ومضى خالد وندمت الأنصار وتذامروا [١] وقالوا : لئن أصاب القومُ خيرًا إنه لخير حُرِمتموه ولئن أصابتهم مصيبة ليجتنبكم الناس فأجمعوا على اللَّحاق بخالد وجرّدوا إليه رسولا ، فأقام عليهم حتى لحقوا به ، ثم سار حتى لحق البُطاح فلم يجد به أحدا .

قال السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُزيمة بن َشجرة العُقْفانىّ ، عن عثمان بن سُويد ، عن سُويد بن المثعبة [٢] الرّياحى قال :

قدم خالد بن الوليد البُطاح فلم يجد عليه أحدا ووجد مالكا قد فرقهم فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبعث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام فمن أجاب فسالموه ومن لم يُجب وامتنع فاقتلوه ، وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم فأَذّنوا وأقيموا فإن أذّن القوم وأقاموا فكُفُّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شىء إلا الغارة ثم اقتلوا كل قتلة الحَرْقِ [٣] فما سواه ، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسالموهم [٤] فإن هم أقروا بالزكاة قبلتم منهم وإلا فلا شىءَ إلا الغارة ولا كلمة ، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفرٍ معه من بنى ثعلبة بن يربوع من بنى عاصم وعبيد [وعرين] وجعفر واختلفت السرّية فيهم ، وفيهم أبو قتادة وكان ممن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا فلما اختلفوا فيهم أمر بحبسهم فى ليلة باردة لا يقوم لها شىء ، وجعلت تزداد بردا فأمر خالد مناديا فنادى أدفئوا أسراكم ، وكان فى لغة كنانة ، إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدْفئوه فذلك معنى اقتلوه وفى لغة غيرهم أدفئوه من

(١) تذامروا : تلاوموا وتحاضوا على القتال .

(٢) فى الطبرى : المثعبة وأيضا المثعبة

(٣) الحرق : البرد حرقه : برده ، ويريد به الإهلاك .

(٤) فى الطبرى : فسائلوهم .

الدفء ، فظن القوم أنه يريد القتل فقتلوهم ، فقتل ضرارُ بنُ الأزور مالكا ، فسمع خالد الوَاعية فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمرًا أصابه ؛ وقد اختلف القوم فيهم ؛ فقال أبو قتادة : هذا عملُك ، فزَبَره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتى كلّمه عمر بن الخطاب فيه فلم يرض إلاّ بأن يرجع إليه ، فرجع إليه فلم يزل معه حتى قدم المدينة ، وكان خالد قد تزوج أم تميم بنت المهلب[١] وتركها لينقضى طهرها ، وكانت العرب تكره النساء فى الحرب وتَعايَرُه ، فقال عمر لأبى بكر : إن فى سيف خالد رَهَقا وحقّ عليه أن تُقيده . وأكثر عليه فى ذلك وكان أبو بكر لا يُقيدُ مِن عُمّاله ولا من وَزَعته[٢] فقال : هيه يا عمر ، تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ، ووَدى ما لكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ففعل ، وأخبره خبره فعذره وقَبِل منه وعنّفه بالتزويج الذى كانت العرب تعيب عليه من ذلك . فذكر سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : شهد قومٌ من السَّرِيَّة أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوْا ففعلوا مثل ذلك ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء فقُتلوا . وقدم أخوه متمم يَنْشُد أبا بكر دَمَه ويطلب إليه فى سَبْيِهم ، فكتب له برد السَّبى ، وألحّ عليه عمر فى خالد أن يعزله وقال : إن فى سيفه لرهقا ، فقال : لا يا عمر ، لم أكُن لأشيم سيفا سلّه الله على الكافرين .

حدثنا محمد بن جرير قال : كتب إلىّ السَّرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة ، عن عثمان بن سويد عن سويد قال :

كان مالك [بن نويرة] من أكثر الناس شعرًا ، وإن أهل العسكر أثْفَوُا القدور[٣] برءوسهم فما منها رأسٌ إلاّ وَصلت النارُ إلى بَشَرته ما خلا ما لكا فإن القِدْر

(١) فى الطبرى : المنهال ، وفى خزانة الأدب ١ — ٢٣٨ : ليل بنت سنان .

(٢) الوزعة : جمع وازع ، من معانيه : من يدبر أمور الجيش ويرد من شذ منهم .

(٣) أثفوا القدور : جعلوا لها أثافى ، وهى ما تحمل عليها ، وكانت أثافيهم هى الرءوس .

نَضِجت وما نضِج رأسه من كثرة شعره ، ووقى الشعرُ البشرةَ من حرّ النار أن تبلغ منه ذلك .

قال : وأنشد متمم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر خَمصَهُ يعنى قوله[1] :

لقد كَفَّنَ المِنْهالُ تحت ردائـه فتى غير مِبْطان العشيَّات أَرْوَعا

فقال : أكذلك كان يا متمم ؟ قال : أما ما أعنى فنعم .

أخبرنى اليزيدىُّ قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى محمد بن فُلَيح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، وحدثنيه أحمد بن الجعد قال : حدثنا محمد ابن إسحاق المُسَيَّبى قال: حدثنا محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب .

أن مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شعرًا ، وأن خالدا لما قتله أمر برأسه فجُعل أُثْفِيَّةً لِقدْرٍ فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النار إلى شَوَاته [2] .

أخبرنى محمد بن جرير قال : حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غَشِيتم دارًا من دور الناس فسمعتم فيها أذانا للصلاة فأمْسِكوا عن أهلها حتى تسألوهم : ماذا نَقِمُوا ، وإذا لم تسمعوا أذانا فشُنُّوا الغارة فاقتلوا وحرِّقوا فكان من شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الأنصارى واسمه الحارث بن رِبْعِيّ أخو بنى سَلِمة وقد كان عاهد الله أنه لايشهد [مع خالد بن الوليد] حربا بعدها أبدا ، وكان يحدّث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح قال : فقلنا : [إنا المسلمون، فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا لنا] : فما بال السلاح

---

(١) يستفاد الخمص من قوله غير مبطان العشيات : أى لا يكثر من الأكل فى العشى .

(٢) الشواة : جلدة الرأس .

معكم ؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ففعلوا ، ثم صلَّينا وصلَّوا .

وكان خالد يعتذر فى قتله أنه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبكم ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم إلا قد كان يقول كذا وكذا ، فقال خالد : أو ما تعُدُّه لك صاحبا ؟ ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه، فلما بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطاب تكلَّم فيه عند أبى بكر رضى الله عنه فأكثر وقال : عدوُّ اللهِ عَدَا على امرئٍ مُسلم فقتله ، ثم نزَا على امرأته . وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قَباء عليه صَدَأُ الحديد مُعْتَجِرًا بعمامة له قد غرز فيها أسهما ، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال [أرثاءً] قتلت أمرأً مسلما ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك ، ولايكلمه خالد بن الوليد ولايظنّ إلاّ أن رَأْيَ أبى بكر على مثل رأى عمر فيه ، حتى دخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وتجاوز له عما كان فى حربه تلك ، فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر وعُمَرُ جالس فى المسجد الحرام فقال : هَلُمَّ إلىَّ يا ابن أم مسلمة [١] ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلِّمه ودخل بيته .

وكان الذى قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدى . وقال محمد بن جرير قال ابن الكلبى : الذى قتل مالكَ بنَ نويرة ضرارُ بن الأزور ، وهكذا روى أبو زيد عن عمر بن شبة عن أصحابه وأبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

قدم مالك بن نويرة على النبى صلى الله عليه وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب فولاه صدقات قومه بنى يربوع ، فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم اضطرب فيها فلم يُحْمَد أمرُه وفرّق ما فى يده من إبل الصدقة ، فكلمه الأقرع ابن حابس المُجاشعىُّ والقَعْقاعُ بن مَعبد بن زرارة الدارمىُّ فقالا له : إن لهذا الأمر قائما وطالبا فلا تَعْجَلْ بتفرقة ما فى يدك فقال :

أرانى اللهُ بالنَّعَم المُنَدَّى [٢] ببُرْقَةِ رَحْرَحانَ وقد أرانى
تُمَشِّى يا ابنَ عَوْذَةَ فى تميم وصاحِبُكَ الأقيرعَ تَلْحَيانى
[حميتُ جميعها بالسيف صَلْتاً ولم ترعش يداى ولا بنانى]

(١) فى مخطوط : سلمة ، وفى الطبرى : شملة .
(٢) فى معجم البلدان برقة رحرحان : أرانى الله ذا النعم المندى ، وانظر الخزانة ١ / ٢٣٦ .

يعنى أمّ القعقاع وهى مُعاذة بنت ضرار بن عمرو ، وقال أيضا :

وقلتُ خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظرٍ فيما يجىءُ من الغدِ

فإن قام بالأمرِ المُخَوِّفُ قائمٌ ... منعْنا وقلنا الدينُ دينُ محمَّدِ

قال ابن سلّام : فمن يعذر مالكا يقول : إنه قال لخالد : وبهذا أمرك صاحبك : يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم وآله وأنه أراد بهذه القُرَشيَّةَ ، ومن يعذر خالدا يقول : أراد انتفاءً من نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، واحتج بِشِعْرَيه المذكورين آنفا .

وذكر خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم لمّا وجّهه إلى ابن جَلَنْدَى قال له : يا أبا سليمان إن رأتْ عيناك مالكا فلا تزايله أو تقتله ، قال محمد بن سلام : وسمعنى يونس يوما وأنا أُرادُّ التّميمىّ فى خالد وأعذره فقال لى : يا أبا عبد الله أَمَا سمعتَ بساقَىْ أُمّ تميم ؟ يعنى زوجة مالك التى تزوجها خالد لمّا قتله ، فكان يقال : إنه لم يُرَ أحسن من ساقيها . قال : وأحسنُ ما سمعت من عذر خالد قولُ متمم بأن أخاه لم يُسْتَشهد ففيه دليل على عذر خالد .

وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا الرّياشىُّ قال : حدثنا محمد ابن الحكم البَجَلى ، عن الأنصارى قال :

صلّى متمم بن نويرة مع أبى بكر رضوان الله عليه الصبحَ ثم أنشد قوله :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرياحُ تناوحَتْ ... تحت الإزار قتلْتَ يا ابن الأزْوَرِ

أدعوتَه بالله ثم قتلْتَه ... لَوْ هُو دَعاك بِذِمّةٍ لم يَغْدِرِ

فقال أبو بكر : والله ما دعوتُه ولا قتلته ، فقال :

لا يُضْمِرُ الفحشاء تحت ردائهِ ... حلْوٌ شمائلُه عفيفُ المِئْزَرِ

ولنِعمَ حشْوُ الدِّرْعِ أنتَ وحاسرًا ... ولنعم مأْوَى الطارِق المُتَنَوِّرِ[1]

(١) المتنور : الذى يتبصر النار من بعيد . وذلك كان لطلب القرى .

قال: ثم بكى حتى سالت عينه ، ثم انخرط على سِيَةِ [١] قوسه مُتكِئا يعنى مَغْشِيا عليه .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا الرِّياشىّ قال : حدثنى محمد ابن الحكم البَجَلِىّ ، عن صخر بن حَلحلَة قال :

ذكر متمم بن نويرة أخاه فى المدينة ،فقيل له : إنك لتذكر أخاك فما كانت صفته ؟ أوصِفْه لنا ، فقال : كان يركب الجمل الثَّفال [٢] فى الليلة الباردة يرتوى لأهله بين المَزَادتين النضوحتَين ، عليه الشَّمْلَةُ الفَلُوت [٣] ، يقود الفرس الحَرُون ثم يُصْبِح ضاحكا .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا أحمد بن زهير ، عن الزبير ، عن حبيب بن بدر الطائىّ وغيره .

أن المِنْهال رَجُلاً من بنى يَرْبوع مرَّ على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد فأخذ ثوبا وكفنه فيه ودفنه ففيه يقول متمم :

صوت

لَعمرى وما دهرى بتأبين مالك [٤] ... ولا جَزَعٍ مما أصاب فأوجَعا
لقد كَفَّنَ [٥] المنهال تحت ردائه ... فتًى غيرَ مِبْطانِ العَشيَّات أرْوعا

غناه عمرو بن أبى الكنَّات ثقيل أول بالوسطى عن حبش .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى الحسن بن محمد البصرى قال حدثنى الحسن بن إسماعيل القُضاعى قال : حدثنى أحمد بن عمار العبدى وكان من العلم بموضع قال : حدثنى أبى :

عن جدى قال : صلَّيت مع عمر بن الخطاب الصبح فلما انْفتل من صلاته

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها .
(٢) الثفال : البطىء .
(٣) الفلوت : التى لا يضم طرفاها عليه من صغرها أو ضيقها . وفسرت فى هامش مخطوط .
(٤) فى المفضليات ٢ / ٦٥ ومعجم الشعراء ٣٦١ : هالك ، وفى الجمهرة كالأصل .
(٥) فى مخطوط : لقد لفف . وكذلك فى روايته بعد ذلك وما سبق .

إذا هو برجل قصير أعور مُتنكِّب قوسا، وبيده هِراوة، فقال: من هذا؟ فقال: متمم بن نُويرة، فاستنشده قوله فى أخيه فأنشده:

لعمرى وما دهـرى بتأبين مالك ... ولا جزَعٍ مما أصاب فأوجعا

لقد كفَّن المنهـال تحت ثيابه ... فتى غير مِبْطان العشيات أروعا

حتى بلغ إلى قوله:

وكُنَّا كندْمانىْ جذَيمة حِقْبَةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلمَّا تفرقْنا كأنى ومالكـا ... لطول اجتماع لم نبِتْ ليلة معا

فقال عمر: هذا والله التأبينُ، ولوددت أنى أُحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثَيت به أخاك. فقال متمم: لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته وكان قُتِل باليمامة شهيداً وأميرُ الجيش خالدُ بن الوليد. فقال عمر: ما عزّانى أحد عن أخى بمثل ما عزانى به متمم. قال: وكان عمر يقول: ما هبَّت الصَّبا من نحو اليمامة إلاّ خُيِّل إلىَّ أنى أشمّ ريح أخى زيد.

قال: وقيل لمتمم: ما بلغ من وَجدك على أخيك؟ فقال: أُصبت بإحدى عينىّ فما قطرت منها دمعةٌ عشرين سنةً، فلما قُتِل أخى استهلّت فما ترْقأ.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو أحمد الزبيرى، قال: حدثنا عبد الله بن لاحق، عن أبى مُليكة قال:

مات عبد الرحمن بن أبى بكر بالحُبْشِيّ جبَلٍ [بأسفل] مكة فحمل فدفن بمكة، فقدمت عائشة فوقفت على قبره وقالت متمثلة:

وكُنَّا كندمانىْ جذيمة حقبـة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلما تفرقنا كأنى ومالـكا ... لطول اجتماع لم نبتْ ليلـة معا

أما والله لو حضرْتُك لدفنتُك حيث مِتّ ولو شهدتك ما زرتك.

أخبرنا إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا عبد الله أبو محمد بن مسلم بن قتيبة.

أن متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر: ما أرى فى أصحابك مثلك، فقال: يا أمير المؤمنين، أما والله إنى مع ذلك لأركب الجمل الثَّفال وأعتقل

الرمح الشَّطُون [١] وألبس الشَّمْلة الفَلُوت ولقد أسرتني بنو تغلب في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكا فجاء ليفديني منهم، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، وحدّثهم فأعجبهم حديثه فأطلقوني له بغير فداء.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني النوفليّ، عن أبيه وأهله قالوا:
لما أنشد متمم بن نويرة عمر بن الخطاب قوله يرثي أخاه مالكا:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

قال له عمر: هل كان مالك يحبك مثل محبتك إياه؟ وهل كان مثلك؟ فقال: وأين أنا من مالك؟ وهل أبلغ مالكا؟ والله يا أمير المؤمنين لقد أسرني حيّ من العرب فشدّوني وثاقا بالقِدّ، وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبل على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليّ أعرض عني، ونظر القومُ إليه فعدَل إليهم وعرفت ما أراد فسلم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فوالله إنْ زال كذلك حتى ملأهم سرورا، وحضر غداؤهم فسألوه النزول ليتغدى معهم فنزل وأكل، ثم نظر إليّ وقال: إنه لقبيحٌ بنا أن نأكل ورجل مُلقى بين أيدينا لا يأكل معنا، وأمسك يده عن الطعام، فلما رأى ذلك القومُ نهضوا إليّ وصبّوا الماء على قِدّي حتى لانَ وحلّوني ثم جاءوا بي فأجلسوني معهم على الغداء فلما أكلنا قال لهم: أما ترون تحرُّمَ هذا بنا وأكله معنا؟ إنه لقبيح بكم أن تردُّوه إلى القِدّ، فخلّوْا سبيلي. قال: أفكان كما وصفتَه؟ فقال: ما كذبت في شيء من صفته إلاّ أني وصفته بخَمَص البطن وكان ذا بَطْنٍ.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن نصر الضُّبَعي قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرقي عن أبيه، عن مروان بن موسى القَرَويّ ووجدت هذا الخبر أيضا في كتاب محمد بن علي بن حمزة العلويّ، عن علي بن محمد النوفليّ، عن أبيه.

(١) الرمح الشطون: الطويل الأعوج.

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لمتمم بن نويرة : إنكم أهل بيت قد تفانيتم ، فلو تزوجتَ عسى أن ترزق ولدا تكون فيه بقية منكم ، فتزوج امرأة بالمدينة فلم تَرْضَ أخلاقه لشدة حزنه على أخيه وَقِلَّة حَفْلِه بها ، فكانت تُماظُّه [1] وتُؤذيه ، فطلَّقها وقال :

أقول لهند حين لم أرض فِعلَها ... أهذا دلالُ الحبِّ أمْ فِعلُ فارِكِ [2]

أم الصُّرْم ما تبغى ، وكلُّ مفارقٍ ... يَسيرٌ علينا فَقْدُه بعد مالكِ

أخبرنى محمد بن جعفر الصَّيْدَلانِىُّ النحوى قال : حدثنا محمد بن موسى ابن حمَّاد قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أحمد بن معاوية ، عن سَلْمُويه بن صالح ، عن عبد الله بن المبارك ، عن نعيم بن عمرو الرازى قال :

بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكة والمدينة إذ عرض لهما أعرابىٌّ ، فوقفا ليمضى ، فوقف ، فتعجَّلا ليسبقاه فتعجل ، فقالا : ما أثقلك يا أعرابى : تعجلنا لنسبقك فتعجلتَ ، فوقفنا لتمضى فوقفت ، فقال : لا إله إلاَّ الله هَبَانى أعذِر الناس ، أأعذِرأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ هبانى خِفتُ الضلال فأحببت أن أستدلَّ بكما ، أو خفت الوَحْشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمم بن نويرة . فقال طلحة : واسوأتاه لقد مَلِلْتنا غيرَ مملول ، هاتِ بعض ما ذكرتَ فى أخيك [فطفق يسمعهما حتى أصبحا .

وكانوا قد خَشُوا على] بصره من البكاء فزوّجوه أم خالد ، فبينا هو واضع رأسه على فخذها إذ بكى ، فقالت : لا إله إلا الله ، أما تنسى أخاك ؟ فأنشأ يقول

أقول لها لمَّا نَهتْنى عن البُكا ... أفى مالِكٍ تَلْحيننى أمَّ خالدِ

فإن كان إخوانى أصيبوا وأخطأت ... بنى أُمِّكِ اليومَ الحتوفُ الروا صد [3]

فكلُّ بنى أمٍّ سَيُمْسُون ليلة ... ولم يبق من أعيانهم غيرُ واحد

(١) تماظه : تخاصمه وتشاتمه وتنازعه .

(٢) الفارك : التى تبغض زوجها .

(٣) فى هذا البيت إقواء : وهو اختلاف حركة الروى ، برفع وجر .

[جذيمة الأبرش ورقاش

وعمرو بن عدى والزباء]

أما معنى قول متمم :

• وكنا كَنَدمانَى جذيمة حقبة •

فإنه يعنى نَدِيمىْ جَذِيمةَ الأبرشِ الملكِ وهو جَذِيمةُ بنُ مالك بن فَهم ابن غَنْم بن دَوْس بن عُدْثان الأزدى ، وكان الخبر فى ذلك ما أخبرنا به على ابن سليمان الأخفش عن أبى سعيد السكرى عن محمد بن حبيب ، وذكر ابن الكلبى عن أبيه ، والشرقىُّ وغيره من الرواة .

أن جَذِيمة الأبرش – وأصلُه من الأزد،وكان أوّل من ملك قضاعة بالحِيرة، وأول من حَذَا النعال وأدلج من الملوك ورُفع له الشمع – قال يوما لجلسائه : ذُكِر لى عن غلام من لَخْم مقيم فى أخواله من إياد ، له ظَرْف ولُبّ ، فلو بعثْتُ إليه يكون فى نُدَمائى ووليّته كأسى والقيامَ بمجلسى كان الرأْى ، فقالوا : الرأىُ ما رأى الملك فليْبعثْ إليه ، ففعل . فلما قَدِم عليه فعل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدة طويلة ، ثم أشرفتْ عليه يوما رَقاشِ ابنة مالك أخت جَذِيمة فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما ثم قالت له : يا عَدِىُّ إذا سقيتَ القوم فامزج لهم واسق الملك صِرْفا . فإذا أخذَتْ فيه الخمر فاخطبْنى إليه فإنه يزوّجك وأَشْهِد القوم عليه إن هو فعل ، ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوّجه ، وانصرف الغلام بالخبر إليها فقالت : عرِّس بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا مُضَرَّجا بالَخلوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار ياعدىُّ ؟ قال : آثار العرس ، قال : أى عرس ؟ قال عرس رقاش ، قال : فنخر وأكب على الأرض ، ورفع

عَدِىٌّ جرامِيزَه [١] ، فأسرع جذِيمة فى طلبه فلم يتحسسه ، وقيل : إنه قتله وكتب إلى أخته :

حدثينى رَقاشِ لاتكـــذبينى أَبِحُرٍّ زنيتِ أم بِهَجِــينِ

أم بِعَبْد فأنتِ أهلٌ لعبـد أَمْ بدونٍ فأنت أهلٌ لِدُون

قالت : بل زوجتنى أمرأً عربيا ، فنقلها جذيمة إليه وحصّنها فى قصره واشتملت على حَمْل فولدت منه غلاما وسمته عَمْرًا وربّته ، فلما ترعرع حلّتْه وعطّرته وألبسته كسوةَ مثلِه ثم أزارته خالَه فأُعجب به وأُلقيت عليه منه محبة ومودة ، حتى إذا وَصُفَ [٢] خرج غلمان الملك يجتنون الكَمْأة فى سنة قد أكمأتْ . وخرج عمرٌو معهم ، وقد خرج جذيمة فَبُسِط له فى روضة ، فكان الغلمان إذا أصابوا الكمأةَ الطيِّبةَ أكلوها ، وإذا أصابها عمرُو خبأَها ، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يَقْدُمهم ويقول :

هذا جَناىَ وخِياره فيـــهْ إذْ كلُّ جانٍ يدُه إلى فيــهْ

فالتزمه جذيمة وحيّاه وقرّب من قلبه وحلّ منه بكل مكان ، ثم إنّ الجِنّ استطارته ، فلم يزل جذيمة يُرسل فى الآفاق فى طلبه فلم يسمع له بخبر فكفّ عنه ، ثم أقبل رجلان يقال لأحدهما عَقِيل والآخر مالك ابنا فالِجٍ وهما يريدان الملك بهديّة ، فنزلا على ماء ومعهما قَيْنة يقال لها أمُّ عمرو ، فنصبت قِدْرا وأصلحت طعاما ، فبينا هما يأكلان إذ أقبل رجل أشعثُ أغبرُ قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس مَزْجَرَ [٣] الكلبِ ، فمدّ يده فناولتْه شيئا فأكله ، ثم مدّ يده فقالت : إن يُعْطَ العَبْدُ كُراعا يَبْتَغِ ذراعا ، فأرسلتْها مثلا ، ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوْكتْ زِقّها [٤] ، فقال عمرو بن عدى :

(١) الجراميز : ما انتشر من ثيابه ، ويريد أنه جمع ما انتشر من ثيابه ليجرى مسرعا ، ويقال أيضا إن الجراميز هى قوائم الوحش ، ويقال : جمع جراميزه إذا تقبض ليثب .

(٢) وصف الغلام : بلغ حد الخدمة .

(٣) يقال : هو منى مزجر الكلب ، أى بتلك المنزلة ، ويراد أنه فى موضع بحيث يكون فيه الكلب حين ينهنه .

(٤) أوكت زقها : ربطته بالوكاء ، وهو الرباط .

صوت

صَدَدْتِ الكأسَ عنّا أمَّ عمرٍو وكان الكأسُ مَجْراها اليمينا
وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمـرٍو بصاحبك الذى لاتَصْبَحِينا

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق فى كتابه الكبير .

وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن كُلثوم [١] .

وأخبرنا اليزيدى قال : حدثنا الخليل بن أسد النوشجانىُّ قال : حدثنا حفص ابن عمرو عن الهيثم بن عدى ، عن ابن عباس :

أن هذا الشعر لعمرو بن عدىّبن نصر بن ربيعة اللخمىّ .

رجع الحديث إلى سياقته

فقال الرجلان : ومن أنت ؟ فقال :

إن تُنْكِرانى وتنكرا نَسَبِى فإننى عمرُو وعَدِىٌّ أبى

فقاما إليه فلثماه وغسلا رأسه وقلّما أظفاره وقصّرا من لّمته ، وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ماكنا لِنُهْدِىَ إلى الملك هديّةً أنفسَ عنده ولا هو عليها أحسنُ صُنعا من ابن أخته قد رده الله عزوجل إليه ، فخرجا حتى إذ دُفِعا إلى باب الملك بشّراه به فصرفه إلى أمه فألبسته ثيابا من ثياب الملوك وجعلت فى عنقه طَوْقا كانت تُلبسه إياه وهو صغير ،وأمرته بالدخول على خاله،فلما رآه قال : شَبَّ عمرٌو عن الطوق [٢] فأرسلها مثلا . وقال للرجلين اللذين قدما به : احتكما فلكُما حُكْمكما . قالا : منادمتك ما بقيتَ وبَقِينا . قال : ذلك لكما ، فهما نديما جَذِيمة اللذان ذكرهما متمم بن نويرة ، وضربت بهما الشعراءُ المثل قال أبو خِراشٍ الهُذلىُّ :

ألم تعلمى أنْ قد تفرّق قبلنـــا خليلا صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

---

(١) فى الأصول : معدى كرب ، وانظر التصويب من معلقة عمرو بن كلثوم .
(٢) فى مجمع الأمثال : كبر عمرو عن الطوق .

يعنيهما . قال ابنُ حبيب فى خبره : وكان جذيمة من أفضل الملوك رأيا وأبعدهم مَغارًا وأشدَّهم نكاية ، وهو أول من استجمع له المُلْكُ بأرض العراق ، وكانت منازله ما بين الأنبار وبَقَّة وهِيت وعَين التَّمْر وأطراف البرّ والقُطْقُطانةِ والحِيرة ، فقصد فى جموعه عَمْرَو بنَ الظَّرِب بن حسان بن أُذينة بن السميدَع ابن هَوْبر العاملىّ من عاملة العماليق ، فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله جذيمة وفضّ جموعه فانفلُّوا وملّكوا عليهم ابنته الزَّبَّاء ، وكانت من أحزم النساء ، فخافت أن تغزوها ملوك العرب فاتخذت لنفسها نفقا فى حِصْن كان لها على شاطىء الفُرات ، وسكَرَت [1] الفراتَ فى وقت قِلّة الماء ، وبنت فى بطنه أزَجا [2] من الآجرّ والكِلْس متصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقا آخر فى البرّيّة متّصلا بمدينةِ لأختها ، ثم أجرَتِ الماءَ عليه ، فكانت إذا خافت عدوّا دخلت النفَق ، فلما استجمَعَ لها أمرُها واستحكم ملكُها أجمعت على غزو جذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختها وكانت ذات رأْيٍ وحزم : إنك إن غزوت جذيمة فإنه أمرٌ له ما بعده ، فإن ظفرت أصبت ثأرك ، وإن ظفر بك فلا بَقيّةَ لك ، والحرب سِجالٌ ولا تدرين كيف تكون ألك أم عليك ؟ ولكن ابعثى إليه فأعلميه أنك قد رغبت فى أن تتزوجيه وتَجْمَعى ملكك إلى ملكه وسَلِيه أن يُجيبك لذلكِ ، فإنه إن اغترّ ففعل ظفرتِ به بلا مخاطرة ، فكتبت الزباء إلى جذيمة فى ذلك تقول له : إنها قد رغبت فى صِلَة بلدها ببلده ، وإنها فى ضعْفٍ من سلطانها وقلّةِ ضبْطٍ لمملكتها ، وإنها لم تجد كفوًا غيره ، وتسأله الإقبالَ إليها وجمْعَ ملكها إلى ملكه . فلما وصل ذلك إليه استخفّه وطمع فيه ، فشاور أصحابه فكلّ صوّب رأيه فى قصدها وإجابتها إلاّ قَصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن [3] نُمارة ابن لخم ، فقال : هذا رأى فاتر [4] ، وغدْرٌ حاضر ، فإن كانت صادقة فلتقبل

(١) سكرته : سدته .

(٢) الأزج : البيت يبنى طولا .

(٣) فى مخطوط : بن هلال بن أبى بن نمارة .

(٤) فى مخطوط : فاتل : والفاتل : الخاطىء الضعيف .

إليك وإلاّ فلا تُمكّنها من نفسك فتقع فى حبالها وقد وتَرْتها فى أبيها . فلم يوافق جذيمة ما قال ، وقال له : أنت امرؤ رأيك فى الكِنّ لا فى الضِّحّ [1] ، ورحل فقال له قصير فى طريقه : انصرِف ودمُك فى وجهك . فقال جذيمة : بِبَقَّةَ قُضِيَ الأمر ، فأرسلها مثلا ، ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير : ما الرأى ؟ قال : ببقّة تركتُ الرأى . قال : فما ظنك بالزباء ؟ قال : القولُ رِدافٌ والحزم عثراته تُخاف . واستقبله رسلها بالهدايا والألطاف . فقال : يا قصير كيف ترى ؟ قال : خَطْبٌ يسير فى خطب كبير . وستلقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخذت فى جنبيك وأحاطت بك فالقوم غادرون ، فلقيته الخيول فأحاطت به ، فقال له قصير : اركب العَصا فإنها لا تُدرك ولا تُسبق — يعنى فرسا له كانت تُجْنَب — قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك ، فلم يفعل ، فجال قصير فى ظهرها فمرّت به تعدو فى أوّل أصحاب جذيمة ، ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيرا على فرسه العَصا فى أول القوم فقال : الحازم ما يجْرى العصا فى أول القوم [2] . فذكر أبو عبيدة والأصمعى : أنها لم تكن تقِفُ حتى جرت ثلاثين ميلا ثم وقفت فبالت [3] هناك ، فبُنى على ذلك الموضع بُرْجٌ فَسُمّى برج العصا . وأُخذ جذيمة فأُدخل على الزباء فاستقبلته وقد كشفت عن فرجها ، فإذا هى قد ضفرت الشَّعر عليه ، فقالت : يا جذيم أشَوارَ [4] عروس ترى ؟ قال : لا بل أرى شوار أمة لكعاء غير ذات خَفَر ، ثم قال ؟ بلغ المدى وجفَّ الثرى وأمْرَ غَدْرٍ أرى ، قالت : والله ما ذلك من عدم مَواسٍ ، ولا قلة أواسٍ ولكنها شيمة من أناس ، ثم قالت لجواريها : خذن بعَضُد سيّدكن ، ففعلن ، ثم دعت بنِطْعٍ فأجلسنه عليه ، وأمرت بِرَوَاهشه فقُطعت فى طَسْتٍ من ذهب ليَسيل دمه فيه ، وقالت له : يا جذيم لا تُضيعَنَّ من دمك شيئا فإنى أريده للخَبْلِ . فقال لها : وما يَحزُنك من دم أضاعه أهله ؟ وإنما أرادت بذلك أنّ

---

(١) الضح : الشمس وضوء الشمس والبراز من الأرض . والكن : البيت .

(٢) فى مجمع الأمثال : ويل امه حزما على متن العصا .

(٣) فى مجمع الأمثال : ثم نفقت . يعنى ماتت . انظر الخاء « خطب يسير فى خطب كبير » .

(٤) الشوار : المنظر والزينة .

كاهنا قال لها : إن نقط من دمه شيء فى غير الطست أدرك بثأره ، فلم يزل دمه يجرى فى الطست حتى ضعف ، فتحرك فنقطت من دمه نقطة على أُسْطُوانة، رخامٍ ومات ، قال : والعرب تتحدث أن فى دماء الملوك شفاء من الخبل قال المتلمس :

من الدارميِّين الذين دماؤُهُمْ شفاء من الداء المُجِنَّةِ والخبْلِ

قال وجمعت دمه فى بَرْنية ، وجعلته فى خزانتها ، ومضى قصير إلى عمرو بن عبد الحرّ التَّنوخى ، فقال له : اطلب بدم ابن عمك وإلا سبَّتك به العرب ، فلم يحفل بذلك ، فخرج قصير إلى عمرو بن عَدىّ ابنِ أخت جذيمة فقال : هل لك فى أن أصرف الجنود إليك على أن تطلب بثأر خالك ؟ فجعل ذلك له ، فأتى القادة و الأعلام فقال لهم : أنتم القادة والرؤساء وعندنا الأموال والكنوز ، فانصرف إليه منهم بَشَرٌ كثير فالتقى بعمرو التنوخىّ ، فلما خافوا القتال تابعه التنوخىُّ وَمُلِّك عمرُو بنُ عدىّ ، فقال له قصير : انظر ما وعدتنى فى الزّباء ، فقال : وكيف وهى أمنع من عُقابِ الجوّ ؟ فقال : أمَّا إذا أبيت فإنى جادع أنفى وأذنى ومحتال لقتلها فأعِنّى وخلاكَ ذَمٌّ ، فقال له عمرو : أنت أبْصَر ، فجدع قصير أنفه ثم انطلق حتى دخل على الزباء فقالت : من أنت ؟ قال : أنا قصير ، لا وربِّ البشرِ ما كان على ظهرِ الأرضِ أحدٌ كان أنصحَ لجذيمة منى ولا أَغشّ لك حتى جدع عمرُو بنُ عدىّ أنفى وأذنى ، فعرفتُ أنى لن أكون مع أحدٍ أثقلَ عليه منك ، فقالت : أىْ قصير ، نقبل ذلك منك ونُصَرِّفك فى بضاعتنا . وأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيتَ مالِ الحيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو وما ظن أنه يرضيها ، وانصرف إليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ، ولم يزل حتى أنست به فقال لها يوما : إنه ليس من مَلِك ولاملكة إلا وقد ينبغى له أن يتخذ نفقا يهرب إليه عند حدوث حادثة يخافها ، فقالت : أمَا إنى قد فعلت واتخذتُ نفقا تحت سريرى هذا يخرج إلى نفقٍ تحت سرير أختى ، وأرته إياه ، فأظهر لها سرورا بذلك ، وخرج فى تجارته كما كان يفعل وعرَّف عمرَو بن عدى ما فعله ، فركب عمرٌو فى ألْفىْ دَارِعٍ على ألف بعير فى الجوَاليق ، حتى إذا صاروا إليها تقدم قصير فسبق الإبل ودخل على الزباء فقال لها : اصعدى حائط مدينتك فانظرى إلى مالِك ، وتقدمى إلى بوّابك فلا

يعرض لشيء من أعكامنا ١ فإنى قد جئت بمال صامت، وقد كانت أمِنَتْه فلم تكن تتهمه ولا تخافه، فصعدت كما أمرها، فلما نظرت إلى ثقل مشى الجمال قالت، وقيل: إنه مصنوع منسوب إليها:

ما لِلجمالِ مشيُها وئيدا أجَنْدلاً يحمِلْنَ أم حديدا
أم صرَفانا باردا شديدا أم الرِّجال جُثَّما قُعُودا

فلما دخل آخر الجمال نخس البواب عِكْما من الأعكام بِمِنْخَسة معه فأصابت خاصرة رجل فضرط، فقال البواب: شرّا واللهِ عكمتم فى الجواليق، فثاروا بأهل المدينة ضربا بالسيف [ودخلوا عليها قصرها فهربت تريد السَّرَب ٢ فوجدت قصيرا قائما عنده بالسيف] فانصرفت راجعة فاستقبلها عمرو بن عدى فضربها فقتلها، وقيل: بل مصَّت خاتَمها وقالت: بيدى لا بيد عمرو، وأُخربت المدينة وسبيت الذرارى وغنم عمرٌو كلَّ شيء كان لها ولأبيها وأختها.

وقالت الشعراء تذكر ذلك وما كان من قصير فى مَشورته على جذيمة وفى جدعه أنفه فأكثرت، قال عدىّ بن زيد:

ألا يا أيها المُثرِى المُرَجَّى ألم تسمعْ بِخَطْبِ الأوَّلينا
دعا بِالبَقَّةِ الأمراءَ يوما جَذيمةُ عَصْرَ يَنْجُوهُم ثُبينا ٣
فطاوع أمرهم وعصى قَصيرا وكان يقول - لو نفع - اليقينا

وهى طويلة، وقال المتلمِّس يذكر جدع قصير أنفه:

ومن حذر الأيام ما جزَّ أنفه قصيرٌ وخاض الموت بالسَّيفِ بيهس ٤

وفى هذا المعنى: أشعار كثيرة يطول ذكرها. وكان جذيمة الملك شاعرا، وإنما

(١) الأعكام: جمع عكم، وهو العدل أو ما شد وجمع من ثوب أو سواه.

(٢) السرب: الحفير تحت الأرض، أى النفق.

(٣) ينجوهم: يسارهم بما فى فؤاده من الأسرار والعواطف. وثبين جمع ثبة وهى العصبة من الفرسان.

(٤) انظر قصة بيهس فى الخزانة ج ٣ ص ٢٧٣ وكيف أخذ بثأره. ورواية البيت فى الخزانة نقلا عن الحماسة: ومن طلب الأوتار ما جز أنفه قصير ورام الموت بالسيف بيهس

قيل له الأبرش والوضّاح لبرَص كان به ، وكان يُعظّم أن يُسمى بذلك. فجُعل مكانه الأبرش والوَضّاح ، وهو الذى يقول :

والملك كان لذى نُـــوَا س حوله تَرْدِى يُحابِـــرْ[1]
بالســـابغات وبالقنـــا والبيض تَبرُق والمغـــافِرْ
أزْمانَ لاملِـــكٌ يُجيـ ـر ولا ذِمامَ لمن يُجـــاوِرْ
[أزْمانَ عِمْــــرَانٌ وفيهـ ـمْ مِنْهمُ بادٍ [و]حاضِرْ]
أودى بهم غِيَرُ الـــزما نِ فمُنْجِـــدٌ منهم وغائِرْ

وهو الذى يقول :

ربما أوْفيتُ فى عَـــلَمٍ تَرْفعنْ ثوبى شمالاتُ[2]
فى شـــبابٍ أنا رابئُهم هم لَدَى العَوْرَةِ [3] صُمَّاتُ
ليت شعرى ما أطـــاف بهم نحن أدْلجنا وهمْ باتـــوا
ثم أُبْنا غانمِـــين وكَم من أناس قبلنـــا ماتـــوا

فيه غناء يقال : إنه لسِنان ويقال : إنه لمَعبد ولم يَصِحّ .

صوت

فى كفه خَيْزُرانٌ رِيحُه عَبِقٌ من كفّ أرْوَعَ فى عِرْنينِه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مهابته فما يُكلَّم إلاّ حين يَبْتَسِمُ

الشعر للحزَين بن سليمان الدِّيلى ، والغناء لإسحاق ثانى ثقيل بالبنصر عن حبش ، وفيه لعَريب رَمَلٌ عملته على لحن ابن سُرَيج :

[أقفرَتَ الأطلالُ والقاعُ]

(١) تردى : تجعل خيلها ترجم الأرض بحوافرها ، ويحابر اسم أبى قبيلة من اليمن تنسب إليه، وهو مراد .
(٢) شمالات جمع شمال ، وهى الريح . وانظر الخزانة ٤ / ٥٦٧ وهامشها ٣ / ٣٤٤ . وفى مخطوط: ترفع الأثواب شملات .
(٣) رابئهم : طليعة لهم . وصمات جمع صامت .

أخبار الحزين ونسبه

ذكر الواقدى أنه من كِنانة وأنه صَليبة، وأن الحَزين لقب غلب عليه، وأن اسمه عمرو بن [1] عُبيد بن وُهيب بن مالك — ويُكنى [مالك] أبا الشعثاء — ابن حُريث بن جابر بن بكر [2] وهو راعى الشمس الأكبر بن يَعْمُر بن عدىّ ابن الدّيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

أخبرنى بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عن الواقدى .

قال : وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن الحزين مولى وأنه الحزين بن سليمان، ويُكنى سليمانُ أبا الشَّعثاء ، ويُكنى الحزين أبا الحكم ، من شعراء الدولة الأموية حجازىّ مطبوع ليس من فحول طبقته ، وكان هجّاءً خبيث اللسان ساقطا يُرْضيه اليسير ، ويتكسب بالشرّ وهجاء الناسِ ، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ، ولا كان يَرِيم الحجازَ حتى مات .

وهذا الشعر يقوله الحزين فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان. وكان عبدُ الله من فتيان بنى أمية وظرفائهم . وكان حسنَ الوجه حسن المذهب ، وأمُّه أمّ ولد ، وزوجةُ عبد الله ريطةُ بنت عبيد الله [3] بن عبد الله ، وعبد الله هو عبد الحجر ابن عبد المَدَان بن الرّيان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن عمرو ، وزوجته هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصىّ ؛ تزوجها لما كان يقال :

---

(١) فى المؤتلف والمختلف اسمه : عمرو بن عبد وهيب بن مالك بن حريث بن جابر بن راعى الشمس الأكبر بن يعمر بن عبد بن عدى بن الديل .

(٢) فى مخطوط : بحر .

(٣) فى المطبوع : رملة بنت عبد الله . . . بن الريان بن قطر . والتصويب من المخطوط وجمهرة أنساب العرب ص ١٨ ، ومن الطبرى حوادث سنة ١٣٦ .

إنه كائن[1] فى أولادهما فمات عنهما ولم يلدا له. فخلف محمد بن على بن عبد الله بن العباس على [ريطة فولدت له أبا العباس السفاح، وخلف عبد الله بن حسن بن حسن على هند] فولدت له محمدا وإبراهيم وموسى وبنات.

أخبرنى بذلك عمر بن عبد الله بن جميل العتكى. وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى، ويحيى بن على بن يحيى قالوا: حدثنا عمر بن شبة، عن ابن داحة وغيره وأخبرنى به الطوسى والحرمى عن الزبير بن بكار، عن عمه.

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنى عمى:

أن عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه: سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة، وهو ذَرِبُ اللسان، فإياك أن تحتجب عنه وأرْضِه. وَصِفَتُه أنه أشْعَرُ ذو بطن، عظيم الأنف، فلما قَدِم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه، وقال له: إياك أن تردّه، فلم يأت الحزين حتى قام [فدخل] لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفع. فلمّا ولّى ذَكَر فلحقه فقال: ارجع، فاستأذن له فدخل فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفى يده قضيب خيزران وقف ساكنا، فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له: السلام عليك ورحمة الله أوّلاً. فقال: عليك السلام وحيّاً الله وجهك أيها الأمير، إنى قد كنت مدحتك بشعر، فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأُنسيتُ ما كنتُ قلتُه، وقد قلتُ فى مقامى هذا بيتين، فقال: ما هما؟ قال:

فى كفّه خيزرانٌ ريحها عَبِقٌ ... من كفّ أروعَ فى عِرْنِينه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يُكَلَّم إلاّ حين يَبتسمُ

فأجازه، فقال: أخْدِمْنى أصلحك الله فإنه لاخادم لى، فقال: اختر أحد هذين الغلامين، فأخذ أحدهما، فقال له عبد الله أغْلَيْنا بردك[2] خذ الآخر.

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها علىّ بن الحسين عليهما السلام التى أولها:

(١) يريد أنه يكون فى نسلهما من يلى الخلافة.

(٢) فى المطبوع: أعلينا تَرذل خذ الأكبر، أما المخطوط ففيه: خذ الآخر، وكلمة تَرذل غير منقوطة به، وسياق الكلام يفهم أنه كان معه شمحا كريما لم يقتصر على إعطائه واحدا، وبخاصة أنه أكثر من مدحه.

هذا الذى تَعرف البطحاءُ وطأته والبيتُ يعرفه والِحلُّ والحَرَمُ

وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح بمثلهما علىّ بن الحسين عليهما السلام [لأنهما من نعوت الجبابرة والملوك ، وليس كذلك ولا هذا من صفته] وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

على بن الحسين :

حدثنى [محمد بن محمدبن سليمان] الباغَنْدىُّ قال : حدثنى محمد بن أبى عمر العَدَنىّ قال : حدثنى سفيان بن عيينة .

عن الزهرى قال :

ما رأيت هاشميا أفضل من علىّ بن الحسين .

حدثنى محمد قال : حدثنا يوسف بن موسى القطّان قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، قال :

كان على بن الحسين يُبَخَّل ، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة .

حدثنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن نفيس قال : حدثنا ميمون قال : حدثنا سفيان عن أبى حمزة الثمالىّ قال :

كان على بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره فيتصدق به ويقول : إن صدقة الليل تُطفىء غضب الرب تبارك وتعالى .

حدثنى أبو عُبيد الصيرفى قال : حدثنا الفضل بن الحسن المصرى قال : حدثنا أحمد بن سليمان قال : حدثنا ابن عائشة قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن جُويرية بن أسماء ، عن نافع قال :

قال على بن الحسين : ما أكلت بِقَرابتى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا قط .

حدثنى الحسن بن على قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنى

إسحاق بن موسى الأنصارى قال : حدثنا يونس بن بُكير ، عن محمد بن إسحاق قال :

كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يدرون من أين معاشهم ، فلما مات على ابن الحسين عليهما السلام فقدوا ما كانوا يُؤتون به بالليل .

وأما الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين وخبره فيها فحدثنى أحمد ابن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالا : حدثنا محمد بن زكريا الغلابىّ قال : حدثنا ابن عائشة قال :

حجّ هِشام بن عبد الملك فى خلافة الوليد أخيه ومعه رؤساء أهل الشام ، فجَهَد أن يستلم الحجر فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنُصِب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل علىّ بن الحسين وهو أحسن الناس وجها وأنظفهم ثَوْبا وأطيبهم رائحة فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحَّى الناس كلهم وأخْلَوا له الحجر ليستلمه هيبة وإجلالا له ، فغاظ ذلك هشاما وبَلَغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفا ، ولكنه خاف أن يَرْغب فيه أهلُ الشام ويسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضرا : أنا أعرفه فَسَلْنى يا شامىّ ، قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحَرَمُ
هذا ابنُ خير عباد الله كلِّهِمُ ... هذا التقىُّ النَّقىُّ الطاهِرُ العلَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا يَنْتهى الكرمْ
يكاد يُمْسِكُه عِرْفانَ راحتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جاء يستْلم
فليس قولُكَ من هذا بضائره ... العُرْبُ تَعرف من أنكرتَ والعجم
أىُّ الخلائق ليستْ فى رقابِهِمُ ... لأوَّلِيَّةِ هذا أوْ لهُ نِعَمُ
مَنْ يعرفِ اللهَ يَعْرفْ أوَّلِيَّةَ ذا ... فالدِّينُ من بيت هذا نالَهُ الأُمَمُ

فحبسه هشام فقال الفرزدق :

أيحبسنى بين المدينة والتى ... إليها قلوبُ الناس يَهْوِى مُنيبُها

يُقَلِّبُ رأسا لم يكن رأسَ سيّدٍ وعيناً له حَوْلاءَ بادٍ عيُوبُها

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجّه إليه علىّ بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال: اعذر يا أبا فِرَاس فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به، فردها وقال: ما قلت ما كان إلا لله عزوجل وما كنت لأرزأ عليه شيئا، فقال له على بن الحسين: قد رأى الله تبارك وتعالى مكانك فشكر لك ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئا لم نرجع فيه. وأقسم عليه فقبلها.

ومن الناس أيضا من يروى هذه الأبيات لداود بن سلْم فى قُثَم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه، فمن رواها لداود بن سلم فى قثم ولخالد بن يزيد فيه فهى فى روايته:

كم صارخٍ بِكَ من راجٍ وراجيةٍ يرجوك يا قُثَمَ الخيرات يا قُثَمُ
أى العمائر ليست فى رقابهمُ لأَوَّلِيَّةِ هــذا أو لهُ نِعَمُ
فى كفّه خيزرانٌ ريحها عَبِقٌ من كفّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغْضِى حياءً ويُغْضَى من مهابته فما يُكلَّم إلاّ حين يَبتسمُ

وممن ذكر لنا ذلك محمد بن يحيى الصولى، عن الغلابى عن مَهدىّ بن سابق.

أن داود بن سلم قال هذه الأربعة الأبيات [فى قثم بن العباس وذكر أن الفرزدق أدخل هذه الأبيات] سوى البيت الأول فى شعره فى على بن الحسين عليه السلام، وذكر الرياشىّ عن الأصمعىّ أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقُثَم فناداه وقال:

يكادُ يُمسكه عِرْفانَ راحتــه ركنُ الحطيم إذا ما جاء يَستلمُ
كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ فى الناس ياقُثَمَ الخيرات ياقُثَمُ

فأمر له بجائزة سنيّة.

والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك، وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات. وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى متشابهة تنبىء عن نفسها وهى:

الله يعلم أنْ قد جُبْتُ ذا يَمَنٍ ... ثم العِراقَين لا يَثْنِينِىَ السَّأَمُ
ثم الجـزيرةَ أعـلاها وأسفَلَها ... كذاك تَسْرِى على الأهوال بى القَدَمُ
ثم المـواسم قد أوْطَنْتُهـا زمنا ... وحيث تُحْلَق عند الجمرة اللِّمَمُ
قالوا دمشقُ يُنَبِّيك الخبيرُ بهـا ... ثم ائْتِ مِصْرَ فثَمَّ النائِل العَمَمُ
لما وقفتُ عليها فى الجمـوع ضُحى ... وقد تعرَّضتِ الحُجَّابُ والخدَمُ
حيَّيْتُه بسلامٍ وهو مُرْتَفِقٌ ... وضجَّةُ القومِ عند الباب تزدحمُ
فى كفّه خيزرانٌ ريحها عبِقٌ ... من كفّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغْضِى حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يُكلَّم إلاّ حين يبتسِمُ
ترى رؤوس بنى مروان خاضعةً ... يمشون حَوْلَ رِكابَيْهِ وما ظلمُوا
إن هشَّ هشّوا له واستبشروا جذَلا ... وإن هُمُ آنسوا إعْراضَه وجَمُوا
كِلتا يديه ربيعٌ عند ذى خُلُفٍ ... فتلك بحْرٌ وهذى عارضٌ هزِمٌ[1]

ومن الناس من يقول : إن الحزين قالها فى عبد العزيز بن مروان لذكره دمشق ومصر . وقد كان ثَمَّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضا فى مصر، والحزينُ بها .

حدثنى الحرمىّ قال : حدثنا الزبيرىُّ قال : حدثنى محمد بن يحيى أبو غسان، عن عبد العزيز بن عمر أنَّ الزُّهرىَّ قال :

وفد الحزين على عبد الله بن عبد الملك [وهو عامل مصر فأُتى برقيق من البربر والحزين عنده] وفى الرقيق أخوان ، فقال عبد الله للحزين . أىُّ الرقيق أعجبُ إليك ؟ قال : لِيَختَرْ لى الأمير ، قال عبد الله : قد رضيت لك هذا ، لأحدهما فإنى رأيته حسن الصلاة قال الحزين : لا حاجة لى به فأعطِنى أخاه ، فأعطاه إياه ، قال : والغلامان ، مُزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز [وهو الذى أعجب عبد الله من صلاته وأهداه لعمر بن عبد العزيز] وتميمُ أبو محمد بن تميم ، وهو الذى اختاره الحزينُ . قال : فقال فى عبد الله يمدحه .

* الله يعلم أنْ قد جُبتُ ذا يمن *

(١) الخلف جمع خليف ، وهو المتخلف عن الميعاد . ويراد هنا المطر الذى يتخلف والعارض الهزم : المطر الذى يندفع ولا يستمسك .

وذكر القصيدة بطولها على هذه السبيل .

أخبرنى وكيعٌ عن محمد بن على بن حمزة العلوىّ قال : حدثنى أبو غسان دماذٌ عن أبى عبيدة قال :

كان على المدينة طائفٌ يقال له صَفْوَانُ مولى لآل مَخْرَمة بن نوفل ، فجاء الحزين الدّيلى إلى شيخ من أهل المدينة فاستعار حماره ، وذهب إلى العقيق فشرب وأقبل على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمار حتّى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبه عوّده إياه ، فمر به صفوان فأخذه وحبسه وحبس الحمار فأصبح والحمار محبوسٌ معه فأنشأ يقول :

أيا أهلَ المدينةِ خبّرُونى ... بأىّ جريرةٍ حُبِسَ الحِمارُ
فما لِلعَيْرِ من جُرْمٍ إليكم ... وما بالعَيْرِ إنْ ظَلِمَ انْتِصَارُ

فردّوا الحمار على صاحبه وضربوا الحزين الحدّ ، فأقبل إلى مولى صفوانَ وهو فى المسجد فقال :

نَشَدْتُك بالرُّكن الذى طِيف حوله ... وزمزمَ والبيتِ الحرام المحجّبِ
لِزَانيةٍ صفوانُ أمْ لِعفيفةٍ ... لأعلمَ ما آتى وما أتجنّبُ

فقال مولاه : هو لزانية ، فخرج وهو ينادى : إن صفوان ابنٌ لزانية ، فتعلق به صفوان ، فقال : هذا مولاك يشهد أنك ابنُ زانية ، فخلى عنه .

وقال محمد بن على بن حمزة ، وأخبرنى الرياشى عن العتبى :

أنّ ابنَ عمّ للحزين استشاره فى امرأة يتزوجها فقال له : إن لها إخوة مشائيم ، وقد ردوا عنها غير واحد وأخشى أن يردُوك فتَنْطَلِقَ عليك ألسنا كانت عنك خُرْسا ، فخطبها ولم يقبل منه فردوه ، فقال الحزين :

نهيتُك عن أمرٍ فلم تقبل النُّهى ... وحذّرتك القومَ الغُواةَ الأشائما
فصرتَ إلى ما لم أكنْ منه آمنا ... وأشمتَّ أعدائى وأنطقتَ لائما
وما بِهِمُ من رغبة عنك قُلْ لهم ... فإنْ تسألونى تسألوا بىَ عالما

نسخت من كتابِ لعلى بن محمد البسّامىّ [حدثنى أبو محلم ولم يتجاوزه . وأخبرنى عيسى ابن لحسن قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى] عمر بن سلام مولى عمر الجعاب :

أن الحزين الديلى خرج مع ابنٍ لسُهيل بن عبد الرحمن بن عوف إلى متنزه لهم ، فسكر الحزين وانصرف ، فبات فى الطريق وسُلِب ثيابه ، فأرسل إلى ابن سهيل يخبره الخبر ويَسْتَميحه فلم يُمِحْهُ ، وبلغ الخبرُ سُفيانَ بن عاصم بن عبد العزيز ابن مروان ، فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه وعوّضه من ثيابه ، فقال الحزين فى ذلك :

هلاَّ سُهَيلاً أشبهتَ أو بعض أعمامك يا ذا الخلائقِ الشَّكِسَهْ
ضيَّعتَ نَدْمانَك الكريمَ ولمْ تُشْفِقْ عليه من ليلةٍ نَحِسَهْ
ثم تعالَلْتَ إذا أتاك له صُبْحًا رسولٌ بِعِلَّةٍ طَفِسَهْ[1]
لكنَّ سفيانَ لم يكن وَكَلاً لما أتتْنا صِلاتُه سَلِسَهْ[2]
سَما بهِ مَنْصِبٌ ونَفْسٌ فتى أروعَ ليست كنفسك الدَّنِسَهْ

حدثنى الصولى قال : حدثنا ثعلب قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال :

مرّ الحزين الديلى على مجلس لبنى كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال :

لابارك الله فى كَعْبٍ ومجلسِهمْ ما ذا يُجَمِّعُ من لُؤْمٍ ومن ضَرَعٍ[3]
لايَدْرُسونَ كتابَ الله بينهمُ ولايصومون من حِرْصٍ على الشِّبَعِ

فوثب إليه مشايخهم فاعتذروا إليه وسألوه الكفَّ وأن لايزيد شيئا على ما قاله ، فأجابهم وانصرف .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير قال : حدثنا عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال : حدثنى عبد الله بن أبى عبيدة قال :

كان الحزين قد ضَرَبَ على كلّ رجل من قريش درهمين درهمين فى كل شهر ، منهم ابن أبى عتيق ، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعجف ، قال : وكُثَيِّر

(١) طفسة : قذرة .
(٢) الوكل ، بفتح الكاف : الضعيف غير النافذ
(٣) الضرع : التذلل والضعف والخضوع .

مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين : من هذا معك ؟ قال : هذا أبو صَخْرٍ كُثَيِّر بن أبي جمعة ، قال : وكان قصيرًا دَمِيمًا ، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهجوه ببيت من شعر ؟ قال : لا لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكن أشترى عِرْضه منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما ، فأخذهما ثم قال : لابد لى من هجائه ببيت ، قال : أو أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما ، فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال : أو أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين . فقال له كُثَير: ائذنْ له ، وماعسى أن يقول فىّ ؟ فأذن له ابن أبي عتيق فقال :

قصيرُ القميص فاحِشٌ عند بيته ... يعضُّ القُرادُ باسْته وهو قائمُ

فوثب كثير إليه فوكزَه فسقط هو و الحمار ، وخلَّص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير : قبحك الله ، أتأذن له وتبسط إليه يدك ؟ قال كثير : وأنا ظننته يبلغ فىّ هذا كلَّه فى بيت واحد ؟ ولكثير مع الحزين أخبار أُخر قد ذُكرت فى أخبار كثير .

أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى عمى ، عن الضحاك بن عثمان قال :

حدثنى ابنُ عُرْوَة بن أُذَينة قال : كان الحزين صديقا لأبى وعشيرا على النبيذ ، وكان كثيرا ما يأتيه ، وكانت تألفهم بالمدينة قينةٌ يهواها الحزين ويُكثر غشيانها ، فبيعت وأخرجت عن المدينة ، فأتى الحزين أبى وهو كئيب حزين كاسْمِه ، فقال له أبى : مالكَ يا أبا حكيم ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كُثَيِّر :

لَعَمرى لئنْ كان الفؤادُ من الهوى ... بَغَى سقما إنى إذًا لسقيمُ

سألت حكيما أين شطَّتْ بها النَّوَى ... فخبرَّنى مالا أُحِبُّ حكيمُ

فقال له أبى : أنت مجنون إن أقمتَ على هذا .

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مُصعب قال:

مرّ الحزين الكناني بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث وعليه أطمار فقال له: يا ابن أبي الشعثاء، إلى أين أصبحت غاديا؟ قال: أمتع الله بك، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّة يريد الحجّ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصر فأحسن إليّ، قال: أفما وجدت شيئا تلبسه غير هذه الثياب؟ قال: قد استعرت من أهل المدينة فلم يُعرني أحد منهم شيئا ألبسه غير هذه الثياب، فدعا جعفر غلاما له، فقال: ائتني بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك فقال البَسْ وأبلِ وأخلِق، فلما ولّى الحزين قال جلساء جعفر له: ما صنعت؟ إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته إياها فيبيعها ويُفسد بثمنها، قال: ما أبالي إذ كافأته بثيابه[1] ما صنع بها، فسمع الحزين قولهم وما ردّ عليهم، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك فأحسن إليه وكساه، فلما أصبح الحزين أتى جعفرا ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده:

وما زال يَنْمي جعفرُ بنُ محمدٍ ... إلى المجد حتى عَبَّهلتْه عواذلُه[2]

وقُلْنَ له هل من طريفٍ وتالدٍ ... من المال إلاّ أنت في الحقّ باذِلُه

يُحاوِلْنَه عن شيمةٍ قد علِمْنها ... وفي نفسه أمرٌ كريمٌ يُحاوِلُه

ثم قال له بأبي أنت وأمي، قد سمعتُ ما قالوا وما رددتَ عليهم.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد ابن الضحاك، عن أبيه قال:

صحب الحزين رجلا من بني عامر بن لؤيّ يلقب أبا بَعْرة، وكان استُعْمِل على سعاياتٍ[3] فلم يصنع إليه خيرا، وكان قد صحب قبله عمْرَو بنَ مساحق — أخا نوفل بن مساحق — وسعدَ بن نوفلٍ فأحْمَدَهما فقال له:

صَحِبْتُكَ عاما بعد سعدِ بن نوفلٍ ... وعمْرٍو فما أشبهت سعْدًا ولا عمْرَا

وجادا كما قصّرت في طَلَبِ العُلا ... فحُزْتَ به ذمًّا وحازا به شُكْرَا

(١) في مخطوط: بثنائه. (٢) عبهلته: عاتبته. وفي مخطوط: حتى جهلته.

(٣) السعايات: مباشرة عمل الصدقات.

قال : وأبو بعرة هذا هو الذى كان يعبث بجارية لابن أبى عتيق فشكته إليه فأمرها ابن أبى عتيق أن تحتال عليه حتى تحصله فى بيت فى داره ففعلت ، وكان ابن أبى عتيق وشيخ من نظرائه جالسين فى حَجَلَة [١] فلما رآهما قال : أُقسم بالله ما اجتمعتما إلاّ على ريبة ، فقال له ابن أبى عتيق : استرْ علينا ستر الله عليك .

قال : وآل أبى بَعْرة هم موالى آل أبى سُمير ، قال : فلما وَلِىَ المهدىُّ باعو ولاءهم منه .

قال الزبير : وأنشدنى عمِّى تمامَ الأبيات التى هجا بها أبا بعرة وسمّاه لى ، قال : كان اسمه عيسى وهى :

أُولاكَ الجِعادُ البيض من آل مالك ... وأنتم بنو قَيْنٍ لحقتم به نَزْرَا

نصب نَزْرا على الحال كأنه قال : لحقتم به نِزَارًا قليلا من الرجال : [٢]

نُسَوِّفُ بِبَيْعُورًا أمـيرا كأنما ... نَسُوقُ به فى كلِّ مَجْمَعَةٍ زَبْرًا[٣]

فإن يكن البيعور ذمَّ رفيقُـــه ... قِراه فقد كانتْ إمارتُه نُكْرَا

ومُتَّبِع البيعور يرجو نَوالـــهُ ... فقد زاده البيعور فى فقره فقرا

أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى صالح ، عن عامر بن صالح قال :

مدح الحزين ُعمْرَو بنَ عمرو بن الزبير فلم يعطه شيئا .

وأخبرنى بهذا الخبر عمى تامًّا واللفظ له ، ولم يذكر الزبير منه إلا يسيرا قال : حدثنا الكُرانىُّ قال : حدثنى العمرىُّ قال : حدثنى عطاء بن مصعب ، عن عاصم ابن الحدثان قال :

دخل الحزينُ على عمرِو بن عمرِو بنِ الزبير بن العوام منزله فامتدحه وسأله حاجة ، فقال له : ليس إلى ما تطلب سبيل ، ولانقدر على أن نملأ الناسَ معاذير

(١) الحجلة : ستر يضرب للعروس فى جوف البيت . وبيت يزين للعروس .

(٢) هذه الجملة كلها غير موجودة فى مخطوط ، ولعلها من إضافات النساخ والمطلعين عليه قديما .

(٣) نسوفه نحكمه يصنع ما يشاء والزبر : الحجارة . أو الزجر والمنع . وفى مخطوط : نسوف ل نسوق .

وما كلّ من سألنا حاجة استحقّ أن نقضيها ، ولربّ مُستحِقّ حاجة قدمنعناه إياها . فقال له الحزين : أفمن المستحقين أنا ؟ قال : لا والله ، وكيف تكون مستحقا لشيء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمُعضلات ؟ إنما المستحق من كفّ أذاه ، وبذل نداه ، وأرغم أعداه . قال له الحزين : أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو أين تبعِدُنى لاأم لك من هذه المنزلةِ وأفضلَ منها ؟ فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول :

حلفتُ وما صبرتُ على يمين ... ولو أُدعى إلى أيمان صَبْرِ [1]

بربّ الراقصات بِشِعْبِ قومٍ ... يُوافون الجمار لِصُبْحِ عَشْرِ

لو ان اللؤمَ كان مع الثُّرَيّا ... لكان حليفَه عمرُو بن عَمْرِو

ولو أنى عرفت بأن عمرا ... حليفَ اللؤمِ ماضيَّعتُ شِعرِى

قال العمرى : وحدثنى لقيط أن الحزين قال فيه أيضا يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم وجاءه فشكا إليه عمرًا فوصله وأحسن إليه قال :

إذا لم يكن للمرء فضلٌ يَزِينُه ... سوى ما ادّعى يوما فليس له فضلُ

وتلقى الفتى ضخما جميلا رُوَاؤه ... يَرُوعك فى النادى وليس له عقل

وآخر تنبو العين عنه مُهذَّبٌ ... يجود إذاما الضخم نَهْنَهَهُ البُخْلُ

فيا راجيا عمرَو بنَ عمرٍو وسَيْبَه ... أتعرف عمرًا أم أتاه بك الجَهلُ

فإن كنت ذا جهلٍ فقد يخطىء الفتى ... وإن كنتَ ذاحزم إذًا جازتِ النَّبْلُ

جهلتَ ابن عمرٍو فالتمسْ سيبَ غيره ... ودونك مرمًى ليس فى جِدِّه هزْلُ

عليك ابنَ مروانَ الأغرّ محمدًا ... تجدْه كريما لايَطيش له نَبْلُ

قال لقيط : فلما أنشد الحزينُ محمدَ بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : اكفف يا أخا بنى ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمك ، فقال : لا والله ولا بِحُمْرِ النَّعَم وسُودِها لو أُعطيتها ما كففت عنه ، لأنه ما علمتُ كثيرُ الشرّ قليل الخير مُتَسلِّط على صديقه فظّ على أهله .

وخَيْرُ ابنِ عمرٍو بالثُّرَيّا مُعَلّقُ

(١) يمين الصبر : أن يحبسه السلطان على اليمين حتى يحلف بها .

فقال له محمد بن مروان : هذا شعر ، فقال : بعد ساعة يصير شعرا ، ولو شئت لعجَّلتُه ثم قال :

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرٌ لصديقِهِ ... وخيرُ ابنِ عمرو بالثُّرَيَّا مُعلَّقُ
ووجه ابن عمرو باسِرٌ إنْ طلبْتَه ... نوالاً إذا جاد الكريمُ المُوَفَّقُ
فنفْسُ الفتى عمرِو بن عمرٍو إذا غدتْ ... كتائبُ هيجاءِ المنيَّةِ تَبْرَقُ[1]
فلا زال عمرٌو للبلايا دَرِيئَةً ... تُباكره حتى يموت وتَطْرُقُ
يَهِرُّ هَرِيرَ الكلْبِ عمرٌو إذا رأى ... طعاما فما ينفكُّ يَبكى ويَشْهَقُ

قال : فزجره محمد عنه وقال له : أُفٍّ لك فقد أكثرت فى الهجاء وأبلغت فى الشتيمة .

قال العُمرى : وحدثنى عطاء بن مصعب ، عن عبد الله بن الليث الليثى قال : قال الحزين الديلى يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير :

لعمرُك ماعمْرو بنُ عمرٍو بماجِدٍ ... ولكنه كزُّ اليدَيْنِ بَخِيلُ
ينام عن التقوى ويُوقظه الخنا ... فيَخْبِطُ أثناءَ الظلامِ فَسُولُ[2]
فلا يِشْرَ من عمرٍو لجارٍ ، ولا له ... ذمامٌ ولكنْ للئام وَصُولُ
مواعيدُ عمرو تُرَّهاتٌ ووجهه ... علَى كُلِّ ما قد قلتُ فيه دَلِيلُ
جبانٌ وفحَّاشٌ لئيمٌ مُذَمَّمٌ ... وأكذبُ خلق الله حين يقولُ
كلامُ ابنِ عمْروصُوفَةٌ وسْطَ بلقع ... وكَفُّ ابنِ عمرٍو فى الرِّخال تطُولُ[3]

فبلغ شعرُه عمرًا فقال : ما له لعنه الله ولعن من ولده ، لقد هجانى بِنِيَّةٍ صادقة ولسانٍ صَنَعٍ ذَلِقٍ وما عدانى إلى غيرى ، قال : فلَقى الحزينُ عروةَ بنَ أذينة الليثىَّ فأنشده هذه الأبيات فقال له : ويحك ، بعضُها كان يكفيك ، فقد بنَيتها ولم تُقِمْ أوَدَها ، وداخلتْها وجعلت معانيها فى أكمَامِها ، قال الحزين : ذلك والله أرغب

(١) تبرق : تتحير وتدهش . ولعلها أيضا : تفرق .

(٢) الفسول : مبالغة فى الضعف وعدم المروءة وعدم الجلد . ولم تثبت لفظة فسول فى اللسان ، ولعل الكلمة أيضا محرفة عن : يصول .

(٣) الرخال : جمع رخلة ، وهى الأنثى من أولاد الضأن ، ولعله يكنى بذلك عن النساء .

للناس فيها : فقال له عروة : خير الناس من حلُم عن الجهّال وما أُراه إلاّ قد حلُم عنك ، فقال الحزين : حلُم والله على شاء أو أبى برغمه وصُغْره .

قال العُمرىّ : فحدثنا عطاء ، عن عاصم بن الحدثان قال :

لقى شبَّانٌ من ولد الزبير الحزينَ فتناولوه بألسنتهم وهمّوا بضربه ، فحال بينهم وبينه مُصعب بن الزبير ، فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعة من بنى أسد ابن عبد العزّى سوى بنى مصعب الذين منعوهم منه قال :

لحى اللهُ حيًّا من قُريشٍ تحالفوا ... على البُخْل بالمعروف والجود بالنُّكْرِ
فصاروا لخلق الله فى اللؤم غايةً ... بهم تُضرب الأمثال فى النثْر والشِّعْرِ
فيا عمرُو لو أشبهتَ عَمْرًا ومُصْعبا ... حُمِدْتَ ولكن أنت منقبضُ البِشْرِ
بنى أسدٍ ،سادتْ قريشٌ بجُودها ... مَعَدًا وسادَتْكم مَعَدٌّ مدى الدهرِ
تجودُ قريشٌ بالنَّدى ورضيتُمُ ... بَنى أسدٍ باللؤم والذلّ والغَدْرِ
أعمرُو بنَ عمرٍو لستَ ممَّن تعُدُّه ... قريشٌ إذا ما هاتَرُوا الناس بالفخْرِ
أبتْ لك ياعمرُو بنَ عمرٍو دناءةٌ ... وَخُلُقٌ لئيمٌ أنْ تَريش وأن تَبرِى

أخبرنى الحرمىّ قال : حدثنى الزبير قال : حدثنى محمد بن الضحاك الحزامىّ : قال : حدثنى أبى قال :

كان الحزين سفيها نذلا يمدح بالنزر إذا أعطيته ، ويهجو على مثله ، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه فقال يهجوه بقوله :

سيروا فقد جنَّ الظلامُ عليكُمُ ... فأنت الذى يرجو القِرَى عند عاصمِ
ظَلَلْنا عليه وهو كالتَّيْس طاعِما ... فشدَّ على أكبادِنا بالعمائمِ
وما لىَ من ذنب إليــه علمتُــه ... سوى أننى قد جئتُه غيرَ صائمِ

فقيل له : إن عاصما كثيرا ما تُسمِّى به قريشٌ فقال : أما والله لأُبيِّنَنَّه ثم فقال :

إليك ابنَ عثمانَ بنِ عفّانَ عاصمَ بْـ ... ـنَ عَمْرٍو سرتْ عِيسى فخاب سُراها
فقد صادفتْ كزَّ اليدين مبخَّلاً ... جبانا إذا ما الحربُ شبَّ لظاها
بخيلاً بما فى رَحْلِــه غيرَ أنّه ... إذا ماخلَتْ عِرْسُ الخليل أتاها

أخبرنى الحرمىّ قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى محمد بن الضحاك ، عن أبيه قال :

قال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة قوله :

هلالُ بنُ يحيى غُرَّةٌ لاخفَا بِها ... على الناس فى عُسْرِ الزمانِ ولااليسرِ

وسَعْدُ بنُ إبراهيم ظُفْرٌ مُوَسَّخٌ ... فهل يستريح الناس من وَسَخِ الظفْرِ

يعنى سعدَ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وكان وَلِىَ قضاءَ المدينة من هشام ابن عبد الملك فلم يُعْطِ الحزين شيئا فهجاه .

وقال فيه أيضا :

أتيتُ هلالاً أرتجى فَضْلَ سَيْبِهِ ... فأمْكَنَنى مما أُحِبُّ هلال

هلالُ بنُ يحيى غُرَّةٌ لاخفَا بها ... لكلّ أُناس غُرَّةٌ وهِـلالُ

(١) فى الأصل : فأفلتنى . وهو لا يتفق مع مدحه له . و « أمكنى » سهلة التحريف إلى أفلتنى

[جرير والفرزدق ونبوة السيف]

صوت

أَلم تشهد اَلجَوْنَيْنِ والشِّعْبَ وَالصَّفَا وكرَّاتِ قيسٍ يوم دَيْرِ الجماجِمِ
تُحرِّضُ يابنَ القَيْنِ قيسا ليجعلوا لقومِكَ يوما مثل يوم الأراقمِ
بسيف أبى رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ ضربْتَ ولم تضْرِبْ بسيفِ ابن ظالم
ضربتَ به عند الإمام فأُرْعِشَتْ يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارِمِ

الشعر لجرير ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالبنصر .

قصة للفرزدق :

وهذه الأبيات يقولها جرير يهجو الفرزدق ويعيِّره بضربة ضرَبها بسيفه رجُلا من الروم بحضرة سليمان بن عبد الملك فلم يصنع شيئا .

فحدثنا بخبره فى ذلك محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة الكِندىّ ، وكان شيخا كبيرا ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ثم كان من أصحاب المنصور . قال :

كنت حاضرا سليمان بن عبد الملك .

وأخبرنى على بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدى عن أبى سعيد السُّكرى ، عن محمد بن حبيب عن أبى عبيدة [وعن إبراهيم بن سعيد عن أبيه عن أبى عبيدة] وعن قتادة عن أبى عبيدة [ودِماذ عن أبى عبيدة] فى كتاب النقائض ، عن رُؤْبَةَ بنِ العجَّاج قال :

حجّ سليمان بن عبد الملك ومعه الشعراء وحججتُ معهم ، فمرّ بالمدينة منصرفا

فأُتى بأسرى من الروم نحوٍ من أربعمائة فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن ابن الحسَن بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام ، وعليه ثَوْبان مُمَصَّران وهو أقربهم منه مجلسا ، فأدْنَوْا إليه بِطريقَهم وهو فى جامعةٍ [١] فقال لعبد الله بن الحسَن : قم فاضرب عنقه ، فقام فما أعطاه أحد سيفا حتى دفع إليه حَرَسِىّ سَيْفا له كَليلاً ، فضربه فأبان عنقه وذراعه وأَطَنّ ساعده وبعضَ الغُل ، فقال له سليمان : اجلس فوالله ما ضربته بسيفك ولكن بحسَبك . وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه فيقتلونهم ، حتى دفع إلى جرير رجلا ، فدسَّت إليه بنو عَبْسٍ سيفا قاطعا فى قِرابٍ أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدق أسيرا فدسَّت إليه القَيْسيَّةُ سيفا كليلا ، فضرب به الأسير ضرباتٍ فلم يصنع شيئا ، فضحك سليمان وضحك الناس معه .

هذه رواية أبى عبيدة عن رؤبة ، وأما سليمان بن أبى شيخ فإنه ذكر فى خبره أن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا وقال له : اقتله به ، فقال : لا بل أضربه بسيف مُجاشعٍ ، واخترط سيفه فضربه به فلم يُغْنِ شيئا ، فقال له سليمان أما والله لقد بقى عليك عارُها وشَنارُها ، فقال جرير قصيدته التى يهجوه فيها ومنها الصوت المذكور وأولها قوله :

ألاَ حَىِّ رَبْعَ المنزِلِ المتقادِمِ   وما حُلَّ مذ حلَّتْ به أُمُّ سالمِ

وهى طويلة ، فقال الفرزدق يجيب جريرا :

صوت

فهل ضربةُ الرومىِّ جاعلةٌ لكمْ   أبًا عن كُلَيب أو أبا مثلَ دَارِمِ
كذاك سيوفُ الهندِ تَنبو ظُبَاتُها   وتَقْطَع أحيانا مَناطَ التَّمائِمِ
ولا نَقْتُل الأسرى ولكن نَفُكُّهُمْ   إذا أثقَل الأعناقَ حَمْلُ المغارمِ

ذكر يونس أن فى هذه الأبيات لحنا لابن مُحرز ولم يُجنِّسه .

---

(١) الجامعة : الغل .

وقال يُعَرِّض بسليمان ويُعيِّر نَبْوَةَ سيفِ ورقاءَ بنِ زُهير العَبْسيّ عن خالدِ بنِ جعفر ، وبنو عبس أخوالُ سليمان ، قال :

فإن يك سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أتى بتأخير نفس حَتْفُها غيرُ شاهِدِ
فسيف بنى عَبْسٍ وقد ضربوا به نَبا بيدَىْ ورقاءَ عن رأسِ خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتُها وتَقطع أحيانا مناطَ القلائدِ

ورُوِى هذا الخبر عن عَوانة بن الحَكم قال فيه : إن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين هَبْ لى هذا الأسيرَ ، فوهبه له فأعتقه وقال الأبياتَ التى تقدم ذكرها ، ثم أقبل على رُواته وأصحابه فقال : كأنى بابن المَرَاغة وقد بلغه خبرى فقال :

بسيفِ أبي رَغْوان سيفِ مُجاشع ضربْتَ ولم تضْرب بسيف ابنِ ظالم
ضربتَ به عند الإمامِ فأُرْعِشَتْ يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارِمِ

قال فما لبثنا غيرَ مدّة يسيرة حتى جاءتنا القصيدة وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدثنا محمد بن علىّ بن حمزة العلوىُّ قال : حدثنا أبو عثمان المازنىُّ قال : زعم جَهْمُ بن خلفٍ أن رُؤْبَةَ ابنَ العجاج حدثه فذكر مثلَ هذه القصيدة سوَاء وزاد فيها ، قال : واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهبه له سليمانُ فأعتقه وكساه وقال قصيدته التى يقول فيها :

ولانَقتل الأسرَى ولكن نفكُّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حمْلُ المغارمِ

قال : وقال فى ذلك :

تَباشَرَ يَرْبُوعٌ بِنبوةِ ضَرْبَةٍ ضربتُ بها بين الطُّلا والحدائِدِ [1]
ولو شئْتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه إلى عَلَقٍ بين الحجابين جامِدِ
فإنْ يَنْبُ سيفٌ أو تراخَتْ مَنيّةٌ لميقاتِ نَفْسٍ حَتْفُها غيرُ شاهِدِ

(١) الطلى : جمع الطلية أو الطلاة ، وهى العنق .

فسيفُ بنى عبس وقد ضربوا به نبا بيدَىْ ورقاءَ عن رأس خالدِ

قال : وقال فى ذلك :

أيعجبُ الناسُ أن أضحكتُ سيدَهمْ خليفةَ اللهِ يُستسقى به المطرُ
فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ ولا دَهَشٍ عند الإمام ولكنْ أخّرَ القدرُ
ولو ضربتُ به عَمْداً مُقلَّده لخرَّ جُثمانُه ما فوقه شَعَرُ
وما يُقدِّم نفسا قبل ميتتها جَمعُ اليدينْ ولا الصَّمصامةُ الذكَرُ

[يوم الجونين]

فأمَّا يوم الجَوْنَين الذى ذكره جرير فهو اليوم الذى أغار فيه عُتَيْبةُ بن الحارث ابن شِهاب عَلى بنى كِلاب ، وهو يوم الرَّغام .

أخبرنى بخبره على بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدى عن السُّكَّرى عن ابن حبيب ودِماذ عن أبى عبيدة وعن إبراهيم بن سَعْدان عن أبيه عن أبى عبيدة

أن عتيبة بن الحارث بن شِهاب أغار فى بنى ثعلبة بن يَرْبوع على طوائف من بنى كِلاب يوم الجونين ، فأطْرد إبلهم وكان أنس بن العَبّاس الأصمّ أخو بنى رِعْل من بنى سُلَيم مجاورا فى بنى كِلاب ، وكان بين بنى ثعلبة بن يربوع وبين بنى رِعْل عهد ألاَّ يُسْفَك دَم ولا يُؤكل مال ، فلما سمع الكِلا بيون الدَّعْوَى : يال ثعلبة ، يال عُبَيْد ، يال جعفر ، عرفوهم . فقالوا لأنس بن العباس : قد عرفت ما بين بنى رِعْل وبنى ثعلبة بن يربوع فأدْرِكْهم فاحْبِسْهم علينا حتّى نلحق ، فخرج أنس فى آثارهم حتّى أدركهم ، فلما دنا منهم قال عتيبة بن الحارث لأخيه حَنظلة : أغْنِ عنَّا هذا الفارسَ ، فاستقبله حَنْظلة فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وعَقيدكم [1] ، وكنت فى هؤلاء القوم فأغرتم عَلى إبلى فيما أغرتم عليه فهى معكم ؛ فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقالوا له : حَيَّاك الله ، وهَلُمَّ إلينا فوَالِ إبلك أى اعزِلْها . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخى وأهل بيتى معى ، وقد أمرتهم بالركوب فى أثرى ، وهم أعرف بها منى ، فطلع فوارسُ بنى كلاب ، فاستقبلهم حنظلة بن الحارث فى فوارس ، فقال لهم أنس : إنما هم بنىّ وبنو أخى ، وإنما يُرَبِّثهم [2] لتلحق فوارسُ بنى كلاب ، فلحقوا فحمل الحَوْثَرةُ بن قيس بن جَزْءِ بن خالد ابن جعفر على حنظلة فقتل . وحمل لأْمُ بن سلمة أخو بنى ضَبارِىّ على الحَوْثَرةِ

(١) عقيدكم : معاهدكم .

(٢) يربثهم : يمنعهم ويحبسهم ويثبطهم .

هو وابنُ امرأته[١] أخو بنى عاصم بن عبيد فأسراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صبرًا ، وهُزم الكلابيُّون ومضى بنو ثعلبة بالإبل وفيها إبل أنس ، فلم تُقِرَّ أنسا نَفْسُهُ حتى اتَّبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرَّة ، وهم يسيرون فى شَجْرَاء[٢] ، فتخلَّف عتيبة لقضاء حاجته وأمسك برأس فرسه ، فلم يشعر إلاَّ بأنس قد مرَّ فى آثارهم ، فتقدم حتى وثب عليه فأسره وأتى به عتيبةُ أصحابَهُ فقال له بنو عُبَيد قد عرفت أن لأُمِّ بن سلمة وابن امرأته قد أسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربتَ عنقه فأعْقِبْهما منه أنسَ بن عبَّاس ، فمن قتلتَه خيرٌ من أنس ، فأبى عتيبة أن يفعل ذلك حتى افتدى أنسٌ نفسه بمائتى بعير ، فقال العباس بن مرداس يُعَيِّر عتيبة بن الحارث بفعله :

كَثُرَ الضَّجاجُ وما سمعتُ بغادرٍ ... كعُتيبةَ بنِ الحارث بنِ شِهابِ
جَلَّلْتَ حنظلةَ الخَانَةَ[٣] والخـنا ... ودَنِسْتَ آخرَ هذه الأحقابِ
وأسرتم[٤] أنسا فما حاولْتُمُ ... بإسارِ جارِكُمُ بنى الميقابِ

الميقاب : التى تلد الحمق ، والوَقْب : الأحمق :

بِاسْتِ التى ولدتك وَاسْتِ معاشرٍ ... تركوك تَمْرُسُهُمْ من الأحساب[٥]

فقال عتيبة بن الحارث :

غدرتُمْ غَدْرةً وغدرْتُ أُخرى ... فليس إلى تَوافِينا سبيلُ
كأنكُمُ الغداةَ بنى كِلابٍ ... تَفاقَدْتُمْ – علىَّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتم ، دعاء عليهم أن يفقد بعضهم بعضا :

صوت

وبالعُقْر دارٌ من جَميلةَ هيَّجت ... سوالِفَ حُبٍّ فى فؤادك مُنْصِبِ

---

(١) فى المطبوع : هو وابنه مذية . وفى النقائض ٤١١ : وابن مزنة ، وكذلك فيما سيأتى .

(٢) الشجراء : الأرض الملتفة الشجر . وفى المطبوع : صحراء . وفى النقائض : سخواء .

(٣) الخانة : الخيانة .

(٤) فى مخطوط : وأجرتم ومثله فى النقائض .

(٥) تمرسهم : تمسحهم . وقبله فى النقائض بيت .

وكنتَ إذا ناءَتْ بها غُرْبةُ النَّوى شديدَ القُوى لم تَدْرِ ما قولُ مِشْغَبِ[١]
كريمةُ حُرِّ الوجهِ لم تَدْعُ هالكا من القومِ هُلْكًا فى غدٍ غيرَ مُعْقَبِ
أسيلةُ مجرى الدمعِ خُمْصانةُ الحشا بَرُودُ الثنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[٢]

العُقْر : منازل لقيس بالعالية ، سوالف : مواضٍ : يقول هيجتْ حُبا قديما قد كان ثم انقطع ، ومُنْصب : ذو نَصَبٍ . ونأتْ وناءَت وبانتْ بمعنى واحد أى بعدت ، ومِشْغَب ذُو شَغَبٍ عليك وخلافٍ فى حبها ، ويروى مَشْعَب أى متعدد يشعبك ويصرفك عنها . وقوله :لم تَدْعُ هالكا أى لم تَنْدُب هالكا هلك فلم يُخْلف غيره ولم يُعْقب ، ومعنى ذلك أنها فى عَدَدٍ وقومٍ يَخْلُف بعضهم بعضا فى المكارم ، لا كمن إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقم أحد منهم مقامه والمُشرعب : الجسيم الطويل . والشَّرْعَبِيُّ : الطويل :

الشعر لطُفَيلٍ الغَنَوِىّ ، والغناء لجميلة ثقيل أول بالوسطى عن الهِشامى ، وذكر حمّاد عن أبيه أنه لها ولم يُجنِّسه ،وروى إسحاق عن أبيه عن سِياط عن يونس أن هذا أحسن صوت صنعته جميلة .

(١) فى المطبوع : ماترك مشغب . وفى ديوانه شرحل بقوله : لم تقبل فيها قول من يشغب فيها وينهاك عنها : أى لم تبال شاغبا .

(٢) برود الثنايا : لذيذة المقبل . وفى مخطوط : بروق الثنايا .

نسب الطفيل الغنوى وأخباره

قال ابن الكلبيّ : هو طُفَيل بن عَوف بن خَلَف[١] بن ضُبَيس بن خلف ابن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جِلاَّن بن غَنْم بن غَنِيّ بن أعْصُر ابن سعد بن قيس بن عَيلان ، ووافقه ابنُ حبيب فى النسب إلا فى خلف بن ضُبيس فإنه لم يذكر خلفا . وقال هو : طفيل بن عوف بن ضبيس . وقال أبو عبيدة اسم غَنِيّ عَمْرٌو ، واسم أعصُر مُنَبِّه وإنما سمى أعصر لقوله :

قالت عُمَيرة ما لرأسك بعد ما … فقدَ الشبابَ أتى بلون مُنْكَرِ

أعُميرَ إنّ أباكِ غيَّرَ رأسَه … مَرُّ الليالى واختلافُ الأعصُرِ

فسمى بذلك .

وطفيل شاعر جاهلىّ من الفحول المعدودين ويكنى أبا قِرَان ، يقال : إنه من أقدم شعراء قيس ، وهو أوصف العرب للخيل .

أخبرنى هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دلف الخُزاعى قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب ابن أخى الأصْمعىّ قال : قال لى عمى :

إنّ رجلا من العرب سمع الناس يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبَصَرَ بها فقال : كان يقال : إن طفيلا الغنوى ركب الخيل ووليها لأهلها ، وإن أبا دُوَاد الإيادىّ ملكها لنفسه ووليها لغيره ، كان يَلِيها للملوك ، وإن النابغة الجَعْدِيّ لما أسلم الناسُ وآمنوا اجتمعوا وتحدّثوا ووصفوا الخيل فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمع وعرف قبل ذلك فى صفة الخيل ، فكان هؤلاء نُعَّاتَ الخيل .

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنى عمى قال :

(١) فى المطبوع : خليف بن ضبيس بن مالك .

كان طفيل أكبرَ من النابغتين وليس فى قيسٍ فحلٌ أقدم من طفيل ، قال : وكان معاوية يقول خلُّوا لى طفيلا وقولوا ما شئتم فى غيره من الشعراء .

أخبرنى عبد الله بن مالك النحوى قال : حدثنا محمد بن حبيب قال :

كان طُفيلٌ الغنوى يسمى طفيلَ الخيْل لكثرة وصفه إياها .

أخبرنى محمد بن الحسين الكندىُّ خطيبُ مسجد القادسيَّة قال : حدثنا الرياشىُّ قال : حدثنا الأصمعىُّ قال :

كان أهل الجاهلية يسمون طفيلا الغنوىَّ المُحَبِّر لِحسْن وصفه الخيل .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال : قال أبوعبيدة . :

طفيلٌ الغنوىُّ والنابغةُ الجَعْدىُّ وأبودُوَاد الإيادىُّ أعلم العرب بالخيل وأوصفهم لها .

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن سعد الكُرانىُّ قال : حدثنا العُمرىُّ ، عن لقيط قال :

قال قُتيبةُ بن مُسلمٍ لأعرابىّ من غَنِىّ قدم عليه من خراسان : أىُّ بيت قالته العرب أعفّ : قال : قول طفيل الغنوى :

ولا أكونُ وِكاءَ الزادِ أحبسُهُ   لقد علمتُ بأنَّ الزادَ مأكولُ

قال : فأى بيتٍ قالته العرب فى الحرب أجودُ ؟ قال : قول طفيل :

يجىءُ إذا قيل اركَبوا لم يقل لهم   ـ عوَاوِيرُ(١) يخشون الرَّدَى ـ أين نركب

قال : فأىّ بيت قالته العرب فى الصبر أجودُ ؟ قال : قول نافع بن خليفةَ الغنوىّ :

ومن خيرِ ما فينا من الأمْر أننــا   متى ما نُوافى مَوْطِنَ الصَّبرِ نصْبرُ

قال : فقال له قتيبة : فما تركتَ لإخوانك باهلةَ ؟ قال : قول صاحبهم :

وإنَّا أناسٌ ما تزَالُ سَــوَامُنا   تَنُوَّرُ نيرانَ العدوّ مَناسِمُه

وليس لنا حىٌّ نُضافُ إليهِمُ   ولكنْ لنا عُودٌ شديدٌ شكائمه

---

(١) عواوير جمع عوار ، « بضم العين وتشديد الواو » ، وهو الجبان .

[حَرامٌ وإن صَلَّيْتَه ووَهَنْتَه تأوّده ما كان فى السيف قائمه[١]]

وهذه القصيدة المذكور فيها الغناء يقولها طفيل فى وقعة أوقعها قومه بطيئٍ فى حرب كانت بينه وبينهم .

وذكر أبو عمرو الشيبانىّ والطُّوسىّ فيما روياه عن الأصمعى وأبى عبيدة أن رجلا من غنِيّ يقال له قيسُ النَّدامىّ وفد على بعض الملوك ، وكان قيسٌ سيدا جوّادا ، فلما حفَل المجلسُ أقبل الملك على من حضره من وفود العرب فقال : لأضعَنَّ تاجى هذا على رأس أكرم رجل من العرب ، فوضعه على رأس قيس ، وأعطاه ما شاء ونادمه مدة ثم أذِن له فى الانصراف إلى بلده . فلما قرب من بلاد طيئٍ خرجوا إليه وهم لايعرفونه فلقوه بِرمَّان[٢] فقتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لأَيادٍ له كانت فيهم فدفنوه برَمَّان وبنوا عليه بيتا ، ثم إن طفيلا جمع جموعا من قيس فأغار على طيئٍ فاستاق من مواشيهم ماشاء ، وقتل منهم قتلى كثيرة ، وكانت هذه الوقعة بين القَنانِ وشرقىّ سَلْمى ، فذلك قول طفيل فى هذه القصيدة :

فذُوقوا كما ذقنا غداة مُحَجَّرٍ من الغيظ فى أكبادنا والتَّحَوُّبِ[٣]
فبالقتل قتلٌ والسَّوَامُ بمثلهِ وبالشَّلِّ شَلٌّ الغائط المُتَصَوِّبِ[٤]

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا الحارث بن محمد ، عن المدائنى ، عن مَسْلمة بن محارب قال :

لما مات محمد بن الحجاج بن يوسف جزع عليه الحجاج جزعا شديدا ودخل الناس عليه يعزونه ويُسَلُّونه وهو لايسلو ولا يزداد إلا جزعا وتفجُّعا ، وكان فيمن دخل عليه رجل كان الحجاج قتل ابنه يوم الزَّاوية[٥] فلما رأى جزعه وقلّة ثباته للمصيبة شمت به وسُرَّ لما ظهر له منه وتمثل بقول طفيل :

---

(١) صليته : لينته . ووهنته : أضعفته . وتأوده : ثقل عليه وشق .

(٢) رمان « بفتح الراء » : جبل فى بلاد طيىء فى غربى سلمى .

(٣) محجر : جبل فى ديار طيىء . والتحوب : التوجع والحزن .

(٤) السوام : الذل . الشل : الطرد والقطع . الغائط : الداخل . والمتصوب : المتسفل : أى قطع السيف الداخل فى الأجساد المتسفل فيها .

(٥) الزاوية موضع بالبصرة كانت به وقعة بين الحجاج وابن الأشعث .

فذوقوا كما ذقنا غداة مُحَجَّرٍ من الغيظ فى أكبادنا والتَّحَوُّبِ

وفى هذه القصيدة يقول طفيل :

ترى العَيْنُ ما تَهْوَى وفيها زيادةٌ من اليُمْنِ إذْ تَبْدُو وملهًى لملعبِ

وبيتٍ تَهُبُّ الريحُ فى حَجَراتِه[١] بأرضٍ فضاءٍ بابه لم يُحَجَّبِ

سَماوَتُه أسمالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وسائره من أتحَمِىٍّ مُعَصَّبِ[٢]

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدثنا الرياشىُّ عن العُتْبىّ ، عن أبيه قال :

قال عبد الملك بن مروان لولده وأهله : أى بَيْت ضربته العرب على عصابة ووصفته أشرف حِواء[٣] وأهلاً وبناءً ، فقالوا فأكثروا ، وتكلم من حضر فأطالوا ، فقال عبد الملك : أكرم بيت وصفته العرب بيت طفيل الذى يقول فيه :

وبيتٍ تَهُبُّ الريح فى حَجَراته بأرض فضاء بابُه لم يُحَجَّبِ

سماوتُهُ أسمالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وصَهْوَتُه من أتحَمِىّ مُعَصَّبِ

وأطنابه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها صدورُ القنا من بادئٍ ومُعَقَّبِ

نصبتُ على قوم تُدِرُّ رِماحُهُمْ عُروقَ الأعادِى من غَرِيرٍ وأشيب

وقال أبو عمرو الشيبانى :

كانت فزارة لقيت بنى أبى بكر بن كِلاب وجيرانهم من مُحارب فأوقعت بهم وقعة عظيمة ثم أدركتهم غَنِىّ فاستنقذتهم ، فلما قتلت طَيِّءٌ قيسَ النَّدامى وقتلت بنو عبس هُرَيْمَ بنَ سِنانِ بنِ عمرو بن يربوع بن طَرِيف بن خَرْشَبَةَ ابن عُبَيد بن سعد بن كعب بن جِلاّن بن غنْم بن غَنِىّ وكان فارسا حسيبا قد ساد ورَأس ، قتله ابن هِدْم العبسىّ طريدُ الملك ، فقال له الملك : كيف قتلته ؟ قال حملتُ عليه فى الكَبَّة وطعنته فى السَّبَّة[٤] حتى خرج الرمح من اللَّبَّة ، وقتل

---

(١) حجراته : نواحيه .

(٢) سماوته : أعلاه . وأسمال : أخلاق . ومحبر من الحبرة . والأتحمى : ضرب من البرود .

(٣) الحواء بكسر الحاء : البيوت المتدانية ، وإذا كان بفتح الحاء فهو بمعنى الصوت .

(٤) الكبة : جماعة الناس والزحمة . والسبة : الاست .

أسماءُ بن واقد بن رُفيد بن رِياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب ابن جِلاّن [وهو من النجوم] وحصنُ بن يربوع بن طَرِيف وأمهم جُنْدُع بنت عمرو بن الأغر بن مالك بن سعد بن عوف ، فاستغاثت غَنِىّ ببنى أبى بكر وبنى محارب فقعدوا عنهم ، فقال طفيل فى ذلك يمُنُّ عليهم بما كان منهم فى نصرهم ويرثى القتلى :

تأوّبنى همّ من الليـل مُنْصِبُ ... وجاء من الأخبار مالا أُكَذِّبُ
تتابَعنَ حتى لم تكنْ لىَ رِيبَــةٌ ... ولم يكُ عمّا خَبَّرُوا مُتَعَقَّبُ
وكان هُرَيمٌ من سِنانٍ خليفــةٌ ... وحِصْنٍ ومن أسماءَ لمّا تَغيَّبوا
ومن قيس الثاوى برِمَّان بَيْتُه ... ويوم حَقِيل فادَ آخرُ مُعْجِبُ[١]
أشمُّ طويلُ الساعدَين كأنــه ... فَنيقُ هِجانٍ فى يديه مُرَكَّبُ[٢]
وبالسَّهْبِ ميمونُ النقيبةِ قولُه ... لملتمس المعروف أهلٌ ومَرْحَبُ[٣]

صوت

كواكبُ دُجْنٍ كلما انقض كوكب ... بدا ـ وانجلتْ عنه الدُّجُنَّةُ ـ كوكبُ

الغناء لسليمان أخى بابُويه ثانى ثقيل عن الهشامىّ ، وهى قصيدة طويلة ذكرت منها هذه الأبيات من أجل الغناء الذى فيها ، ومن مختار مرثيته فيها قوله :

لعَمرى لقد خَلّى ابن جُنْدُعَ ثُلْمَةً[٤] ... ومن أين ـ إنْ لم يَرأبِ اللهُ ـ تُرأَبُ
نَداماىَ أمْسَوْا قد تخلَّيْتُ منهُمُ ... فكيف ألَذُّ الخمرَ أم كيف أشربُ
مضوا سلَفا قَصْدُ السَّبيل عليهمُ ... وصَرْفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ

---

(١) فاد : هلك ومات .

(٢) الفنيق : الجمل الفحل . والهجان : الكريم الخالص .

(٣) السهب : موضع وصفه ياقوت . وفى الديوان : السهب : موضع هلك فيه رجل منهم .

(٤) فى الديوان : ابن جيدع « بفتح الجيم والدال » . وقال فى شرحه : ابن جيدع أمه، وهو صاحب مرباع قيس ، وهو عمرو بن طريف بن خرشبة ديوان طفيل ص « ١٩ » ، وانظر من سبق من الأسماء ، وأمهم جندع .

صوت

فديت من بات يُغَنِّينِى   وبِتُّ أســقيه ويسقينى
ثم اصطبحْنا قهوةً عُتِّقَتْ   من عهد سابور وشَرْوِينِ

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعَة ، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر لاتعرف له صنعة غيره .

نسب محمد بن حمزة بن نصير الوصيف وأخباره

هو محمد بن حمزةَ بنِ نُصيرٍ الوَصيف مولى المنصور ، ويكنى أبا جعفر ويلقّب وجه القَرْعة ، وهو أحد المغنين الحُذّاق الضُّرّاب الرُّواة ، وقد أخذ عن إبراهيم الموصلى وطبقته ، وكان حسن الأداء طيّب الصوت لاعِلّةَ فيه ، إلا أنه كان إذا غنى الهزج خاصة خرج لالسبب يُعْرف إلا لآفة تعرض للحسّ فى جنس من الأجناس فلا يصحُّ له بَتّةً .

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمىّ حدثه :

عن أبيه ، أنه شهد إسحاق بن إبراهيم الموصلى عند عمه هارون بن عيسى وعنده محمد بن الحسن بن مُصعب ، قال : فأتانا محمد بن حمزة وجه القَرْعة فَسُرَّ به عمى ، وكان شَرِس الخُلُقِ أبِىَّ النفس ، فكان إذا سُئل الغناء أباه ، فاذا أُمْسك عنه كان هو المبتدئَ به ، فأمسكنا عنه حتى طلب العُود ، فأُتِىَ به فغنى :

مَرّ بى سِرْبُ ظباءٍ   رائحـاتٌ من قُباءِ

قال : وكان يُحسنه ويجيده ، فجعل إسحاق يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة أرطال ، ثم قال : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء لى وأنت تتقدمنى فيه ، [ولا يُخْلِقُ الغناءُ مادام مثلك ينشو فيه] ولأدَعَنَّ الغناءَ مادام مثلك ينشر لحنه .

قال : وحدثنى إسحاق الهاشمىّ عن أبيه قال :

كنا فى البستان المعروف ببستان خالصٍ النصرانىّ ببغداد ، ومعنا محمد بن حمزة وجه القَرْعة يُغنّينا قوله :

يا دارُ أقْفَرَ رَسْمُها   بين المُحَصَّبِ والحَجونِ
يا بشرُ إنى فاعلمى   والله مُجْتَهِدٌ يَمِـينى

فاذا برجلٍ راكبٍ على حمارٍ يؤُمُّنا وهو يصيح : أحسنت يا أبا جعفر ، أحسنت والله ، فقلنا : اصعد إلينا كائنا مَن كُنتَ ، فصَعِد وقال : لو منعتمونى من الصعود لما امتنعت ، ثم سفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارق ، فقال: يا أباجعفر أعِدْ علىّ صوتَك ، فأعاده فشرب رطلا من شرابنا وقال : لولا أنى مدعُوّ إلى خدمة الخليفة لأقمت عندكم واستمعت هذا الغناء الذى هو أحسن من الزهر غِبَّ المطر .ا

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صوت

مَرَّ بى سِرْبُ ظِباءٍ رائحاتٌ من قُباءِ
زُمَرًا نحوَ المُصَلَّى يتمشَّيْنَ حِذائى
فتجاسَرْتُ[1] وألقيـ ـتُ سرابيل الحَياءِ
وقديما كان لَهْوِى وفُتُونى بالنِّساءِ

الغناء لإسحاق مما لاأشك فيه من صنعته ولحنُه ثقيل أول مطلق فى مجرى الوسطى ، وذكر محمد بن أحمد المكى أنه لجده يحيى ، وذكر حَبَشٌ أن فيه لابن جامعٍ ثانىَ ثقيل بالوسطى ، ومنها :

صوت

يا بِشْرُ إنى فاعلمى واللهِ مجتهدٌ يَمينى
ما إنْ صَرَمْتُ حبالكُمْ فَصِلِى حبالى أو ذَرِينى
استبدلوا طَلَبَ[2] الحجا زوسُرَّةَ البلدِ الأمينِ
بحدائقٍ محفوفةٍ بالنَّبتِ من عِنَبٍ وتينِ

(١) فى مخطوط : فتعرضت .

(٢) فى مخطوط : طلف . والطلف : العطاء والهبة .

يا دار أقْفَرَ رسْمُها بين المُحَصَّبِ والحَجونِ
أقْوَتْ وغَـيَّر آيَها طُولُ التَّقادُمِ والسنينِ

الشعر للحارث بن خالد. والغناء لابن جامع فى الأربعة الأبيات الأول رمل بالوسطى ، ولابن سريج فى الخامس والسادس والأول والثانى ثقيل أول بالبنصر [وذكر يونس أن فيه صوتين لمالك وابن سريج] .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيَة قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى القطرانىّ المغنى عن محمد بن جبر قال :

دخلنا إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى نعوده من عِلَّةٍ كان وجدها ، فصادفنا عنده مخارقا وعَلَّوية وأحمد بن يحيى المكىّ وهم يتحدثون ، فاتصل الحديث بينهم وعرض عليهم إسحاق أن يقيموا عنده ليتفرّج بهم ويُخْرِج إليهم ستارة يُغَنُّون من ورائها ، ففعلوا ، وجاء محمّد بن حمزة وجه القرعة على تَفِئَة [1] ذلك، فاحتبسه إسحاق معهم ووضع النبيذ وغَنَّوْا . فغنى مخارق وعلوية صوتا من الغناء القديم، فخالفه محمد فيه وفى صانعه وطال مِرَاؤُهما فى ذلك وإسحاق ساكت ، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمد ، وراجعه عَلَّوية ، فقال له إسحاق : حسبُكَ فوالله مافيكم أدْرَى بما يخرج من رأسه منه ، قال : ثم غنى أحمد بن يحيى المكىّ قوله :

• قُلْ لِلجُمانَةِ لاتَعْجَلْ بإسْراجِ •

فقال محمد : هذا اللحن لمَعْبَدٍ ولايُعرف له هزج غيره . فقال أحمد : أمَّا على ما شرط أبو محمد آنِفا من أنه ليس فى الجماعة أدرى بما يخرج من رأسه منك فلا مُعارِضَ لك ، فقال له إسحاق : ياأبا جعفر ماعَنَيْتُكَ والله فيما قلتُ ، ولكن قد قال : إنه لا يُعْرَف لمعبد هزجٌ غير هذا ، وكُلُّنا نعلم أنه لمعبد فأكذِبْه أنت بهزج آخر له مما لانَشُكُّ فيه ، فقال أحمد : ما أعرف .

قال محمد بن الحسن : وحدثنى إسحاق الهاشمى عن أبيه .

أن محمداً دخل معه على إسحاق الموصلىّ مهنئا له بالسلامة من عِلَّةٍ كان

(١) على تفئة ذلك : أى على أثره .

فيها ، فدعا بعود فأمَرَ به إسحاق فَدُفِع إلى محمد ، فغَنَّى أصواتا للقدماء وأصواتا لإبراهيم وأصواتا لإسحاق فى إيقاعات مختلفة ، فوجَّه إسحاق خادما بين يديه إلى جوارى أبيه فخرجن حتى سمعنه من وراء حجاب ثم ودّعه وانصرف ، فقال إسحاق للجوارى : ما عندكن فى هذا الفتى ؟ فقلن : ذكَّرنا والله أباك فيما غناه من غنائه فقال : صدقتنّ ، ثم أقبل علينا فقال : هو مغنّ محسنٌ ولكنه لا يصلح للمطارحة لكثرة زوائده ، ومثله إذا طارح حَيَّر الذى يأخذ عنه فلم ينتفع به ، ولكنه ناهيكَ من مُغَنٍّ مُطرب .

قال إسحاق : وحُدّثت أنه صار إلى مخارق عائداً فصادف عنده المغنين جميعا ، فلما طلع تغامزوا به ، فسلم على مخارق وسأل به ، فأقبل عليه مخارق ثم قال له : يا أبا جعفر إن جواريك اللواتى فى ملكى قد تركْن الدرس منذ مدة ، فأُحبّ أن تدخل إليهن وتأخذ عليهن وتصلح من غنائهن ، ثم صاح بالخدم فسعوا بين يديه إلى حجرة الجوارى ، ففعل ما سأله مخارق ثم خرج فأعلمه أنه قد أتى ما أحبه ، والتفت إلى المغنين فقال : قد رأيت غمزكم فهل فيكم أحد رَضِيَ أبو المهنَّا أعزه الله حِذْقَه وأدبه وأمانته ورَضِيَه لجواريه غيرى ؟ ثم ولّى فما كلمه أحد منهم وكأنما ألقمهم حجرا :

صوت

عفت الديار محلُّها فمُقامُها ... بمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها
فمدافعُ الرَّيَّانِ عُرِّىَ رَسْمُها ... خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِىَّ (١) سِلامُها
فاقْنَع بما قسم الإله فإنما ... قسم الخلائقَ بيننا علاَّمُها

عروضه من الكامل ، عفَتْ : دَرَسَتْ . ومنى : موضع فى بلاد بنى عامر وليس مِنى مكة ، تأبد : توَحَّش ، والغَوْلُ والرِّجامُ : جبلان بالحِمَى ، والرَّيان : وادٍ

(١) الوحى : جمع وحى ، وهو المكتوب ، وأراد بالوحى ما يكتب فى الحجارة ، انظر اللسان « وحى » .

بالحمى ، ومدافعه: مجارى الماء فيه، وعُرّىَ رَسْمُها أى تُرِكَ وا رُتحل عنه، تقول: عُرِّىَ من أهله ، وسِلامُها : صخورها واحدتها سَلِمة .

الشعر للبيد بن ربيعة العامرىّ ، والغناءُ لابن سُريج رمل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لابن محرز خفيف رمل [١] أول بالوسطى عن حَبَش ، وذكر الهِشَامِىُّ أن فيه رملا آخر للهذلىّ فى الثالث والأول .

(١) فى مخطوط : خفيف ثقيل أول .

نسب لبيد وأخباره

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيلان بن مضر. ويكنى أبا عَقيل وكان يقال لأبيه ربيعة المقتِرين لجوده وسخائه، وقتلته بنو أسد فى الحرب التى كانت بينهم وبين قومه، وعمه أبو بَراء عامرُ بن مالك مُلاعب الأسنَّة، سُمى بذلك لقول أوس بن حَجَرٍ فيه:

فَلاعَبَ أطرافَ الأسنَّةِ عامرٌ فراح له حظُّ الكتيبة أجمعُ

وأم لبيد تامرة[1] بنت زِنباع العَبْسية إحدى بنات جَذِيمة بن رَواحة، ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمُخَضْرَمين ممن أدرك الإسلام، وهو من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان القُرَّاء المُعَمَّرين، يقال: إنه عُمِّر مائة وخمسا وأربعين سنة.

أخبرنى بخبره فى عمره أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال: حدثنا عمر بن شبة، عن عبد الله بن محمد بن حكيم، وأخبرنى الحسن بن على قال: حدثنا ابن مَهرُوَيه قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد، عن علىّ بن الصباح، عن ابن الكلبىّ، وعن على بن المسرور عن الأصمعىّ، وعن المدائنى وعن رجال ذكرهم منهم أبو اليقظان وابن دأب وابن جُعْدُبَة والوقَّاصىّ.

أن لبيد بن ربيعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى كِلاب بعد وفاة أخيه أرْبَدَ وعامرِ بن الطُّفَيل فأسلم وهاجر وحسن إسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه، فأقام بها ومات بها هناك فى آخر أيام

(١) فى مخطوط: تامر.

معاوية بن أبي سفيان فكان عمره مائة وخمساوأربعين سنةً ، منها تسعون سنة فى الجاهلية وبقيّها فى الإسلام .

قال عمر بن شبة فى خبره : فحدثنى عبد الله بن محمد بن حكيم .

أن لبيدا قال حين بلغ سبعا وسبعين سنة :

قامَتْ تَشكَّى إلىَّ الموتَ مُجهشة ... وقد حملْتُكِ سبعا بعد سبعينا
فإن تزَادى ثلاثا تبْلغى أملاً ... وفى الثلاث وفاءٌ للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال :

كأنى وقد جاوزْتُ تسعين حِجّةً ... خلعتُ بها عن منكبيَّ ردائيا

فلما بلغ مائة وعشرا قال :

أليس فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفى تكامل عشرٍ بعدها عُمُرُ

فلما جاوزها قال :

ولقد سئمْتُ من الحياة وطولها ... وسؤالِ هذا الناسِ كيف لبيدُ؟
غلَبَ الرّجالَ وكانَ غيرَ مُغلَّبِ ... دَهْرٌ طويلٌ دائم ممدودُ
يَوما أرَى يأتى علىَّ وليلةً ... وكلاهما بعد المضاءِ يَعودُ
وأراه يأتى مثلَ يومَ لَقيتُه ... لم يَنْتَقِصْ وضَعُفْتُ وهوشديدُ

قصته مع الربيع بن زياد :

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حامد السِّجستانى قال : حدثنا الأصمعيُّ قال :

وفدَ عامرُ بن مالك مُلاعِبُ الأسِنَّة — وكان يُكنى أبا البراءِ — فى رهط من بنى جعفر ومعه لبيدُ بن ربيعة ومالك بن جعفر ، وعامر بن مالكٍ عمُّ لبيد ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الرَّبيع بنَ زياد العَبْسِيَّ — وأُمُّه فاطمة بنتُ الخُرْشُبِ الأنمارية — وكان الربيع نَديما للنعمان مع رجل من تجار أهل الشام يقال له زرجُون بن توفيل وكان حَرِيفا للنعمان يبايعه ، وكان أديبا حسن الحديثِ

والندَام ، واستخفَّه النعمان فكان إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بعث إليه ، وإلى النطاسىّ مُتَطَبِّبٍ كان له ، وإلى الربيع بن زياد ، فخلا بهم . فلما قدم الجعفريون كانوا يَحْضُرُون النعمانَ لحاجتهم فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم ، وذكر معايبهم ، وكان بنو جعفر له أعداءً ، فلم يزل بالنعمان حتى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء ، وقد كان يكرمهم ويُقرِّبهم ، فخرجوا غضابا ولبيد متخلف فى رحالهم يحفظ متاعهم ويغدو بإبلهم كل صباح فيرعاها فإذا أمسى انصرف بالإبل ، فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع ، فسألهم عنه فكتموه ، فقال : والله لاحفظتُ لكم متاعا ولا سرَّحتُ لكم بعيرا أوتخبرونى فيم أنتم ، وكانت أم لبيد يتيمة فى حِجْرِ الربيع ، فقالوا: خالُك قد غلبنا على المَلِكِ وصدّ عنا وجهه ، قال لبيد فهل تقدرون على أن تجمعوا بينى وبينه فأزجره عنكم بقول مُمِضٍّ مؤلم لايلتفت إليه النعمان بعده أبدا ؟ قالوا : وهل عندك شىء ؟ قال : نعم ، قالوا : فإنا نَبْلُوك ، قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتم هذه البَقْلة ، وقُدّامَهم بقلةٌ دقيقةُ القضبانِ ، قليلةُ الورق ، لاصقة فروعها بالأرض تُدْعى التَّرِبَةَ ، فقال : هذه التَّرِبَةُ التى لاتُذْكِى نارا ، ولاتُؤهل دارا ، ولا تَسرّ جارا ، عُودها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ، أقبح البقول مَرْعى ، وأقصرها فرعا ، وأشدُّها قلْعا ، بلدها شاسع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها قانع ، فالْقَوْا بى أخا عَبْس ، أردّه عنكم بتَعْس ، وأتركه من أمره فى لَبْس . قالوا : نصبح ونرى رأينا فى أمرك ، فقال عامر : انظروا إلى غلامكم هذا يعنى لبيدا فإن رأيتموه نائما فليس أمرُهُ بشىء إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهرا فهو صاحبه . فرمقوه فوجدوه قد ركب رَحْلاً وهو يكدُمُ وسطه حتى أصبح ، فقالوا: أنت والله صاحبه . فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذُؤابته وألبسوه حُلَّة ، ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيع بن زياد وهما يأكلان لا ثالث لهما ، والدار والمجالس مملوءة من الوفود ، فلما فرغ من الغداء أذِن للجعفريِّين فدخلوا عليه ، وقد كان أمْرُهم

تقارب ، فذكروا الذى قدموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع بن زياد فى كلامهم فقال لبيد فى ذلك :

أكلَّ يوم هامتى مقزَّعه[١] يا رُبَّ هيْجا هى خيرٌ من دعه

نحن بنو أم البنين الأربعه سيوف جنٍّ وجفانٌ مترعه

نحن خيارُ عامرِ بن صعصعه الضاربون الهام تحت الخيضعه

والمطعمون الجفنة المدعدعه[٢] مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكلْ معه

إنَّ استَهُ من برصٍ ملمَّعه وإنه يُدخل فيها أُصبعه

يُدخلها حتى يوارى أشجعه كأنه يطلب شيئا ضيَّعه

فرفع النعمان يده من الطعام وقال : خبَّثت والله ياغلام علىَّ طعامى ، وما رأيت كاليوم قط ، فأقبل الربيع على النعمان فقال : كذب والله ابنُ الفاعلة ، ولقد فعلت بأمه كذا وكذا ، فقال له لبيد : مثلُك فعل ذلك بربيبة بيته والقريبة من أهله ، وإن أمى من نساء لم يكنَّ فواعلَ ما ذكرتَ ، وقضى النعمانُ للجعفريين الحوائج من وقتهم وصرفهم ، ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته ، فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه وأمره بالانصراف إلى أهله ، فكتب إليه الربيع : إنى قد عرفت أنه قد وقع فى نفس الملك ما قال لبيد ، وإنى لست بارحا حتى تبعث إلىَّ من يجرِّدنى فيعلم من حضرك من الناس أنى لست كما قال . فأرسل إليه : إنك لست صانعا باتقائك مما قال لبيدٌ شيئا ، ولا قادرا على ما زلَّتْ به الألسنُ فالحق بأهلك . فلحق بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبيات شعرٍ قالها وهى :

لئن رحلْتُ جمالى لا إلى سعةٍ ما مثلها سعةٌ عرضًا ولا طولا

بحيث لووردتْ لخمٌ بأجمعها لم يعْدِلوا ريشة من ريش سَمْويلا[٣]

(١) مقزعة : محلوقة وبقيت منها بقايا .

(٢) مدعدعة : مملوءة .

(٣) سمويل : طائر ، وقيل : بلد كثيرة الطير . وفى اللسان « سمل » بحيث لو وزنت لخم .

تَرْعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها لامثل رَعْيِكُمُ مِلْحا وغَسْوِيلا[١]
فاثبُتْ بأرضك بَعْدى واخلُ متكئا مع النِّطاسِيِّ طوْرًا وابنِ تُوفيلا

فأجابه النعمان بقوله :

شَرِّدْ برحلك عنى حيث شئتَ ولا تُكْثِرْ علىَّ ودعْ عنك الأباطيلا
فقد ذُكِرْتَ بشىءٍ لستُ ناسيَهُ ما جاورتْ مصرُ أهلَ الشام والنيلا
فما انتفاؤك منه بعدما جزَعَتْ هُوجُ المَطىِّ به نحوَ ابن سَمْويلا[٢]
قد قيل ذلك إنْ حقًا وإنْ كذِبا فما اعتذارك من قول إذا قيلا
فالحقْ بحيث رأيتَ الأرضَ واسعةً فانشُرْ بها الطرْفَ إنْ عرضًا وإن طولا

قال : وقال لبيد يهجو الربيع بن زياد ، ويزعمون أنها مصنوعة :

ربيعُ لا يَسُقْنْكَ نحوى سائقُ فتَطلُب الأذْحالُ والحنائقُ
ويُعْلَم المُعْيا به والسّابِقُ ما أنت إنْ ضُمَّ عليك المازقُ
إلاّ كشىءٍ عاقه العوائقُ إنك حاسٍ حُسْوَةً فذائقُ
لا بدَّ أن يُغْمَرَ منك الفائقُ غمزًا ترى أنك منه نازِقُ[٣]
إنك شيخ خائن مُنافِقُ[٤] بالمُخْزِياتِ ماهِرٌ مُطابِقُ

وكان لبيد يقول الشعر فيُعرض[على النابغة الذبيانى] فيقول :لاتُظهروه حتى قال :

« عفت الديار محلُّها فمُقامُها »

وذُكر ما صنع الربيعُ بنُ زياد وضَمْرةُ بنُ ضمرةَ ومن حضرهم من وجوه الناس ، فقال لهم النابغة حينئذ : أظهروها .

قال الأصمعى فى تفسير قوله الخَيْضَعَةُ أصله الخَضْعَةُ بغيرياء يعنى الجَلَبَةُ والأصوات ، فزاد فيها الياء ، وقال فى قوله : بالمخزيات ما هر مُطابق

---

(١) التسويل : نبت ينبت فى السباخ .

(٢) فى مخطوط : « أبدى المطى به أيرا وسمليلا » وهو غامض . هذا وجزعت من جزع الوادى قطعه عرضا .

(٣) الفائق من معانيه : موصل العنق فى الرأس . وفى مخطوط : أنك منه ذارق . وذارق من ذرق الطائر : رمى بسلحه . أما نازق فقد شرحها المؤلف . ورواية الديوان المخطوط : ذارق .

(٤) فى المخطوط : منازق . والمنازق : الكثير الكلام .

يقال طابقَ الدابّةُ إذا وضع يديه ثم رفعها فوضع مكانهما رجليه، وذلك إذا كان يطأ فى شوك أو شيء يتقيه ، والمأزق . الضيق ، والنازق : الخفيف .

نسخت من كتاب مرْوِىٍّ عن أبى محلم قال : حدثنى العلاء بن عبد الله المُوَقَّع قال :

اجتمع عند الوليد بن عقبة سُمّاره وهو أمير الكوفة وفيهم لبيد بن ربيعة فسأل لبيداً عما كان بينه وبين الربيع بن زياد عند النعمان ، فقال له لبيد : هذا كان من أمر الجاهلية وقد جاء الله جل وعز بالإسلام ، فقال له : عزمتُ عليك، وكانوا يرون لعزمة الأمير حقًّا : فجعل يحدثهم ، فحسده رجل من غَنِىٍّ فقال : ماعلِمْنا بهذا ، قال : أجَلْ يا ابن أخى ، لم تُدْرِك سِنُّك مثلَ ذلك ولا كان أبوك ممن يَشهد تلك المشاهد فيحدّثك .

فخر لبيد :

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرانىّ قال : حدثنى العُمرىّ قال : حدثنى الهيثم ، عن ابن عياش ، عن محمد بن المُنْتَشر قال :

لم يُسمع من لبيد فَخْرٌ فى الإسلام غير يوم واحد ، فإنه كان فى رَحْبَةِ غَنِىّ مستلقيا على ظهره ، قد سَجّى نفسه بثوبه ، إذ أقبل شابٌ من غنىّ فقال : قبح الله طُفيلاً حيث يقول :

جزى الله عنّا جعفرًا حيث أشرفت[1] ... بنا نَعلُنا فى الواطئين فزَلّتِ
أبَوْا أنْ يَملّونا ولو أنّ أُمَّنا ... تُلاقى الذى يلقَوْنَ منا لملّتِ
فذو المال موفورٌ وكلٌّ مُعَصَّبٌ[2] ... إلى حَجرات أدفأتْ وأظلّتِ
وقالتْ هلمُّوا الدارَ حتى تبيّنُوا ... وتَنْجلىَ العمياءُ عما تَجلّتِ
[سنجزى بإحسانِ الأيادى التى مضت ... لها عندنا ماكثّرَتْ وأهلّتِ][3]

---

(١) فى ديوان طفيل الغنوى : حيث أزلقت .

(٢) فى الديوان : هم خلطونا بالنفوس وألجئوا .

(٣) زيادة البيت من الديوان ، ولا يوجد غير الخمسة الأبيات فيه .

ليت شعرى ماالذى رأى من بنى جعفر حيث يقول هذا ؟ قال فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال : يا ابن أخى إنك أدركت الناس وقد جُعِلَتْ لهم شرطة يَزَعُون بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ تخرج الخادم بجرابها فتأتى برزق أهلها ، وبيتُ مالٍ يأخذون منه أعْطِيَتَهُم ، ولو أدركتَ طُفيلا يوم يقول هذا لبنى جعفر لم تَلُمْهُ . ثم استلقى وهو يقول : أستغفر الله، فلم يزل يقول : أستغفر الله حتى نام .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال :

مرّ لبيد بالكوفة على مجلس بنى نَهد وهو يتوكأ على مِحْجَنٍ له ، فبعثوا إليه رسولا يسأله عن أشعر العرب فسأله فقال : الملك الضِّلّيل ذو القروح ، فرجع فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس ، ثم رجع إليه فسأله : ثُمَّ مَنْ ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بنى بكر ، فرجع فأخبرهم فقالوا : هذا طَرَفة ارجع فاسأله ثم من ؟ فسأله ، فقال : ثم صاحب المحجن ، يعنى نفسه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال ، : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبوعبيدة قال :

لم يقل لبيدٌ فى الإسلام إلا بيتا واحدا وهو[1] :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى لبستُ من الإسلام سرْبالا

أخبرنى أحمد، قال: أخبرنى عمى ، قال حدثنى محمد بن عبّاد بن حبيب المُهلبىّ قال : حدثنا نصر بن دأب ، عن داود بن أبى هند ، عن الشّعبىّ قال :

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة : أن استنشدْ مَنْ قِبَلَكَ من شعراء مِصْرِك ما قالوا فى الإسلام ، فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْلِىّ فقال له : أنْشدنى ، فقال :

أَرَجَزًا تُرِيدُ أم قَصِيدًا لقد طلبْتَ هَيِّنا موجودًا

ثم أرسل إلى لبيد فقال : أنشدنى . فقال : إن شئت ما عُفِىَ عنه ، يعنى الجاهلية ،

(١) فى المعمرين ٦٦ قردة بن نفاثة . ويزعمون أنه للبيد .

فقال : لا ، أنشدنى ما قلتَ فى الإسلام ، فانطلق فكتب سورة البقرة فى صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلنى الله هذه فى الإسلام مكان الشعر ، فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمر رضوان الله عليه فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة وجعلها فى عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين فجعله ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب إلى أمير المومنين : أتنقص عطائى أن أطعتك ؟ فردّ عليه خمسمائة وأقرّ عطاء لبيد على ألفين وخمسمائة ، قال أبو زيد وأراد: معاوية أن ينقصه من عطائه لما ولى الخلافةَ وقال هذان الفَوْدَانِ يعنى الألفين ، فما بال العِلاوة ؟ يعنى الخمسمائة فقال له لبيد : إنما أنا هامةُ اليومِ أو غد ، فأعِرْنى اسمَها فلعلى لا أقبضها أبدا ، فتبقى لك العلاوة والفَوْدان . فرقّ له وترك عطاءه على حاله فمات ولم يقبضه .

وقال عمر بن شبة فى خبره الذى ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم ، وأخبرنا به إبراهيم بن أيوب ، عن عبد الله بن مسلم قالا :

كان لبيد من جُودَاء العرب ، وكان قد آلى فى الجاهلية أن لا تَهُبَّ صَبًا إلا أطعم ، وكانت له جَفْنَتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم فهبَّت الصَّبا يوما ووليد بنُ عُقبة على الكوفة ، فصعِدَ الوليدُ المنبرَ فخطب الناس ثم قال : إن أخاكم لبيدَ بنَ ربيعة قد نذر فى الجاهلية أن لا تَهبَّ صبا إلا أطعم ، وهذا يوم من أيامه وقد هبَّت صبا فأعينوه وأنا أول من يفعل ، ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بَكْرَةٍ وكتب إليه بأبيات قالها :

أرى الجزّارَ يَشْحذ شفْرتَيْـه ... إذا هبَّتْ رياحُ أبى عقيلِ
أشمّ الأنفِ أصيد عامرىّ ... طويل الباع كالسيف الصقيلِ
وَفَى ابنُ الجعفرىّ بِحَلْفَتَيْـهِ ... على العِلاّتِ والمال القليـل
بنحرِ الكُوم إذْ سُحِبَتْ عليـهِ ... ذُيولُ صَبا تَجاوَبُ بالأصيـلِ (١)

فلما بلغت أبياته لبيدا قال لابنته : أجيبيه فلَعَمرى لقد عشتُ برهةً وما أعيا بجواب شاعر ، فقالت ابنته :

إذا هبَّتْ رياح أبى عقيـلِ ... دَعَوْنا عند هبَّتها الوليـدا

(١) الكوم : الإبل الضخمة ، جمع أكوم وكوماء .

أشمَّ الأنفِ أروعَ عبشميًّا ... أعانَ على مروءته لبيدا
بأمثالِ الهضابِ كأنَّ ركبًا ... عليها من بنى حامٍ قعودا
أبا وهبٍ جزاك الله خيرًا ... نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعُدْ إنَّ الكريم له معادٌ ... وظنِّى لا أبالكَ أنْ تعودا

فقال لها لبيد : قد أحسنت لولا أنك استطعمتِه ، فقالت : إن الملوك لا يُستحيا من مسألتهم ، فقال : وأنت يا بنيةُ فى هذه أشعر .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى محمد ابن عمران الضبىُّ قال : حدثنى القاسم بن يَعْلَى ، عن المُفَضَّل الضَّبِّىِّ قال :

قدم الفرزدق فمر بمسجد لبنى أُقيصر وعليه رجل ينشد قول لبيد فيه :

وجلا السيولُ عن الطُّلول كأنها ... زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها[1]

فسجد الفرزدق فقيل له : ما هذا يا أبا فِراس ؟ فقال : أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر .

أخبرنا أحمد بن [عبد العزيز قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنى إسماعيل بن إبراهيم القرشى قال : حدثنا العمرىُّ قال : حدثنا الهيثم بن عدىّ ، وأخبرنى عمى ، قال حدثنا الكرانى قال : حدثنا العمرىّ عن الهيثم بن عدىّ قال : حدثنا مجالد وأبو] يعقوب الثقفىُّ وابنُ عيَّاش ومِسْعر بن كدام ، كلهم عن عبد الملك بن عُمير قال :

أخبرنى من أرسله القُرَّاءُ الأشراف — قال الهيثم : فقلت لابن عيَّاش : من القُرَّاءُ الأشرافُ ؟ قال : سليمانُ بن صُرَدَ الخزاعىُّ والمُسيَّبُ بن نَجَبَة الفزارىُّ وخالدُ بنُ عُرْفُطة الزُّهرىُّ ومَسروق بن الأجدع الهَمْدانىُّ وهانىء بنُ عُروةَ المُرادىُّ — إلى لبيد بن ربيعة وهو فى المسجد وفى يده مِحْجَنٌ فقلت : يا أبا عقيلٍ ، إخوانك يُقْرِئونك السلامَ ويقولون : أىّ العرب أشعر ؟ قال : الملك الضِّلِّيل ذو القُروح ، فردُّونى إليه وقالوا : ومَنْ ذو القروح ؟ قال :

---

(١) الزبر : جمع زبور ، وهو الكتاب . وتجد متونها : أى تعيد عليها الكتابة بعد ما درست ، انظر جمهرة أشعار العرب . وفى اللسان مادة « زبر » : تخد .

امرؤ القيس ، فأعادونى إليه وقالوا : ثم مَن ؟ قال الغلامُ ابن ثمانى عشرةَ سنةً ، فردونى إليه فقلت : ومن هو ؟ فقال : طَرَفة ، فردونى إليه فقلت : ثم مَنْ ؟ قال : صاحب المحجن حيث يقول :

إنَّ تقوَى ربِّنا خيرُ نَفَلْ وبإذْنِ الله رَيْثى وعَجَلْ
أحمدُ الله ولا نِدَّ لـه بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ
مَنْ هداه سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعِمَ البال ومن شاء أَضَلّ

يعنى نفسه ، ثم قال : أستغفر الله .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىُّ قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن ابن البوَّاب قال :

جلس المعتصم يوما للشَّراب فغناه بعض المغنين قوله :

وبنو العبَّاسِ لايأتــونَ لا وعلى ألسُنِهِمْ خفَّتْ نَعَمْ
زيَّنَتْ أحلامُهم أحسابَهمْ وكذاك الحِلْمُ زَيْنٌ لِلْكَرَمْ

فقال : ما أعرف هذا الشعر ، فلمن هو ؟ قيل : للبيد ، فقال : وما للبيد وبنى العباس ؟ فقال المغنى : إنما قال :

• وبنو الدَّيان لايأتون لا •

فجعلته : وبنو العباس . فاستحسن فعله ووصله ، وكان يُعْجَب بشعر لبيد ، فقال : من منكم يروى قوله :

• بَلِينا وما تَبلَى النُّجومُ الطوالعُ •

فقال بعض الجلساء : أنا ، فقال : أنشدنيها فأنشد :

بَلِينا وما تَبْلَى النجـومُ الطوالـعُ وتبقَى الجبالُ بعـدنا والمصانعُ
وقد كنتُ فى أكنافِ دارِ مَضِنَّةٍ[١] ففارقنى جارٌ بأربَدَ نافِـعُ

فبكى المعتصم حتى جرتْ دموعُه وترحَّم على المأمون وقال : هكذا كان رحمة الله عليه ينشدُها لى ، ثم اندفع ينشد هو باقيها ويقول :

(١) فى مخطوط : دار مضنة . وأثبتنا مافى النسخ الأخرى والديوان المخطوط .

فلا جزَعٌ إنْ فرّق الدهـرُ بيننا فكل امرئٍ يوما له الدهرُ فاجعُ
وما الناسُ إلاَّ كالديّار وأهلِها بها يومَ حلّوها وبَعْدُ بلاقِعُ[1]
ويَمضون أرْسالاً ونَخلُفُ بعدهم كما ضمَّ إحدى الراحتين الأصابعُ[2]
وما المرء إلاَّ كالشهاب وضوئه يَحُور رماداً بعدَ إذْ هو ساطعُ
وما البِرُّ إلاَّ مُضْمَراتٌ من التُّقى وما المالُ إلاَّ عارياتٌ ودائعُ
أليس ورائى إنْ تراخَتْ مَنِيّتى لُزُومُ العصا تُحْنَى عليها الأصابعُ
أُخَبِّر أخبارَ القُرونِ التى مضتْ أدِبُّ كأنى كلما قُمْتُ راكِعُ
فأصبحت مثلَ السَّيْفِ أخلق جفنَه تقادُمُ عهْدِ القَيْنِ والنَّصْلُ قاطعُ
فلا تبعدَنْ إن المَنِيَّة مَوْعِدٌ علينا فدانٍ للطُّلوع وطالعُ
أعاذِلُ ما يُدْرِيك إلاَّ تَظَنِّيا إذا رَحَلَ الفتيانُ مَنْ هوراجعُ[3]
أتجزَعُ مما أحدث الدَّهْرُ بالفتى وأىُّ كريمٍ لم تُصبْه القوارعُ
لعمرُك ما تدرى الضَّوارِبُ بالحَصا ولا زاجراتُ الطَّيرِ ما الله صانِعُ

قال: فوالله لعَجِبْنا من حُسن ألفاظه وصِحَّةِ إنشاده وفصاحته وجودة اختياره.

عثمان بن مظعون:

أخبرنى الحسن بن علىّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، وحدثنا محمد بن جرير الطبرى، قال: حدثنا محمد بن حميد الرازى، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال:

كان عثمان بن مظعون فى جوار الوَليد بن المُغيرة، فتفكَّر يوما فى نفسه فقال: والله ما ينبغى لى أن أكون آمنا فى جوار كافر، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم خائف، فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له: أُحب أن تبرأ من جوارى، قال: لعلّه رابك رَيْبٌ، قال: لا ولكنى أحب أن تفعل، قال: فاذهب بنا حتى أبرأ منك حيث أجرْتك، فخرج معه إلى المسجد الحرام، فلما وقف على

(١) فى الديوان: وغدوا بلاقع.
(٢) فى الديوان: كما ضم أخرى التاليات المشايع.
(٣) فى الديوان: إذا رحل السفار.

جماعة قريش قال لهم : هذا ابنُ مظعون قد كنتُ أجرته ثم سألنى أن أبرأ منه ، أكذاك يا عثمان ؟ قال : نعم اشهَدُوا أنى منه برىء ، قال : وجماعة يتحدّثون من قريش ، معهم لبيد بن ربيعة ينشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشدهم لبيد :

ألا كلّ شيء ما خلا اللهَ باطل

فقال له عثمان : صدقت ، فقال لبيد :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان : كذبت ، فلم يدر القومُ ما عَنَى ، فأشار بعضهم إلى لبيد أن يُعيد فأعاد فصدّقه فى النصف الأول وكذّبه فى الآخر ، لأن نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيدَ : يا معشر قريش ، ما كان مثل هذا يكون فى مجالسكم ، فقام أُبَيُّ بن خلف أو ابنه فلطم وجه عثمان ، فقال له قائل : لقد كنتَ فى مَنَعَة من هذا بالأمس ، فقال له : ما أحوجَ عينى هذه الصحيحةَ إلى أن يصيبها ما أصاب الأخرى فى الله عز وجلّ .

الشعبي وعبد الملك :

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا العمريُّ ، عن الهيثم بن عَدِيّ ، عن عبد الله بن عَيَّاش قال :

كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف يأمره بإشخاص الشَّعْبِيّ إليه فأشخصه فألزمه وَلده ، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم ، قال : فدعانى يوما فى عِلّته التى مات فيها فغُصّ بلقمة وأنا بين يديه فتساند طويلا ثم قال : أصبحت والله كما قال الشاعر[١] :

كأنى وقد جاوزتُ سبعين حِجّـــةً ... خلعت بها عَنّى عِذَارَ لجامِ
[إذا ما رآنى الناسُ قالوا ألم يكنْ ... شديدَ مَحالِ البطش غيرَ كَهامِ
رَمتْنى بناتُ الدهر من حيث لا أرى ... وكيف بمَنْ يُرْمى وليس برامِ
ولو أننى أُرْمى بسهم رأيتُـــهُ ... ولكنما أُرْمى بغير سهامِ

(١) فى المعمرين ٦١ — ٦٢ « ابن قميئة » وانظر القصة ففيها زيادة وص ٨٩ .

فقال الشعبي : فقلت : إنا لله ، استسلم الرجلُ والله للموت ، فقلت له : كلا أصلحك الله ولكن مثلك ما قال لبيد :

باتت تشكّى إليّ الموتَ مُجهشةً ... وقد حملتُكِ سبْعا بعد سبعينا
فإن تَزادى ثلاثا تبلغى أملاً ... وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فعاش إلى أن بلغ تسعين سنة فقال :

كأنى وقد جاوزت تسعين حِجّةً ... خلعت بها عن منكبيّ ردائيا]

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين فقال :

أليس فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ ... وفى تكامل عشرٍ بعدها عُمُرُ

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشرين سنة فقال :

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناسِ كيف لبيد

صوت

غَلَبَ العزاءُ وكنتُ غيرَ مُغَلَّبِ ... دهرٌ جديد [1] دائم ممدودُ
يومٌ إذا يأتى عليّ وليلةٌ ... وكلاهما بعد المضاء يَعُودُ

ففرح واستبشر وقال : ما أرى بى بأسا ، وقد وجدت خِفًّا ، وأمر لى بأربعة آلاف درهم ، فقبضتها وخرجت ، فما بلغت الباب حتى سمعت الواعيةَ عليه .

وغنى فى هذه الأبيات التى أولها :

غَلَبَ العزاءُ وكنتُ غيرَ مغلَّبِ

عمر الوادى خفيف رمل مطلق بالوسطى عن عمرو .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنا هارون بن مسلم ، عن العُمَرى ، عن الهيثم بن عدى ، عن حمّاد الراوية قال :

نظر النابغة الذّبيانى إلى لبيد بن ربيعة وهو صبيّ مع أعمامه على باب النعمان ابن المنذر ، فسأل عنه فنُسب له فقال له : يا غلام إن عينيك لَعَيْنا شاعرٍ ، أفتقرض

(١) فى الديوان : دهر طويل .

من الشعر شيئا ؟ قال : نعم يا عم ، قال : فأنشدنى شيئا مما قلتَه ، فأنشده قوله :

ألم تَرْبَع على الدِّمَنِ الحوالى

فقال له : أنت ياغلام أشعر قومك فأنشدنى يابنى أيضا ، فأنشده قوله :

طَلَلٌ لخولةَ بالرُّسَيْس قديمُ

فضرب بيديه على جنبيه وقال : اذهب فأنت أشعر قيس كلِّها ، أو قال هوازن كلها .

وأخبرنى بهذا الخبر عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنا العمرىُّ ، عن لقيط ، عن أبيه وحمادٍ الراوية عن عبد الله بن قتادة المُحاربىّ قال :

كنت مع النابغة بباب النعمان بن المنذر ، فقال لى النابغة : هل رأيت لبيد ابن ربيعة فيمن حضر ؟ قلت نعم قال : أيهم هو ؟ قلت : الفتى الذى رأيتَ من حاله كَيْتَ وكيت ، فقال : اجلس بنا حتى يخرج إلينا ، قال : فجلسنا ، فلما خرج قال له النابغة : إلىَّ يا ابن أخى ، فأتاه فقال : أنشدنى فأنشده قوله :

ألم تُلْمِمْ على الدِّمن الحوالى لسلمى بالمذانِبِ فالقُفالُ[1]

فقال له النابغة : أنت أشعر بنى عامر ، زدنى فأنشده :

طَلَلٌ لخوْلة بالرُّسَيْس قديمُ بمعاقِلٍ فالأنْعَمَيْن رُسُومُ

فقال له : أنت أشعر هوازن ، زدنى فأنشده قوله :

عفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها بمِنىً تأبَّد غَولها فرِجامُها

فقال له النابغة : اذهب فأنت أشعر العرب .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد .

أن لبيداً لمَّا حضرته الوفاةُ قال لابن أخيه — و لم يكن له ولد ذَكرٌ — يا بنى إن أباك لم يمت ولكنه فَنِيَ ، فإذا قُبض أبوك فأقبِلْه القِبْلَة وسجِّه بثوبه ، ولاتَصْرُخَنَّ عليه صارخة ، وانظرجَفْنَتَيَّ اللتين كنت أصنعهما فاصنعهما ثم احملهما

(١) فى الديوان : لسلمى بالمنازل فالفعال .

إلى المسجد ، فإذا سلَّم الإمام فقدِّمهما إليهم ، فإذا طَعِموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم ، ثم أنشد قوله :

وإذا دفنْتَ أباك فاجـ ـعَلْ فوقه خَشَبا وطِينا
وسقائفا صُمًّا رَوَا سِيَها يسدِّدْن الغُضونا[1]
لِيقِينَ حرَّ الوجـه سَفْـ ـسافَ التراب ولنْ يَقِينا

قال : وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ، وقد ذكر يونس أن لابن سُريج لحنا فى أبيات من قصيدة لبيد هذه ، ولم يجنسه ، [أوله] :

صوت

أبُنَيَّ هل أبصرْتَ أعـ ـمامى بنى أمّ البنينا
وأبى الـذى كان الأرا مِلُ فى الشتاء له قَطِينا
وأبا شَرِيكٍ والمُنا زِلَ فى المضِيق إذا لَقِينا
ما إن رأيتُ ولا سمعـ ـتُ بمثلهم فى العالمينا
فبقيتُ بعـدَهمُ وكنـ ـتُ بطول صُحبتِهم ضَنِينا
دَعْنِى وما ملكَتْ يمينى إن سَدَدْتُ بها شُزونا[2]
وافعَـل بمالك ما بدا لك مُستعانا أو مُعِينا

قال : وقال لابنتيه لما حضرته الوفاة[3] وفيه غناء :

صوت

تَمنَّى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَرْ
فإن حان يوما أن يموت أبوكما فلا تخمُشا وجْها ولا تحْلِقا الشَّعَرْ
وقولا هو المرء الذى لا حليفَه أضاعَ ولا خان الصديقَ ولا غدَرْ

(١) فى الديوان : « وصفائحا صما رواسيها » . وفى مخطوط : رواسِيَا .

(٢) الشزون : شدة العيش . وفى المطبوع والديوان : شئونا .

(٣) بدلها فى مخطوط : حينما احتضر .

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسمُ السلامِ عليكما ... ومن يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقد اعتذرْ

فى هذه الأبيات هزجٌ خفيفٌ مطلقٌ فى مجرى الوُسطى ، وذكر الهشامىُّ أنه لإسحاق ، وذكر أحمد بن يحيى المكىُّ أنه لإبراهيم .

قال : وكانت ابنتاه تَلبسان ثيابهما فى كل يوم ثم تأتيان مجلس بنى جعفر بن كلاب فترثيانه ولا تَنْدُبان[1] ، فأقامتا على ذلك حولا ثم انصرفتا .

صوت

سألْنَــاه الجزيلَ فما تأَبَّى ... فأَعطى فوق مُنْيَتِنا وزادَا

وأحْسَنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنا ... فأحسنَ ثم عدت له فَعادَا

مِرارًا ما دَنَوْتُ إليــه إلاَّ ... تَبسَّمَ ضاحكا وثَنَى الوِسادَا

الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارِية خفيف رمل مطلق بالبنصر .

---

(١) فى مخطوط : ولا تعولان .

أخبار زياد الأعجم ونسبه

زياد بن سليمان مولى عبد القَيْس ، أحد بنى عامر بن الحارث ، ثم أحد بنى مالك بن عامر الخارجيّة [١] .

أخبرنى بذلك علىّ بن سليمان الأخفش ، عن أبى سَعيد السكرىّ ، وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى ، عن عمه عن ابن حبيب قال :

هو زياد بن جابر بن عمرو مولى عبد القيس ، وكان ينزل إصْطَخْرَ ، فغلبت العُجْمة على لسانه ، فقيل له : الأعجم . وذكر ابن النَّطَّاح مثلَ ذلك فى نسبه وخالف فى بلده ، وذكر أنّ أصلَه ومولده ومنشأه بأصبهان ، ثم انتقل إلى خُراسانَ فلم يزل بها حتى مات . وكان شاعرًا جزْل الشِّعر فصيح الألفاظ على لُكْنَة لسانه وجَرْيِه على لفظ أهل بلده .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن موسى قال : حُدِّثتُ عن المدائنى أن زيادا الأعجم دعا غلاما له ليرسله فى حاجة فأبطأ ، فلما جاءه قال له : منذ لدُنْ دَأَوْتُكَ إلى أن قلتَ لى لبىّ ماكنتَ تَسْنَأ. يريد : منذ لدن دعوتُك إلى أن قلتَ لبَيْكَ ما كنتَ تصنع. فهذه ألفاظه كما ترى فى نهاية القُبح واللكنة ، وهو الذى يقول يرثى المُغيرة بن المهلَّب بقوله [٢] :

صوت

قُلْ للقوافلِ والغزِىّ إذا غزَوْا الباكرين وللمُجِدِّ الرائحِ

(١) هذه الكلمة لاتوجد فى المخطوط .

(٢) انظر القصيدة فى ابن خلكان ترجمة المهلب بن أبى صفرة . والأمالى ج ٣ ص ٨ — ١١ ومراجع لها فى السمط ج ٣ ص ٧ .

إن المروءة والسماحة ضُمِّنا قبراً بِمَرْوَ على الطريقِ الواضحِ [١]
فإذا مررْتَ بقبره فاعقِرْ به كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرْفٍ سابحِ [٢]
وانضحْ جوانبَ قبرِه بدمائها فلقدْ يكُونُ أخا دَمٍ وذبائحِ
يا من بِمَغْدَى الشمس من حَيٍّ إلى ما بين مَطلع قَرْنِها المُتنازحِ
مات المغيرةُ بعدَ طولِ تعرُّضٍ للموت [٣] بين أسِنَّةٍ وصفائحِ
والقتلُ ليس إلى القِتالِ ولا أرى حيّاً يُؤخَّر للشفيقِ الناصحِ

وهى طويلة ، وهذا من نادر الكلام ونَقِيِّ المعانى ومُختارِ القصائد [٤] ، وهى معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومقدمها .

لابن جامع فى الأبيات الأربعة الأُول غناء أوله نشيد كلُّه ثم يعود إلى الصنعة فى الثانى والثالث ، فى طريقة الهزَج بالوُسطى .

وقد أخبرنى علىُّ بن سليمانَ الأخفش ، عن السُّكرى ، عن محمد بن حبيب أن من الناس من يروى هذه القصيدة للصَّلَتان العَبْدِىّ ، وهذا قول شاذّ . والصحيح أنها لزياد ، وقد رَوَتْها الرواة له غير مدفوع عنها .

وأخبرنى محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدثنى إسحاق بن محمد النَّخَعِىّ قال : حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : رثى زياد الأعجم المغيرةَ بن المهلب فقال :

إنّ الشجاعة والسماحة ضُمِّنا قبراً بِمَرْوَ على الطريق الواضحِ
فإذا مررتَ بقبره فاعقِرْ به كُومَ الهِجان وكلَّ طِرْفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلَّب [وقد أنشده إيّاها] : يا أبا أُمامة ، أفعقَرْتَ أنت عنده ؟ قال : كنت على بَنَتِ الحِمار يريد [مَتَن] الحِمار .

(١) فى مخطوط : إن السماحة والشجاعة . . .

(٢) الكوم : جمع أكوم وكوماء ، وهو البعير الضخم السنام . والهجان من كل شىء : خياره ، والبيض الكرام من الإبل . يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . والطرف : الكريم الأبوين من الخيل .

(٣) فى مخطوط : للقتل .

(٤) فى مخطوط : القصيد .

أخبرنى مدرك بن محمد الشَّيبانىُّ قال : كنت حاضرا فى مجلس أبى العباس ثعلب وقد قرئ عليه شعر زياد الأعجم فقرئت عليه قصيدته :

قل للقوافل والغَزِىّ إذا غزَوْا ... للباكرين وللمُجِدّ الرائحِ

فقال ثعلب : إنها لمِنْ مُختار الشعر ، ولقد أُنْشِدْتُ لبعض المُحْدَثين فى نحو هذا المعنى أبياتا حسنة ثم أنشدنا : ١

أيها النّاعيانِ مَن تَنْعَيانِ ... وعلى مَن أراكما تبكيـانِ
اندُبا الماجدَ الكريمَ أبا إسـ ... ـحاق ربَّ المعروف والإحسانِ
واذهبا بى إن لم يكن لكمـا عقـْ ... ـرٌ إلى جَنْبِ قبره فاعقِرانى ٢
وانضَحا مِنْ دمى عليه فقدْ كا ... نَ دمى مِنْ نَداه لوْ تعلمانِ

أخبرنى وكيعٌ قال : حدثنى إسحاق بن محمد النّخعى ، عن ابن عائشة ، عن أبيه قال :

كان المهلّب بن أبى صُفْرة بخُراسانَ ، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه ، فأمر له بجائزة ، فأقام عنده أياما ، قال : فإنّا لَبِعَشيّةٍ نشرب مع حَبيب ابن المهلّب فى دارٍ له فيها [دُلْبَةٌ] ٣ وفيها حمامةٌ إذ سَجعت الحمامة فقال زياد :

تَغَنَّىْ أنتِ فى ذِممى وعهدى ... وذِمّةِ والدى إنْ لم تُطارى ٤
وبيتَكِ أصلحيه ولاتخـافى ... على صُفْرٍ مُزَغّبةٍ صِغـارِ
فإنَّكِ كلّما غنّيْتِ صوتا ... ذَكَرْتُ أحبّتى وذكرتُ دارى
وإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثأْرًا ... له نَبَأً لأنكِ فى جِـوَارى

فقال حبيب : يا غلام ، هاتِ القوسَ ، فقال له زياد : وما تصنع بها ؟ قال :

(١) الأبيات لأحمد بن محمد الخثعمى ، كان يهاجى البحترى . انظر ابن خلكان ترجمة المهلب وتحقيقه للقائل .

(٢) فى مخطوط : إلى ترب قبره .

(٣) الدلبة : شجرة عظيمة عريضة الورق لا زهر لها ولا ثمر .

(٤) فى مخطوط : تضارى .

أرمى جارَتك هذه ، قال [أوَجارةٌ هى ؟] والله لئن رميتها لأستعدِيَنَّ عليكَ الأميرَ ، فأُتِيَ بالقوس ، فنزعَ لها سهما فقتلها ، فوثب زيادٌ فدخل على المهلَّب فحدثَّه الحديث وأنشده الشعر ، فقال المهلَّب : علَيَّ بأبي بِسْطام ، فأُتِيَ بحبيب فقال له : أعْطِ أبا أُمامةَ دِيَةَ جارته ألفَ دينار ، فقال : أطال الله بقاء الأمير إنما كنت ألعب . قال : أعْطِهِ كما آمرك [فأعطاه] فأنشأ زيادٌ يقول :

فللهِ عينا مَنْ رأى كَقَضِيَّةٍ قضَى لى بها قَرْمُ العراقِ المُهلَّبُ
رماها حبيبُ بنُ المهلَّبِ رَميَةً فأثبتها بالسَّهمِ والسَّهمُ تغرُبُ[1]
فألزمه عقْلَ القتيل ابنُ حُرَّةٍ وقال حبيبٌ : إنما كنتُ ألعبُ
فقال : زيادٌ لايُرَوَّعُ جارُه وجارةُ جارى مثلُ جارى وأقربُ

قال : فحمل حبيبٌ إليه ألف دينار على كُرْهٍ منه ، فإنه لَيشربُ مع حبيبٍ يوما إذْ عَرْبَدَ عليه حبيبٌ وقد كان اضطَغَنَ عليه ما جرى ، فأمر بِشَقِّ قَباءِ دِيباج كان عليه ، فقام وقال :

لَعَمْرُكَ ما الدِّيباجَ خرَّقْتَ وحدَه ولكنما خرَّقْتَ جِلْدَ المُهلَّبِ

فبعث المهلَّب إلى حبيب فأحضره وقال له : صدق زيادٌ ما خرَّقْتَ إلاَّ جلدى ، تبعث هذا على أنْ يهجونى : ثم بعث إليه فأحضره فاستلَّ سَخِيمتَه من صدره وأمر له بمالٍ وصِلَةٍ وصرَفه .

وقد أخبرنى وكيع بهذا الخبر أيضا قال أحمد بن الهيثم بن فِراس : قال العُمَرى ، عن الهيثم بن عَدِىّ [عن ابن عَيَّاشٍ] قال :

تهاجى قَتادة بن مُغْرِب اليشكرىُّ وزيادٌ الأعجم بخراسان وكان زياد يخرج وعليه قَباءُ ديباجٍ تشبُّهاً بالأعاجم ، فمرَّ به المغيرة[2] بن المهلب وهو على حالهِ تلك ، فأمر به فقُنِّعَ أسواطا ومُزِّقتْ ثيابه . وقال له : أبأهلِ الشِّرْكِ تتشبَّهه لاأُمَّ لك ، فقال زياد :

(١) فى المطبوع : والسهم يقرب .

(٢) فى المطبوع : يزيد بن المهلب . والتصويب من المخطوط ومن ابن خلكان ترجمة المهلب .

لعمرُكَ ما الديباجَ مزّقتَ وحدَهُ ولكنما مزّقت جلدَ المهلّبِ

ثم ذكر باقى الخبر مثله وقال فيه : فدعا به المهلّبُ فقال له : يا أبا أُمامة قلت شيئا آخر ؟ قال : لا والله أيها الأمير ، قال : فلا تَقُلْ . وأعتَبَه وكساه وحمله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ،وقال له : اعذِر ابنَ أخيك يا أبا أُمامة فإنه لم يعرفك .

وهذه الأبياتُ التى فيها الغناء يقولها زيادٌ الأعجم فى عُمرَ بنِ عبيد الله بن مَعْمَرَ التَّيمِىّ .

عمر بن عبيد الله بن معمر :

أخبرنى بخبره فى ذلك أحمدُ بن عبدالعزيز الجوهرىُّ قال : حدثنا عُمَرُ بن شبّة قال :

أتى زياد الأعجم عُمرَ بن عبيدالله بن معمر بفارسَ ، وقدم عليه عِراكُ بنُ محمدٍ الفقيهُ من مصر ، فكان عِراكٌ يحدّثه بحديث الفقهاء فقال زياد :

يُحدّثنا أنّ القيامةَ قد أتــتْ وجاء عِراكٌ يبتغى[1] المالَ من مصرِ

فكم بين باب النُّوب[2] إن كنتَ صادقا وإيوان كسرى من فَلاةٍ ومن قصرِ

وقال يمدح عمر بن عبيد الله :

سألناه الجـزيلَ فـا تأبّى وأعطى فوقَ مُنْيَتِنا وزادا

وذكر الأبيات الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبى الدُّنيا : قال حدثنا محمد بن زياد[3] ، عن ابن عائشة . وأخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنى عيسى بن إسماعيل ، عن ابن عائشة ، وخــبرُ ابن أبى الدنيا أتمُّ قال :

---

(١) فى مخطوط : يطلب .

(٢) فى المطبوع : باب الترك .

(٣) فى مخطوط : محمد بن زكريا .

كان زياد الأعجم صديقا لعمر بن عبيد الله بن مَعْمَر قبل أن يَلِيَ ، فقال له عمر : يا أبا أُمامة لو قد وليتُ لتركتُك لاتحتاج إلى أحد أبدا ، فلما ولى عمر فارس قصده زياد فلما لقيه أنشأ يقول :

أَبْلِغْ أبا حَفْصٍ رسالةَ ناصحٍ أتتْ من زياد مُستبيناً كلامُها
فإنك مثلُ الشمسِ لاسِتْرَ دُونها فكيف أبا حَفْصٍ علىَّ ظلامُها

فقال له عمر : لايكون عليك ظلامها أبدا ، فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو الله فى السرَّ أن أرى أمور مَعَدّ فى يديك نِظامُها

فقال له : قد رأيت ذلك ، فقال :

فلما أتانى ما أردْتُ تباشرَتْ بناتى وَقُلْنَ العام لاشكّ عامُها

قال : فهو عامُهُنّ إن شاء الله تعالى ، فقال :

فإنى وأرْضًا أنت فيها ابنَ مَعْمَرٍ كمكّةَ لم تَطْرَبْ لأرْضٍ حَمامُها

قال : فهى كذلك يا زياد ، فقال :

إذا اخترتَ أرْضًا للمُقامِ رَضِيتُها لنفسى ولم يثقلْ علىَّ مُقامُها
وكنتُ أمنّى النفس منك ابن مَعْمَرٍ أمانىَّ أرجو أنْ يتِمّ تمامُها

قال : قد أتمها الله لك ، فقال :

فلا أكُ كالمُجْرِى إلى رأْس غايةٍ بِوَحْىٍ[1] سماءٍ لم يُصِبْه غمامُها

قال : لست كذلك ، فسَلْ حاجتَك . قال : نجيبةٌ ورِحالُها ، وفرس رائع وسائسه ، وبَدْرة وحاملها ، وجاريةٌ وخادمها ، وتَخْتُ ثيابٍ وَوَصِيفٌ يحمله فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ ، وهو لك علينا فى كلّ عام ، فخرج من عند عُمَرَ حتى قدم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابُورَ فأنزله وألطفه ، فقال فى ذلك :

إنّ السماحة والمروءة والنـدى فى قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشْرَج

(١) فى المطبوع : يرجى سماء .

مَلِكٌ أغَرّ متوّجٌ ذو نائـــل   للمُعْتَفين يمينه لم تَشْنَـــجِ[1]
يا خيرَ من صَعِدَ المنابر بالتُّـــقى   بعد النبىّ المصطفى المُتَحَـــرِّجِ
لمَّا أتيتك راجيا لنـــــوالكمْ   ألفيتُ باب نوالكم لم يُرْتَـــجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

أخبرنا محمَّد بن خلفٍ وكيعٌ ، عن عبد الله بن محمد، عن عبيد عن الحسن بن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه :

أتى زياد عبدَ الله بن عامر بن كُرَيْزٍ . والخبر الأول أصحُّ وزاد فى الشعر :

أخٌ لك لاتراه الدهــــرَ إلاَّ   على العِلاَّتِ بَسَّاما جَـــوَادَا

فقال له عمر : أحسنت يا أبا أُمامة ، ولك بكل بيت ألف، قال دعنى أُتَمِّمْها[2] مائة ، قال : أَما إنَّكَ لو كنت فعلتَ لفعلتُ ، ولكن لك ما رُزِقْتَ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا ابن عائشة قال : حدثنى أبى قال :

لما خرج ابنُ الأشعث أرسل عبد الملك بن مروان إلى عمر بن عبيد الله بن معمر ليقدم عليه، فلما كان بضُمَيرٍ وهى بالشام مات بالطاعون، فقام عبد الملك على قبره وقال : أما والله لقد علمتْ قُرَيشٌ أنْ قد فقدت اليوم نابا من أنيابها . وقال جدُّ خلادِ بن أبى عمرٍو الأعمى — وكانوا موَالىَ وَجْرَةَ بنِ أبى عمرِو بنِ أُمَيَّةَ — أهُوَ اليومَ نابٌ لما ماتَ وكانَ أمْسِ ضِرسا كَليلَةً ؟ أما والله لوَدِدْتُ أنّ السماء وقعتْ على الأرض فلم يَعِشْ بينهما أحدٌ بعده . وسمعها عبدُ الملك فتغافل عنها ، قال : وقال الفرزدق يرثيه :

يا أيُّها الناس لاتبكوا على أحدٍ   بعد الذى بضُمَيرٍ وافقَ القدَرَا
كانتْ يداه لنا سيفا نَصول به   على العدُوّ وَغَيْثا يُنبتُ الشجرَا
أمَّا قريشٌ أبا حَفْصٍ فقد رُزِئتْ   بالشام ـ إذا فارقتكَ البأْسَ والظَّفرا

(١) لم تشنج : لم تتقبض . وهو كناية عن عدم بخله .

(٢) فى مخطوط : فإنها .

من يقتُلُ الجوعَ من بعد الشهيد ومن ... بالسيف يقتلُ كبشَ القوم إن عَكَرا[١]
إنّ النوائح لم يَعْدُدنَ فى عُمَرٍ ... ما كان فيه إذا المَوْلى به افتخرا
إذا عدَدْنَ فعالاً أوْ لهُ حَسَبا ... ويَوْمَ هيجاءَ يُغْشِي بأسُه البصرا
كم من جبانٍ إلى الهيجا دنَوْتَ بِهِ[٢] ... يوم اللقاءِ ولولا أنت ما صبرا

أخبرنا أحمد قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عفّانُ بن مُسْلم قال : حدثنا حمّاد بن سلَمة قال : أخبرنا حُميد عن سليمان بن قَتَّة قال :

بعث عمر بن عبيد الله بن معمر إلى ابن عُمَر والقاسم بن محمد بألف دينار فأتيتُ عبدَ الله بن عُمَرَ وهو يغتسل فى مستحَمّ له ، فأخرج يدَه فصببتها فى يده فقال وَصَلَتْهُ رَحِمٌ قد جاءتنا على حاجة . وأتيت القاسم فأبى أن يقبلها ، فقالت لى امرأتُه : إن كان القاسمُ ابنَ عمّه فأنا ابنةُ عمه . فأعطيتها إياها ، قال : وكان عمر يبعث بهذه الثياب العُمَرِيَّة إلى المدينة فيقسمها بين أهلها ، فقال ابنُ عمر : جزى الله رجلاً أفشى هذه الثياب بالمدينة خيرا . قال : وقال لى ابن عمر : لقد بلغنى عن صاحبك شىء كرهته ، قلت : وما ذاك ؟ قال : يعطى المهاجرين ألفا ألفا ويعطى الأنصار سبعمائة سبعمائة ، فأخبرته ، فسوى بينهم .

أخبرنا أحمد قال : حدثنا أبو زيد قال :

كانت لرجل جارية يهواها ، فاحتاج إلى بيعها ، فابتاعها منه عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلما قبض ثمنها أنشأ ت تقول :

هنيئا لك المال الذى قد قبضتَه ... ولم يَبْقَ فى كفّىَّ غيرُ التحسُّرِ
أبُوء بحُزْنٍ من فراقك موجِعٍ ... أُناجى به قلبا طويل التفكُّرِ

فقال الرجل :[٣]

ولولا قعودُ الدّهر بى عنكِ لم يكن ... يفرّقنا شىءٌ سوى الموتِ فاعذرِى

(١) كبش القوم : سيدهم . وعكرا : كر وحمل . وفى المطبوع : غدرا . وفى مخطوط : الجوع بعد ابن الشهيد .
(٢) فى مخطوط : كم من جنان إلى الهيجا دنوت به .
(٣) فى المطبوع : فقال : لا ترحلى ثم قال .

عليكَ سلامٌ لازيارةَ بيننا ... ولاوَصْلَ إلاَّ أن يشاءَ ابنُ معمرِ

فقال : قد شئتُ ، خُذ الجاريةَ وثمنها . فأخذها وانصرف .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا محمد بن زياد قال : حدثنا ابن عائشة قال :

استبطأ زيادٌ الأعجمُ عمرَ بنَ عبيد الله بن معمر فى بعض زياراته إياه فقال :

أصابت علينا جُودَكَ العينُ يا عُمرْ ... فنحن لها نَبْغى التَّمائمَ والنُّشَرْ[1]

أصابتْك عينٌ فى سَماحِك صُلْبَةٌ ... ويا رُبَّ عينٍ صُلْبةٍ تَفْلِقُ الحَجرْ

سَنَرْقيك بالأشعار حتى تَمَلَّها ... فإنْ لم تُفِقْ يوما رَقيناك بالسُّوَرْ

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرّحه .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكُرّانىّ قال : حدثنى العُمَرىّ قال : حدثنى مَنْ سَمِع حمادًا الراوية يقول :

امتدح زيادٌ الأعجمُ عبَّادَ بنَ الحُصَين الحَبَطِىَّ وكان على شُرط البصرة أيام الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الذى يقال له القُباع ، وطلب حاجة فلم يقضها ، فقال زياد الأعجم :

سألت أبا جَهْضَمٍ حاجةً ... وكنتُ أراه قريبا يَسيرًا

فلو أننى خِفت منه الخِلا ... فَ والمنع لى لم أسَلْه نَقيرًا[2]

وكيف الرجاءُ لما عنده ... وقد خالط البخلُ منه الضَّميرا

أقِلْنى أبا جَهْضَمٍ مِدْحتى[3] ... فإنى امرؤٌ كان ظنى غُرورا

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانىّ ، عن العُمرى ، عن عطاء بن مُصعب ، عن عاصم بن الحدثان قال :

مرَّ يَزيدُ بن حَبْناءَ الضبىُّ بزيادٍ الأعجم وهو يُنشد شعرا قد هجا به قتادة ابن مُعْرِب فأفحش فيه ، فقال له يزيدُ بنُ حبناء : ألم يأنِ لك أن تَرْعَوِىَ

(١) النشر : جمع النشرة ، وهى رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٢) النقير : النكتة فى ظهر النواة .

(٣) المطبوع : حاجتى .

وتترك تمزيق أعراضِ قومك . ويحك حتى متى تتمادى فى الضلال ؟ كأنك بالموت قد صبَّحك أو مسَّاك . فقال زياد فيه :

يحذّرنى الموتَ ابنُ حبناءَ والفتى ... إلى الموتِ يغدو جاهدًا ويرُوحُ
وكلُّ امرىءٍ لابدَّ للموت صائرٌ ... وإن عاش دهرًا فى البلاد يَسيحُ
فقل ليزيدٍ يا ابنَ حَبْناء لاتَعِظْ ... أخاك وَعِظْ نفسا فأنت جَنُوحُ
تركْتَ التُّقى والدّينَ دينَ محمَّدٍ ... لأهل التقى والمسلمين يَلُوحُ
وتابعْتَ مُرّاق العِراقين سادِرًا ... وأنت غليظُ القُصْرَيَيْنِ صحيحُ[1]

فقال له يزيد بن عاصم الشَّنّىّ[2] : قبحك اللهُ ، أتهجو رجلا وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء ؟ هلا كففت إذْ لم تقبل ؟ أُرَاه واللهِ سيأتى على نفسك ثم لاتحيق فيك عزانٍ[3] اذهبْ ويحك فأْتِه واعتذِر إليه لعله يقبل عُذرك . فمشى إليه بجماعة من عبدالقيس فشفعوا إليه فيه فقال: لا تثريبَ . لست واجدا عليك بعد يومى هذا .

أخبرنى أحمد بن يحيى بن على بن يحيي المنجم قال سمعت جدّى علىَّ بنَ يحيى يحدث عن أبى الحسن :

عن رجل من جُعْفِىّ قال : كنت جالسا عند المهلّب إذ أقبل رجل طويل مُضطرب ، فلما رآه المهلب قال : اللهم إنى أعوذ بك من شره ، فجاء فقال : أصلحا الله الأمير ، إنى قد امتدحتك ببيت صَفَدُه[4] مائة ألفِ درهم . فسكت المهلب ، فأعاد القول ، فقال له : أنْشِدْه . فأنشده :

فتى زاده السُّلْطانُ فى الخيرِ رغبةً ... إذا غَيَّر السلطانُ كلَّ خليلِ

فقال له المهلب : يا أبا أُمامة أمّا مائة ألف فوالله ما هى عندنا ، ولكن ثلاثون ألفا فيها عُرُوض . وأمر له بها ، فإذا هو زياد الأعجم :

(١) القصريان : ضلعان يليان الترقوتين .
(٢) فى المطبوع : الليثى .
(٣) هو مثل لاينتطح فيه عنزان . ومعنى يحيق : ينزل . والمراد : الضيق الشديد .
(٤) الصفد : العطاء .

[نسخت من كتاب عليّ بن إسماعيل : حدثني هارونُ بنُ مسلم قال : حدثني جعفر بن يزيد وعليّ بن محمد المدائني ، عن عوانة قال :

حضرت امرأةً من بني تميم الوفاةُ فقيل لها : ما توصين ؟ فقالت وَما لِيَ مِنْ مالي ؟ قيل : الثُّلث ، قالت : فمن يقول :

لعمرُك ما رماحُ بني تميم بطائشةِ الصدورِ ولاقصارِ

قالوا : زياد الأعجم . قالت : فثلثي له . وماتت] .

أخبرني عمّي قال : حدثني الكُرانيّ وأبو العَيْناء ، عن القَحْذَميّ قال :

لقي الفرزدق زياداً الأعجم فقال له : يا زياد لقد هممت أن أهجو عبد القيس وأصف من فَسْوِهم شيئا . فقال له زياد : كما أنت حتى أُسمعك شيئا ثم قُلْ إن شئت أو أمسِكْ . قال : هاتِ ، قال :

وما ترَكَ الهاجُون لي إنْ هجوتُه مَصَحًّا أراه في أديم الفرزدقِ

فإنّا وما تُهْدِي لنا إنْ هجوتَنا لكالبحرِ مهما يُلْقَ في البحرِ يَغرَقِ

فقال له الفرزدق : حسبُك ، هلُمَّ نتتارك . قال : ذاك إليك . وما عاوده بشيء .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا العُكلي [1] عن العباس بن هشام ، عن أبيه قال : حدثني خِراش وكان عالما راوية لأبي ولمُؤرّج والخالد [2] بن كلثوم قال :

أقبل الفرزدقُ وزيادٌ الأعجم يُنشد الناسَ في المِربَدِ وقد اجتمعوا حوله فقال : من هذا ؟ قيل : الأعجم ، فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدق قد أقبل إليك ، فقام فتلقاه وحيّا كلُّ واحد منهما صاحبَه ، فقال له الفرزدق ما زالت نفسي تنازعني إلى هجاء عبد القيس منذ دهر ، قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأني رأيت الأشقَرِيَّ هجاكم فلم يصنع شيئا وأنا أشعر منه ، وقد عرفتُ الذي

(١) في المطبوع : العتبي .

(٢) في المطبوع : والجابر .

هيَّج بينك وبينه ، قال : وما هو ؟ قال : إنكم اجتمعتم فى قُبَّة عبد الله بن الحَشْرَج بخُراسانَ فقلتَ له : قد قلتُ شيئا فمن قال مثلَه فهو أشعرُ مِنّى ، ومن لم يَقُلْ مثلَه فألصِقْ فى [1] عنقه أنى أشعر منه ، فقال لك : وما قُلْتَ ؟ فقلتَ قلتَ :

وقافيةٍ حذّاءَ بِتُّ أحوكها[2] إذا ما سُهَيْلٌ فى السماء تَلالا

فقال لك الأشقرىُّ :

وأقلَفَ صَلّى بعد ما ناك أُمَّه يرى ذاك فى دين المَجوس حَلالا

فأقبلت على من حضر فقلت : ما لأم كعب ، أخزاها الله تعالى ؟ ما أنَمَّها حين تخبر ابنها بقُلْفَتى ، فضحك الناس وغُلِّبت عليه فى المجلس ، فقال له زياد : يا أبا فِراس ، هب لى نفسك ساعةً ولاتعجَلْ حتى يأتيك رسولى بهديَّتى ثم ترى رأيك . فكَفَّ الفرزدق وظن أنه سيُهدى إليه شيئا يستكِفُّه به . فكتب إليه :

وما ترك الهاجون لى إنْ أردتُهُ مَصَحًّا أراه فى أديم الفرزدقِ
وما تركوا لحما بدا فوق عظمه لآكله أبقوْهُ للمتعرِّقِ[3]
سأحطِمُ ما أبقَوْا له من عظامه وأنكُتُ[4] عظم الساق منه وأنتَقِى
فإنّا وما تُهْدِى لنا إنْ هجوتَنا لكالبحر مهما يُلقَ فى البحر يَغرَقِ

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوما أنت فيهم أبدا .

قال أبو المنذر هشامٌ : زيادٌ أهجى من كَعْبٍ الأشقرىِّ وقد أبرَّ عليه فى عدة قصائد منها التى يقول فيها :

قُبَيْلَةُ خَيِّرُها شَرُّها[5] وأصدَقُها الكاذبُ الآثمُ

---

(١) فى مخطوط : الكلمة غير واضحة . وفى المطبوع : ومد إلى عنقه فإنى . . . وما أثبتناه أقرب لرسم المخطوط والمعنى المراد .

(٢) حذاء : منقطعة الأشباه .

(٣) المتعرق الذى يأخذ ما على العظم من اللحم بأسنانه .

(٤) نكت العظم : أخرج مخه ، وانتق العظم : أخرج مخه ، أيضا .

(٥) هكذا ضبط فى المخطوط بتصغير قبيلة ، ولعلها ، ويصح بها الوزن : « قبيلته خيرها » بدون تشديد خير .

وضيفُهُمُ وسْطَ أبياتهم ْ وإنْ لم يكن صائما صائمُ

وفيه يقول :

إذا عذّبَ اللهُ الرّجالَ بشعرهمْ أمِنْتُ لكعْبٍ أن يُعذّبَ بالشّعرِ

وفيه يقول :

أتتْكَ الأزْدُ تنفخ فى لِحاهــا تَساقطَ منْ مناخِرِها الجُوافُ[١]

أخبرنى وكيعٌ قال : حدثنى أحمد بن عمر بن بكير قال : حدثنا أبى قال : حدثنا الهيثم ، عن ابن عيّاش قال :

دخل أبو قِلابَةَ الجَرْمِىّ مسجدَ البصرةِ وإذا زيادٌ الأعجم [ينشد بعجمته . فقال : من هذا العِلْج ؟] فقال زياد : من هذا ؟ قالوا : أبو قلابة الجرمىّ ، فقام على رأسه فقال :

قم صاغرا ياكَهلَ جَرْمٍ فإنّما يقال لكهلِ الصّدق قُم غيرَ صاغرِ

فإنّكَ شَــيخٌ مَيّتٌ ومُوَرّثٌ قُضاعةَ ميراثَ البَسُوس وقاشرِ[٢]

قضى اللهُ خلْقَ الناس ثم خُلِقتمُ بقيّةَ خلْقِ اللهِ آخرَ آخِــرِ

فلم تَسمعوا إلاّ بما كان قبلكمْ ولم تُدْرِكُوا إلاّ مَدَقَّ الحوافرِ

فلوْ رَدَّ أهلُ الحقّ مَنْ ماتَ منكمُ إلى حقّه لم تُدْفَنوا فى المقابرِ

فقيل له : فأين كانوا يُدْفنون يا أبا أُمامة ؟ قال : فى النّواويس[٣] .

(١) الجواف : ضرب من السمك . ولعله شبه به ما يسيل متساقطا من الأنوف . وفى المطبوع :

أتتك الأزد مصفرا لحاها تساقط من مبادبها الجراف

(٢) البسوس : اسم امرأة ضرب بها المثل فى الشؤم ، أو هى ناقة . وقاشر : اسم فحل كان شؤما ، يقال فيه : أشأم من قاشر .

(٣) النواويس : جمع ناووس ، وهى مقابر غير المسلمين .

أخبار شارية

قال أبوالفرج على بن الحسين [١] كانت شارِيَةُ مُوَلَّدة من مولَّدات البصرة، يقال : إن أباها كان رجلا من بنى سامَةَ بن لُؤَىّ المعروفين ببنى ناجية وإنه جَحَدها ، وكانت أُمها أمَةً فدخلت فى الرِّقّ ، وقيل : بل سُرِقَتْ فبيعت ، فاشتَرتها امرأةٌ من بنى هاشم فأدَّبتها وعلَّمتها الغناء ، ثم اشتَراها إبراهيم بن المَهدىَ فأخذت غناءه كُله أو أكثره عنه . وبذلك يَحتَجُّ مَن يُقدمها على عَرِيبَ ويقول : إن إبراهيم خرَّجها وكان يأخذها بصِحَّة الأداء لنفسه وبمعرفة ما يأخذها به ، ولم تكن هذه حال عَرِيبَ لأن المَرَاكِبِىَّ لم يكن يُقارن إبراهيمَ فى العلم ، ولايقاس به فى بعضه فضلا عن سائره .

أخبرنى بخبرها محمد بن إبراهيم قَرِيصٌ أنَّ ابن المعتز دفع إليه كتابه الذى ألفه فى أخبارها وقال له أن يَرْوِيه عنه ، فنسخت منه ماكان يصلح لهذا الكتاب على شرطى فيه ، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها من غيره فى الكتب وسمعته أنا عمن رويته عنه .

قال ابن المعتز : حدثنى عيسى بن هارون المنصورى أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بَصْرِيَّة من وَلَد جعفرِ بن سليمان ، فحملتها لتبيعها ببغداد ، فعُرِضتْ على إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فأعطى بها ثلاثمائة دينار ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها ، فجىء بها إلى إبراهيم بن المهدى ، فعُرضت عليه فساوم بها ، فقالت له : قد بذلتها لإسحاق بن إبراهيم بثلاثمائة دينار ، والأمير أعزه الله أولى بها . فقال : زِنوا لها ما قالت مولاتها : فوُزِن ، ثم دعا بقيِّمته فقال : خذى هذه الجارية ولاتُربنيها سنَةً ، وقولى للجوارى يطرحْنَ عليها . فلما كان بعد سنة

(١) هذه الجملة لاتوجد فى مخطوط .

أُخرجت إليه ، فنظر إليها وسمعها ، فأرسل إلى إسحاق بن ابراهيم الموصلى فأتاه وأراه إياها ، وأسمعه غناءها وقال : هذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهى رخيصة بها ، فقال له إبراهيم : أتعرفها ؟ قال : لا ، قال : هذه الجارية التى عرضتُها عليك الهاشمية بثلاثمائة دينار فلم تقبلها . فبقى إسحاق متحيرا ويتعجب من حالها وما انقلبت إليه .

قال ابن المعتز : وحدثنى الهشامى ، عن محمد بن راشد : أن شارية كانت مولدة بالبصرة ، وكانت لها أمٌّ خبيثة مُنْكَرَة تَدَّعى أنها بنت محمد بن زيد من بنى سامة بن لؤى .

قال ابن المعتز : وحدّثنى غيرُه أنها كانت تدّعى أنها من بنى زُهْرة قال الهشامى : فجىء بها إلى بغداد وعُرضت على إبراهيم بن المهدى فأُعجب بها إعجابا شديدا ، فلم يزل يُعْطِى بها حتى بلغت ثمانية آلاف درهم ، فقال لى هبةُ الله ابنُ إبراهيم : إنه لم يكن عند أبى درهم ولا دينار ، فقال لى : ويحك ، قد أعجبتنى والله هذه الجاريةُ إعجابا شديدا وليس عندنا شىء . فقلت له : تبيع ما تملكه حتى الخزف وتجمع ثمنها ، فقال لى : قد تفكّرْت فى شىء اذهب إلى علىّ بن هشام فأقرئه منى السلام ، وقل له : جعلنى الله فداءك ، قد عُرضت علىّ جاريةٌ وقد أخذتْ بمَجامع قلبى ، وليس عندى ثمنها ، فأُحب أن تُقرِضنى عشرة آلاف درهم [فقلت له : ثمنها ثمانية آلاف درهم ، فلم تُكثرُ على الرجل بعشرة آلاف درهم ؟] فقال : إذا اشتريتها بثمانية آلاف درهم لابد أن نكسوها ونقيم لها ما تحتاج إليه . فصرت إلى علىّ بن هشام فأبلغته الرسالة فدعا بوكيل له وقال له : ادفع إلى خادمه عشرين ألفا وقل له أنا لا أَصِلُك ، ولكن هى لك حلال فى الدنيا والآخرة . قال فصرت إلى أبى بالدراهم ، فلو طلعتُ عليه بالخلافة لم تكن تعدِلُ عنده تلك الدراهم .

وكانت أمها خبيثةً ، فكانت كلّما لم يُعْطِ إبراهيم ابنتها ما تشتهى ذهبت إلى عبد الوهاب بن علىّ ودفعتْ إليه رُقعةً يرفعها إلى المعتصم أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

قال ابن المعتز : وأخبرنى عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب قال: ذكر يوسف بن إبراهيم المِصرىُّ صاحبُ إبراهيم بن المهدى أن إبراهيم وجَّه به إلى عبد الوهاب بن علىّ فى حاجة كانت له، قال: فلقيتُه وانصرفتُ من عنده، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتنى امرأة ، فلما بصُرت بى [1] سترتْ وجهها ، فأخبرنى شاكرِىّ [2] أن المرأة هى أمُّ شاريةَ جاريةِ إبراهيم ، فبادرت إلى إبراهيم وقلت له : أدْرِكْ فانى رأيت أمّ شارية فى دار عبد الوهاب ، وهى مَنْ تعلم وما يَفْجَؤُكَ إلاّ حيلةٌ قد أوقعتْها . فقال لى فى جواب ذلك : إنى أشهدك أن جاريتى شارية صدقةٌ عن ميمونة بنت إبراهيم بن المهدى ثم أشْهد ابنَهُ هبةَ الله على مثل ما أشهدنى عليه ، وأمرنى بالركوب إلى دار ابن أبى دُؤاد وإحضار من قدرتُ عليه من الشهود المُعَدّلين عنده فأحضرته أكثر من عشرين شاهدا ، فأمر بإخراج شارية فخرجت ، فقال لها : اسفِرِى ، فجزعت من ذلك ، فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يُريده بها ، ففعلت فقال لها : تَسَمَّىْ ، فقالت : أنا شاريةُ أَمَتُكَ ، فقال لهم: تأمّلوا وجهها ، ففعلوا ، ثم قال : فإنى أُشهدكم أنها حرّة لوجه الله تعالى وأنى قد تزوجتها وأصدقتها عشرة آلاف درهم ، يا شاريةُ مولاةَ إبراهيم بن المهدىِ أرَضِيت ؟ قالت : نعم يا سيدى والحمدُ لله على ماأنعم به علىّ . فأمرها بالدخول ، وأطعم الشهود وطيَّبهم وانصرفوا، فما أحسبهم بلَغوا [3] دار ابن أبى دُؤاد حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علىّ فأقرأ إبراهيم سلام المعتصم ثم قال له : يقول لك أمير المؤمنين : من المفترض علىّ طاعتُك ، وصيانتك عن كل ما يَعُرُّكَ [4] . إذ كنت عمى وصِنْوَ أبى ، وقد رفعَتْ إلىّ امرأةٌ من من قريش قصّةً ذكرتْ فيها أنها من بنى زُهرة صَلِيبَة [5] وأنها أم شارية، واحتجّت بأنه لا تكون بنتُ امرأةٍ من قريش أمَةً ، فإن كانت هذه المرأة صادقة فى أن

(١) فى المطبوع : فلما نظرت فى وجهى .

(٢) الشاكرى : المستخدم .

(٣) فى المطبوع : راموا .

(٤) فى المطبوع : يضرك .

(٥) صليبة : خالصة النسب .

شاريةَ بنتَها ، وأنها من بنى زهرة ، فمن المحال أن تكون شارية أمة ، والأشْبَه بك والأصلحُ إخراجُ شارية من دارك وسَتْرها عند من تثق به من أهلك ، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة ، فإن ثبت ذلك أمرْتَ من جعلتها عنده بإطلاقها وكان الحظُّ فى ذلك لك فى دينك ومُرُوءتك ، وإن لم يَصِحّ ذلك أُعيدَت الجارية إلى منزلك ، وقد زال عنك القول الذى لا يليق بك ، ولا تخش . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هَبْ شاريةَ بنتَ زُهْرةَ بنِ كِلاب ، أتُنْكر على ابن العباس ابن عبد المطلب أن يكون بعلاً لها ؟ فقال عبد الوهاب : لا ، فقال له إبراهيم : فأبلغْ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأخبِرْه أن شارية حرة ، وأنى قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول .

وقد كان الشهود بعد مُنْصَرفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبى دُؤاد ، فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه فأعلموه أنهم حضروا عِتْقَ شارية وتزويجَ إبراهيم إياها ، فركب إلى المعتصم فحدثه بالحديث مُعْجِبا له منه ، فقال : ضلّ سعْىُ عبد الوهاب .

ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلما رآه يمشى فى صحن الدار سَدّ المعتصمُ أنفَ نفسِه وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشمُّ رائحة صوف مُحَرّق وأحسب أن عمى لم يُقْنعه رَدُّك إلاّ وعلى أذنك صُوفةٌ حتى أحرقها فشممتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظن أمير المؤمنين وأقبح[1] .

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ابتاع إبراهيم من بنته ميمونةَ شاريةَ بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها وهى فى مِلْك غيره ، ثم ابتاعها من ميمونة ، فحلّ له فرجُها ، فكان يطؤُها على أنها أَمَته ، وهى تتوهم أنه يطؤها على أنها حرّة ، فلما تُوُفِّىَ طلبتْ مشاركةَ أمّ محمدِ بنت خالد مولاته وزوجته فى الثُّمُن ، فأظهرت خبَرَها ، وسُئلت ميمونة وهبةُ الله عن الخبر فأخبرا به المعتصم ، فأمر المعتصم بابتياعها من ميمُونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخَمْسمائة دينار وحُوِّلت إلى داره ، فكانت فى ملكه حتى تُوُفِّى المعتصم .

(١) فى مخطوط : وأسمج . (٢) فى المطبوع : مشاركة بنت محمد بن خالد .

قال ابن المعتز : وقد قيل : إن المعتصم ابتاعها بثلاثمائة ألف درهم ، قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم اقترض ثمن شارية من ابنه . وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فربَّاها تربية الولد حتى لقد ذكرتْ أنها كانت في حِجْره جالسةً وقد أُعجب بصوت أخذته إذ طَمِثَتْ أول طَمْثِها ، وأحسَّ بذلك فدعا قَيِّمةً له ، فأمرها بأن تأتيه بثوبٍ خامٍ فلفَّه عليها وقال : احمليها فلقد اقشعرَّت وأحسب أنَّ بَرْدَ الخيش قد آذاها .

وقال : وحدثتْ شاريةُ أنها كانت معه في حرَّاقة[١] قد توسَّط بها دِجْلة في ليلة مُقْمِرة وهي تغني إذِ اندفعت فغنت :

لقد حثُّوا الجمال ليهـ ـربوا منَّا فلم يئلُوا[٢]

فوثب إليها فأمسك فاها وقال : أنت والله أحسن من الغَرِيض وجها وغناءً فما يُؤْمِنني عليك ؟ أمسِكي .

قال : وحدثني حَمدونُ بن إسماعيل أنه دخل على إبراهيم يوما فقال له : أتحب أن أُسمعك شيئا لم تسمع مثله قط ؟ فقلت : نعم ، فقال : هاتوا شارية ، فخرجتْ فأمرها أن تُغنى لحن إسحاق :

• هل بالديار التى حَيَّيْتها أحدُ[٣] •

قال حمدون : فغنتنى شيئا لم أسمع مثله قط فقلت : لا والله يا سيدى ما سمعت هذا قط ، فقال : أتحب أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لايكون، فقال : بلى والله لقد كان[٤] . فقلت : على اسم الله ، فغناه هو ، فرأيت فضلا عجيبا ، فقلت : ما ظننت أن هذا يَفْضُل ذاك هذا الفضْلَ ، قال : أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذى لايكون ، فقال : بلى والله ، فقلت : فهاتِ ، قال : بحياتى ياشارية قُوليه وأجيلى حلْقك فيه ، فسمعت واللهِ فَضْلاً بيِّنا ، فأكثرت التعجب فقال لى : يا أبا جعفر ما أهوَن هذا على السامع ؟

---

(١) الحراقة : نوع من السفن . (٢) لم يئلوا : لم ينجوا .
(٣) فى المطبوع : التى قد جئتها . (٤) فى مخطوط : والله تقربذاك .

تدرى بالله كم مرّة رددتُ عليها موضعا فى هذا الصوت ؟ قلت : لا ، قال : قل وأكْثِرْ ، قلت : مائة مرّة ، قال : اصعَدْ ما بدا لك ، قلت : ثلاثمائة ، قال أكثرُ والله من ألف مرة حتى قالتْه . كذا قال :

وكانت رَيِّقُ تقول : إن شارية إذا اضطربت فى صوت فغاية ما عنده من عقوبتها أن يُقيمها تغنيه على رِجْليها ، فإن لم تَبْلغ الذى أراد ضُربَتْ رَيِّقُ .

قال : ويقال : إنْ شارية لم تَضْرِبْ بالعود إلاّ فى أيام المتوكل لمّا اتصل الشرّ بينها وبين عَرِيبَ ، فصارت تَقْعُد بها عند الضَّرْبِ[1] ، فضربت هى بعد ذلك .

قال ابن المعتز : وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم المعروف بسَهْلٍ الأحول — وكان قاضىَ الكُتّاب فى زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخا ثِقة — قال : أعطى المعتصمُ إبراهيم بشاريةَ سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها فعاتبته على ذلك فلم يجبنى بشىء ، ثم دعانى بعد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة ، فأحضره الغلامُ سَفّودًا فيه ثلاث فراريجَ ، فرمى إلىّ بواحدة فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رطلا وسقانيه ، ثم أُتِىَ بسفّود آخر ، ففعل كما فعل وشرب كما شرب وسقانى ، ثم ضَرَب سِترًا كان إلى جانبه ، فسمعت حركة العِيدانِ . ثم قال : يا شارية تغَنّىْ ، فسمعت شيئا ذهب بعقلى ، فقال لى : يا سهْلُ ، هذه التى عاتبتنى عليها فى أن أبيعها بسبعين ألف دينار ، لا والله ولا هذه الساعةَ الواحدةَ بسبعين ألف دينار .

قال : وكانت شارية تقول : إن أباها من قُريش وإنها سُرِقت وهى صغيرة فبيعتْ بالبصرة من امرأةٍ هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدى ، والله أعلم .

أخبرنى عمى قال : حدثنى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : أمرنى المعتز ذات يوم بالمُقام عنده فأقمت ، فأمر فمُدّت الستارة ، وخرج من كان يُغنى وراءها وفيهن شارية ولم أكن سمعتُها قبل ذلك . فاستحسنت ما سمعت منها ،

(١) أى تهمها وتنتقصها بأنها لاتعرف الضرب بالعود .

فقال لى أمير المؤمنين المعتز : يا عُبيد الله [كيف] [١] ما تسمع منها عندك ؟ فقلت : حظُّ العجب من هذا الغناء أكثر من حظ الطرب . فاستحسن ذلك وأخبرها به فاستحسنته .

قال ابن المعتز : وأخبرنى الهشامى قال : قالت لى رَيِّقُ : كنت ألعب أنا وشارية بالنَّرْدِ بين يدَىْ إبراهيم وهو متكىء على مخدَّة وهو ينظر إلينا ، فجرى بينى وبين شارية مشاجرة فى اللعب ، فأغلظت لها فى الكلام بعض الغِلْظة ، فاستوى إبراهيم جالسا وقال : أراكِ تستخِفِّين بها ، فوالله ما أجِد أحدًا يَخْلُفُك غيرها ، وأومأ إلى حلقه بيده [٢] .

قال : وحدثنى الهشامى قال : حدثنى عمرو بن بانة قال : حضرت يوما مجلس المعتصم ، وضربت الستارة وخرجت الجوارى ، وكنت إلى جنب مُخارِق ، فغنت شارية فأحسنت جدًا ، فقلت لمخارق : هذه الجارية فى حُسْن الغناء على ماتسمع ووجهها وجه حسن ، فكيف لم يتَحَرَّم بها إبراهيم بن المهدى ؟ فقال : لى أحدُ الحظوظ التى رُفِعَت لهذا الخليفة ومنع إبراهيم بن المهدى من ذلك .

قال عبد الله بن المعتز : وحدثنى أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علىّ بن يحيى عن رَيِّق قالت : استزار المعتصمُ من إبراهيم بن المهدى جواريَه ، وكان فى جفوه من السلطان تلك الأيامَ فنالته ضيقَةٌ ، قالت فتحمَّل ذهابَنا إليه على ضعْفٍ ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن فى سراويلات مرقَّعة [٣] ، فجعلنا نرى جوارىَ المعتصم وما عليهنَّ من الجواهر والثياب الفاخرة فلم تَسْتَجمع إلينا أنفُسنا حتّى غنوا [٤] وغنينا ، فطرب المعتصم على غنائنا ورآنا أمثَل من جواريه [٥] فتحوّلَتْ إلينا أنفُسنا فى التِّيه والصَّلَف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

---

(١) زيادة من نهاية الأرب ج ٥ ص ٨٤ ، وقد نقل عن الأغانى .

(٢) فى مخطوط : فوالله ما أخذ بحلقك أحد غيرها ، وأومأ إلى حلقه بيده وفى المطبوع : بيدها .

(٣) فى مخطوط : مرتقعة .

(٤) كان حقه أن يقال : حتّى غنين .

(٥) فى مخطوط : فرأيتهن مثل جوارينا ، ومعنى أمثل : أفضل .

قال : وحدثنى أبو العُبَيْس [1] عن أبيه قال : كانت شارية أحسن الناس غناء منذ توفى المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

قال أبو العُبَيْس : وحدثتنى رَيِّقُ أن المعتصم افتضها ، وأنها كانت معها فى تلك الليلة .

قال أبو العُبَيْس : وحدثتنى طباعُ جاريةُ الواثق أن الواثق كان يسميها سِتّى وكانت تُعَلِّم فريدة فلم تُبْقِ فى تعليمها غايةً ، إلى أن وقع بينهما شر بحضرة الواثق ، فحلفت أنها لاتنصحها ولا تنصح أحدا بعدها ، فلم تكن تَطْرَح بعد ذلك صوتا إلاَّ نَقَصت من نغمه .

وكان المعتمد قد تعشق شَرَّةَ جاريتَها ، وكانت أكمل الناس ملاحةً وخفَّةَ رُوح ، وعجز عن شرائها ، فسأل أمَّ المعتز أن تشتريها له ، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار وأهدتها إليه ، ثم تزوجت بعد وفاة المعتمد بابن البَقَّالِ المُغَنِّى ، وكان يتعشقها ، فقال عبد الله بن المعتز ، وكان يتعشقها :

أقول وقد ضاقتْ بأحزانها نفسى ... ألا رُبَّ تطليقٍ قريبٌ من العُرْسِ
لئن صرتِ للبقَّال يا شَرَّ زوجَةً ... فلاعجبٌ قديرْبِض الكلبُ فى الشمس

وقال يعقوب بنُ بُنان : كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف ، فلما بلغه رحيلُ موسى بن بُغا من الجبل يريده بسبب قتله المعتز أودع شارية جوهره فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك ، فلما أوقع موسى بصالح استترتْ شاريةُ عند هارون بن شُعيب العُكبرىّ وكان أنظف خلق الله طعاما وأسراهم مائدة وأوسعهم فى كلّ شىء بعد ذلك ، وكان له بسرَّ من رأى منزلٌ ، وفيه بستان كبير وكانت شارية تسمِّيه أبى ، وتزوره إلى منزله ، فتحمل معها كل شىء تحتاج إليه حتى الحصير الذى تقعد عليه ، قال : وكانت شارية من أكرم الناس ، عاشرها [أبو الحسن علىُّ بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق فى وقت فاقترض منها على غير رهنٍ عشرةَ آلاف دينار فأقرضته ، ومكثت عليه أكثر من سنة ما أذكرته

(١) فى المطبوع : « أبو العنبس » .

ولا طالبته حتى ردّها ابتداءً] قال يعقوب بن بُنان وكان أهل سرّ من رأى متحازبين ، فقوم مع شارية وقوم مع عَرِيب ، لايدخل أصحاب هذه فى هؤلاء ولا أصحاب هذه فى هؤلاء ، فكان أبو الصَّقْر إسماعيل بن بلبل عريبيًّا ، فدعا علىُّ ابنُ الحسين فى يوم جمعةٍ أبا الصَّقر وعنده عَرِيبُ وجواريها ، فاتصل الخبرُ بشاريةَ ، فبعثت بجواريها إلى علىّ بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهن وما أدرى : هى مهرجان أو مُطرب أو قُمْرِيَّة؟ إلا أنها إحدى الثلاث ، أن تغنيه :

لا تَعُودَنَّ بعْـــدها فترى كيفَ أصنعُ

فلما سمع علىّ الغناء ضحك وقال : لست أعود .

قال : وكان المعتمد قد وَثِق بشارية فلم يكن يأكل إلاّ طعامها ، فمكثت دهرا من الدهور تُعِدُّ له فى كل يوم جَوْنتين ، وكان طعامه منهما فى أيام المتوكل .

قال ابن المعتز : وحدثنى أحمد بن نُعَيم :

عن رَيِّق قالت : كان مولاى إبراهيم يسمى شارية بنتى ، ويسمينى أختى .

حدثنى جحظة قال : كنت عند المعتمد يوما فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيمَ ابنِ المهدىّ ولحنه :

يا طولَ عِلَّةِ قلْبِيَ المُعْتـــادِ[1] أَلِفَ الكرامَ وَصُحْبَـــةَ الأمجادِ

فقال لها : أحسنت واللهِ ، فقالت : هذا غنائى وأنا عارية ، فكيف لو كنتُ كاسية؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أصناف الثياب الخاصّة فحُمِل ذلك إليها ، فقال لى علىُّ بن يحيى المنجم : اجعل انصرافك معى ، ففعلت ، فقال لى : هل بلغك أنّ خليفةً أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا ، فأمر باخراج سِيَرَ الخلفاء ، فأقبل بها الغلمانُ يحملونها فى دفاترَ عِظامٍ فتصفَّحناها فما وجدنا أحدا قبلَه فعل ذلك .

(١) فى مخطوط : غلة ، والغلة : العطش . والمعتاد : يراد به هنا الذى صارت المشاغل له عادة

نسبة هذا الصوت

صوت

يا طول علةِ قلبيَ المعتادِ ألفَ الكرامَ وصُحبةَ الأمجادِ

مازلتُ آلفُ كلَّ قَرْمٍ ماجد متقدِّمِ الآباءِ والأجدادِ

الشعر لإبراهيم بن المهدى . والغناء لعلُّوية خفيف رمل بالبنصر ولم يقع إلينا فيه طريقةٌ غير هذه .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىُّ قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن مالك الخُزاعى قال : حدثتنى مُلَحُ العطَّارة — وكانت من أحسن الناس غناءً ، وإنما سُمّيت العطارةَ لكثرة استعمالها الطِّيب[1] قالت : غنت شارية يوماً بين يدى المتوكل وأنا واقفةٌ مع الجوارى :

بالله قولوا لى لمن ذا الرَّشا المثْقَلُ الرِّدفِ الهضيمُ الحشَى

أظرفُ ما كان إذا ما صحا وأملحُ الناس إذا ما انتشَى

وقد بنى بُرْجَ حَمامٍ لـهُ أرسل فيه طائرا مُرْعَشا[2]

يا ليتنى كنتُ حَماما لـهُ أو باشِقا يفعل بى ما يشا

لو لبس القُوهِىَّ من رقّةٍ أوجعه القُوهِىُّ أو خدَّشا[3]

وهو هزج ، فطرب المتوكل وقال لشارية : لمن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من دار المأمون ولا أدرى لمن هو ، فقلت له : أنا أعلمُ الناسِ به ، فقال : لمن هو يامُلَحُ ؟ فقلت : أقوله لك سرًّا ، قال : أنا فى دار النساء وليس يَحْضُرنى غير حُرَمى فقوليه ، فقلت : الشعر والغناء جميعا لخديجةَ بنتِ المأمون ، قالته فى خادم لأبيها كانت تهواه وغنت فيه هذا اللحن ، فأطرق طويلا ثم قال : لايسمع هذا منك أحد .

---

(١) فى المطبوع : العطر المطيب . (٢) المرعش : حمام أبيض .

(٣) القوهى : ضرب من الثياب أبيض ، ولعله ناعم .

صوت

أحبك يا سَلْمى على غير ريبة ... وما خير حُبٍّ لا تَعِفُّ سرائِرُهْ
أحبك حُبا لا أُعَنَّفُ بعده ... مُحِبا ولكنّى إذا لِيمَ عاذِرُهْ
وقد مات قلبى أوَّلَ الحُبِّ فانقضى ... ولو متُّ أضحى الحبُّ قدمات آخره
ولمَّا تناهى الحُبُّ فى القلب واردًا ... أقامَ وسُدَّتْ عنه يوما مصادِرُهْ

الشعرُ للحُسين بن مُطير الأسَدىّ ، والغناءُ لإسحاق هزجٌ بالبنصر ، والله أعلم [١] .

(١) هذه الجملة غير موجودة فى المخطوط .

أخبار الحسين بن مطير ونسبه

هو الحُسين بن مُطَيْر بن مُكَمَّل مولًى لبنى أَسَد بن خُزَيمة ثم لبنى سعد ابن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد، وكان جدّه مُكَمَّلٌ عبْداً، فأعتقه مولاه، وقيل: بل كاتبه[١] فسعى فى مكاتبته حتى أدّاها وأُعتق، وهو من مُخَضْرمى الدولتين الأَمَوِيَّة والعبَّاسية، شاعر متقدم فى القَصيد والرَّجز فصيح، قد مدح بنى أمية وبنى العباس.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن محمد بن داود بن الجرَّاح، عن محمد بن الحسن بن الحرون أنه كان من ساكنى زُبالَةَ، وكان زِيُّه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهلِ البادية، وذلك بيِّن فى شعره.

ومما يدل على إدراكه دولة بنى أمية ومدحِهِ إياهم ما أخبرنا به يحيى بن على ابن يحيى إجازةً قال: أخبرنى أبى، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى:

عن مَرْوَان ابن أبى حَفْصة قال: دخلت أنا وطُرَيحُ بن إسماعيل الثَّقَفىُّ والحُسين بن مطير الأسدىّ وعدة من الشعراء على الوليد بن يزيد، وهو فى فرُش قد غاب فيها، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعرا وقَفَ الوليدَ على بيت بيت منه وقال: هذا أخذه من موضع كذا، وهذا المعنى نقله من شعر فلان حتى أتى على أكثر الشعراء، فقلت: من هذا؟ قالوا: حمادٌ الراوية، فلما وقفت بين يدى الوليد لأُنشده قلت: ما كلامَ هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لحَّانة؟ فتهافت الشيخ ثم قال: يا ابن أخى، أنا رجل أُكلِّم العامَّة وأتكلم بكلامها، فهل تروى من أشعار العرب شيئا؟ فذَهَب عنى الشِّعرُ كله إلا شعْرَ ابنِ مُقْبِل. فقلت: نعم، لابن مقبل، فأنشدته:

(١) كاتبه: قرر عليه مالا ثمنا له إذا دفعه أعتقه.

سل الدار من جَنْبَىْ حِبِرٍ فواهبِ ... إلى ما رأى هَضْبَ القليبِ المُضَيَّحُ[١]

ثم جُزْتَ ، فقال : قف ، ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ، فقال لى : يا ابن أخى أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءَى الموضِعانِ إذا تقابلا .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار والحسن بن علىّ ويحيى بن علىّ قالوا : حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىُّ قال : حدثنى أحمد بن عبد الله بن على قال : حدثنى أبى :

أن الحسين بن مطير وفد على مَعْنِ بن زائدةَ لما ولى اليمن وقد مدحه ، فلما دخل عليه أنشده :

أتيتُك لمَّا يَبْقَ غيرَكَ جابرٌ ... ولا واهبٌ يُعْطى اللُّها والرَّغائبا[٢]

فقال له معن : يا أخا بنى أسد . ليس هذا بمدح ، إنما المدح قول نَهارِ بن تَوْسِعةِ أخى بنى تيم الله بن ثعلبة فى مِسْمَعِ بن مالك بن مِسْمَعٍ :

قلَّدتْه عُرَا الأُمورِ نِزَارٌ ... قبل أنْ يَهلِكَ السَّراةُ البُحُورُ[٣]

قال : وأول هذا الشعر :

اظْعَنِى من هَرَاةَ قد مرَّ فيها ... حِجَجٌ مذْ سكنْتِها وشُهورُ

اظْعَنِى نحو مِسْمَعٍ تَجْديه ... نِعْمَ ذُو المُنْتَمى ونعم المَزُورُ

سوف يَكفيكِ إن نَبَتْ بك أرضٌ ... بخُراسانَ أو جفاكِ أميرُ

من بنى الحِصْنِ عامِلٌ ذو فَعالٍ[٤] ... لاقليلُ الندى ولا مَنْزُورُ

والذى تفزع الكُماةُ إليه ... حين تَدْمَى من الطِّعان النُّحورُ

فاصطنعْ يا ابنَ مالكٍ آلَ بكرٍ ... واجْبُرِ العظْمَ إنَّه مكسورُ

فغدا إليه بأُرجوزته التى مدحه بها وأولها :

---

(١) حبر ، وواهب ، وهضب القليب ، والمضيح : مواضع ومياه ، ذكرها ياقوت فى معجم البلدان ، وذكر البيت فى « حبر » و « واهب » . (٢) اللها : العطايا الجزيلة ، وكذلك الرغائب .

(٣) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٤) فى المطبوع : من بنى الحضر عامر بن سريج .

حُدِّثْتُها يا حَبَّذا دلالُها[1] تَسأل عن حالى وما سُؤالُها

عَنِ امرِئٍ قد شَفَّهُ خَيالُها[2] وهى شفاء النفس لو تَنالُها

يقول فيها يمدحه :

سلَّ سيوفا مُحْدَثا صِقالُها صابَ على أعدائه وَبالُها

وعند مَعْنٍ ذى الندى أمثالُها

فاستحسنها وأجزل صلته .

أخبرنى ابن عُمار ويحيى بن على قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَة قال : حدثنى أبو المُثَنّى أحمد بن يعقوب بن أخت أبى بكر الأصمّ قال :

كنا فى مجلس الأصمعىّ ، فأنشده رجل لدعبل بن على .

أين الشباب وأيَّةً سلكا

فاستحسنا قوله :

لاتعجبى يا سلْمَ من رَجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال الأصمعى : هذا سرقه من قول الحسين بن مطير حيث يقول :

أين أهل القِباب بالدَّهْناءِ أين جيرانُنا على الأحْساءِ

فارقونا والأرضُ مُلْبَسَةٌ نَوْ رَالأقاحِى تُجادُ بالأنْواءِ

كلَّ يوم بأُقْحُوانٍ جديدٍ تضحك الأرضُ من بكاء السماء[3]

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى محمد بن القاسم الدِّينَوَرِىُّ قال : حدثنى محمد بن عِمْران الضَّبِّىُّ قال :

قال المَهْدىُّ للمفضَّل الضبىّ : أسْهَرَتْنى البارحةَ أبياتُ الحسين بن مطير الأسدى ، قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله :

وقد تَغْدُرُ الدنيا فَيُضحِى فقيرُها غَنِيًّا ويَغْنَى بعد بُؤْسٍ فقيرُها

فلا تَقْرَبِ الأمرَ الحرامَ فإنَّهُ حلاوتُه تَفْنَى ويَبْقَى مَرِيرُها

---

(١) فى المطبوع : حديث ريا حبذا إدلالها . (٢) شفه : أوهنه .

(٣) فى المطبوع : من مهل السماء .

وكم قد رأينا مِنْ تغيُّرِ عيشةٍ وأُخرى صفا بعدَ اكْدرارٍ غديرها[١]

فقال له المُفَضَّل : مثل هذا فليُسْهِرْك يا أمير المؤمنين .

وقد أخبرنى بهذا الخبر عمّى أتمّ من هذا : نسخت من كتاب المُفَضّل بن سلَمة : قال أبو عِكْرِمةَ الضبى : قال المفضل الضبّىّ : كنت يوما جالسا على بابى وأنا محتاج إلى درهم ، وعلىّ يومئذ عشرةُ آلاف درهم دَيْنا، إذ جاءنى رسول المهدىّ فقال : أجِب الأمير ، فقلت : ما بعث إلىّ فى هذا الوقت إلا بِسِعايةِ ساعٍ و تخوَّفْتُه لخروجى — كان — معَ إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فدخلت منزلى فتطهرت ولبِسْت ثوبين نظيفين وصرت إليه ، فلما مَثُلْتَ بين يديه سلّمت عليه ، فردّ علىّ وأمرنى بالجلوس ، فلما سكن جأشى قال لى : يامفضّل ، أىُّ بيت قالته العرب أفْخَرُ ؟ فتشكَّكْتُ ساعةً ثم قلت : بيتُ الخنساء ، وكان مستلقيا فاستوى جالسا ثم قال لى : وأىُّ بيت هو ؟ قلت : قولها :

وإنّ صخرًا لتأتمُّ الهُداةُ به كأنّه علَمٌ فى رأسه نارُ

فأومأ إلى إسحاق بن بزيع ثم قال : قد قلت له ذلك فأباهُ ، فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين ، ثم قال : حدّثنى يا مفضّل ، قلت : أى الحديث أعْجَبُ إلى أمير المؤمنين ؟ قال : حديث النساء ، فحدثته حتى انتصف النهار ، ثم قال لى : يا مفضّل أسهرنى البارحةَ بيتا ابنِ مطير ، وأنشد البيتين المذكورين فى الخبر الأول ثم قال : ألهذين ثالثٌ يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

وكم قد رأينا من تغيُّرِ عيشةٍ وأُخرى صفا بعد اكدارٍ غديرُها

وكان المهدى رقيقا فاستعبر ، ثم قال : يا مفضّل كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لى بثلاثين ألف درهم وقال : اقْضِ دينك وأصْلح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى إجازة ، وحدثنا الحسن بن علىّ قال : حدثنا

(١) سيذكر بعد ذلك أنه أنشد بيتين فقط ، وأن الثالث أكمله المفضل .

محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى إسحاق بن عيسى بن موسى بن مُجَمَّع أحد بنى سُوَاءة بن الحارث الأسدىّ قال : أخبرنى جدّى موسى بن مُجَمَّع قال :

قال الحسين بن مطير فى المهدىّ قصيدته التى يقول فيها :

إليكَ أمير المؤمنين تعسّفتْ ... بنا البِيدَ هَوْجاءُ النَّجاءِ خَبُوبُ[1]
ولو لم تكن قُدّامَها ما تقاذفتْ ... جِبالٌ بها مُغْبرّةٌ وسُهُوبُ
فتى هُوَ من غيرِ التخلّقِ ماجدٌ ... ومن غير تأديب الرجالِ أديبُ
علا خَلْقُه خَلْقَ الرّجال وخُلْقه ... إذا ضاق أخلاقُ الرجال رَحيبُ
إذا شاهد القُوّادَ سار أمامهمْ ... جَرِىءٌ على ما يَتَّقُون وَثُوبُ
وإن غاب عنهمْ شاهدتْهُمْ مهابةٌ ... بها يَقهَر الأعداءَ حين يَغيبُ
بَعِفٌّ ويستحيِى إذا كان خاليا ... كما عَفَّ واستحيا بحيث رَقيبُ

فلما أنشدها المهدىّ أمر له بسبعين ألف درهم وحِصَانٍ جوادٍ .

وكان الحسين من الثَّعلبية وتلك داره بها، قال ابن أبى سعد: وأرانيها الشيخ .

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد ، عن إسحاق بن عيسى قال :

دخل الحسين بن مطير على المهدى فأنشد قوله :

لو يَعْبُدُ الناسُ يامهدىُّ أفضلَهُمْ ... ما كان فى الناس إلاّ أنت مَعْبودُ
أضحتْ يمينُكَ من جُودٍ مصوّرَةً ... لابل يمينك منها صُوِّرَ الجُودُ
لو أنّ من نوره مِثْقالَ خرْدَلَةٍ ... فى السُّودِ طُرّا إذًا لابيضّتِ السُّودُ

فأمر له لكل بيت بألف درهم .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى أبى قال :

خرج المهدىّ يوما فلقيه الحسين بن مطير فأنشده :

---

(١) النجاء هنا : الإسراع .

أضحت يمينُك من جود مُصَوَّرةً ... لا بل يمينُك منها صُوِّرَ الجُودُ

قال : كذبت يا فاسق ، وهل تركت من شعرك موضعا لأحد بعد قولك فى معن بن زائدة حيث تقول :

ألِمَّا بمَعْنٍ ثم قولا لقبرهِ ... سقيتَ الغَوَادِى مَرْبَعا ثم مَرْبعا[1]

أخرجوه عنى ، فأخرج . وتمام الأبيات :

أيا قبرَ مَعْنٍ أنت أولُ حُفْرَةٍ ... من الأرض خُطَّتْ للسماحة مَضْجعا
أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جُودَه ... وقد كان منه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرَعا
بلى قد وَسِعْتَ الجودَ والجودُ ميِّت ... ولو كان حيا ضِقْتَ حتى تَصَدَّعا
فتى عيشَ فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مَرْتعا[2]
أبَى ذِكْرُ معنٍ أن تموتَ فَعالُهُ ... وإنْ كان قد لاقى حِماما ومَصرَعا

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار[3] قال : حدثنى ابنُ مهروية قال : حدثنى على بن عُبَيدٍ[4] الكوفىُّ قال : حدثنى الحسين بن أبى الخَصِيب الكاتب .

عن أحمدَ بنِ يوسفَ الكاتب قال : كنت أنا وعبدُ الله بن طاهر عند المامون وهو مستلقٍ على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس ، من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلم بهذا وأعلَى عَيْنا . فقال له علَى ذاك فَقُلْ وتكلَّمْ أنت أيضا يا أحمد بنَ يوسف . فقال عبد الله ابن طاهر : أشعرهم الذى يقول :

أيا قبرَ معنٍ كنتَ أوّل حفرةٍ ... من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا[5]

فقال أحمد بن يوسف : بل أشعرهم الذى يقول :

وَقفَ الهوى بى حيث أنتِ فليس لى ... مُتَأخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ

فقال : أبيت يا أحمد إلاَّ غَزَلاً ، أين أنتم عن الذى يقول :

---

(١) المربع : المطر فى الربيع .
(٢) فى المطبوع : ممرعا . وهى رواية .
(٣) فى مخطوط : أخبرنى أحمد بن يحيى بن على إجازة قال . . .
(٤) فى المطبوع : عبيد الله .
(٥) فى المطبوع : موضعا .

يا شقيق النفس من حَكَمٍ   نِمْتَ عن ليلى ولم أَنَمِ [١]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أبو خليفة :

عن التَّوَّزِيّ قال : قلت لأبي عُبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لَوَدِدتُ أن الشعراء قاربته في قوله :

مخصَّرةُ الأوساطِ زانتْ عقُودَها   بأحسنَ مِمَّا زيَّنَتها عقُودُها
فَصُفْرٌ تَرَاقِيها وحُمْرٌ أكُفُّها   وسُودٌ نَوَاصِيها وبيضٌ خُدُودُها

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أنشدنا محمد بن يَزِيدَ للحسين بن مطير قال : وكان سبب قوله هذه الأبيات أنّ واليا وَلِيَ المدينة فدخل عليه الحسين بن مطير ، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يَبْلُوَه [٢] وقد كانت سحابةٌ مُكْفَهِرَّةٌ نشأت وتتابع منها الرَّعْدُ والبرق ، وجاءت بمطر جَوْدٍ [٣] ، فقال له : صفْ هذه السحابة ، فقال :

مُستَضْحِكٌ بلوامعٍ مُستعْبِرٌ   بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاءُ [٤]
فله بلا حُزْنٍ ولا بمسرَّةٍ   ضَحِكٌ يُراوِحُ بينه وبكاءُ
[كَثُرَتْ لكثْرة وَدْقِه أطباؤُهُ   فإذا تحَلَّبَ فاضت الأطباء] [٥]
وكأنّ بارقَه حَرِيقٌ تلتقِي   ريحٌ عليه وعَرْفَجٌ وأَلاءُ [٦]
لو كان من لجَجِ السواحلِ ماؤُه   لم يبق في لجَجِ السواحل ماءُ

[قال : فكان أصحابنا يعجبون من أبياته] .

صوت

إذا ما أُمُّ عبدِ اللّهِ لم تَحْلُلْ بِوَادِيهِ

(١) في المطبوع : نمت عن عيني . وضبطت في المخطوط ليلى ، بفتح اللام الثانية .

(٢) في المطبوع : يختبره ، وهي بمعنى يبلوه .   (٣) الجود : الغزير .

(٤) لم تمرها من مرى الناقة : مسح ضرعها ، ويريد أن مدامع المطر ليست من نوع مدامع العيون التي تسببها الأقذاء وهي الأقذار . وفي مخطوط : لم تحوها الأقذاء .

(٥) الأطباء : حلمات الضرع . والودق : المطر .

(٦) العرفج والألاء : نوعان من الشجر .

ولم تُمْس قريبا هَيَّـ ... ـجَ الحزنَ دَواعيـه
غزالٌ راعَه القنَّـا ... ص تحميـه صَياصيه
وما ذِكرِي حبيبا و ... قليلٌ ما أُواتيـه
كذى الخمر تمنّاها ... وقد أُتْرِف ساقيه[١]
عرَفتُ الرَّبع بالإكلِيـ ... ـل عفَّته سوافيه[٢]
بجوٍّ ناعمِ الحَوْذا ... نِ مُلْتَفٍّ رَوابيه[٣]

الشعر مختلِطٌ بعضه للنُّعْمان بن بَشِير الأنصارىّ وبعضه ليزيد بن معاوية [فالذى للنعمان بن بشير منه الثلاثةُ الأبياتُ الأُول والبيت الأخير . وسائرها ليزيد بن معاوية] ورواه من لا يُوثق به وبروايته لِنَوْفَل بن أسد بن عبد العُزَّى . فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيبانىّ ، وجدت ذلك فى كتابه . وخالدُ بن كُلْثُوم ، نسخته من خط أبى سعيدٍ السُّكرىّ فى جامع شعر النعمان وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التى نسبتُها إليه فإنها متوالية قال :

فبُحْتُ اليوم بالأمر الـ ... ـذى قد كنت أُخفيه
فإن أكتُمْـه يوما ما ... فإنى سوف أُبديه
وما زلْتُ أُفَـدّيه ... وأُدنيـه وأَرْقيـه
وأسـعى فى هواه أ ... بَدًا حتى أُلاقيـه
فبات الرِّيمُ مِنِّى حَـ ... ـذِرًا زَلَّتْ مَراقيـه

والغناء لمعبد خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو ، وذكره إسحاق فى خفيف الرمل بالسبابة فى مجرى البنصر ، ولم ينسبه إلى أحد ؛ وفيه للغَرِيض ثقيل أوّلُ بالوسطى عن الهشامى وحَبَش .

---

(١) أترف : أبطر وأفسد . وفى المطبوع : أنزف ، أى أكثر النزح .
(٢) الإكليل موضع . وعفته : محته .
(٣) الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر فى أصله صفرة .

استدراك

الصفحة	السطر	
٢٢	٢٣	نفيس : ضبط فى مخطوط فى مواضعه بالتصغير ، أما فى نهاية الأرب ج٥ ص ٧٣ فضبطه بفتح النون ، وكذلك فى معجم البلدان ، انظر قصر ابن نفيس .
٢٧	٢٠	فتذاكروا مزبّدا : اختلف فى ضبط مزبد ، فقيل إنه بالباء المفتوحة المشددة ، وإنه بالباء المكسورة المشددة ، وروى أيضا بسكون الزاى وكسر الباء . انظر تاج العروس مادة « زبد » وفوات الوفيات ترجمته ، وفى نثر الدرر للآبى مخطوط بدار الكتب أول الباب السابع « نواد مزبد » وشدد الباء بدون كسرها أو فتحها .
٣٣	٧	تبع الأخير وهو أبو كرب بن حسان بن تبع ، هكذا ورد فى الأصول ، وصوابه : أبو كرب حسان . وفى الطبرى ج ١ ص ٧٧٤ : وحسان بن تبع الذى أوقع بجديس هو ذومعاهر ، وهو تبع بن تبع تبان أسعد أبى كرب بن ملكيكرب بن تبع ابن أقرن وهو أبو تبع بن حسان الذى يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة وكسا الكعبة فأتى الشعب من المطابخ ، وإنما سمى هذا الاسم لنصبه المطابخ .
٣٣	١٢	يا ذا المعاهد . صوابه : يا ذا المعاهِر وجاء فى مخطوط : ياذا معاهد ، وصوابه : ياذا معاهر . وذوالمعاهر أو ذومعاهر : هو لقب حسان انظر الخزانة ١ / ٣٥٦ ، واللسان وشرح القاموس مادة « عهر » ، وبهذا يحذف من الهامش شرح كلمة المعاهد ويبقى فى الهامش ذو المعاهر من ألقاب ملوك اليمن .
١٥٣	هامش ١	يضاف : « والعود اسم فرس أبىّ بن خلف » .
١٨٧	هامش ٢	فقال أباه « يضاف إليها » ولعلها قتال أباةٍ .

تصويب

الصفحة	السطر		الصواب
٣٣	١٢	:	ياذا المُعَاهِرِ
٤٤	١٠	:	يا وهب لم يبق لى شى ء
٤٤	٢١	:	فعاطنيها صفراء صافية
٤٦	١٥	:	ركبَ تِهامٍ
٤٧	١	:	ياراعى الذود لقد رعتهم
١٥٢	٢٣	:	تزهران : تتلألآ ن
١٧٢	٢٥	:	ويراد أقبلت
١٩٩	رأس الصفحة والسطر ٢ وكذلك رءوس الصفحات	:	والعلاء بن الحضرمى
٣٠٥	٤	:	يُسَدّ دن
٣١٣	١٥	:	عمرِو الأعمى
٣١٣	١٩	:	بضمير

فهرس

المجلد الخامس عشر

أخبار شارية

أخبار الحسين بن مطير ونسبه

تراجم

المجلد الخامس عشر

صفحة

مراجع هذا الجزء المذكورة بالهوامش

عدا كتب اللغة ومطبوع الأغانى والمخطوطات

الاستيعاب : مطبعة السعادة ١٣٢٨ هامش الإصابة وأشرنا إلى الترجمة .

الاشتقاق : طبع جوتنجن ١٨٥٤ .

الإصابة : مطبعة السعادة ١٣٢٨ وأشرنا إلى الترجمة .

الأمالى : مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ .

التيجان : طبع الهند ١٣٤٧ .

جمهرة أشعار العرب : مطبعة بولاق ١٣٠٨ والرحمانية ١٣٤٥ .

جمهرة أنساب العرب : مطبعة دار المعارف .

خزانة الأدب للبغدادى : مطبعة بولاق .

ديوان الأخطل : المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٨٩١ .

ديوان حسان : الرحمانية ١٣٤٧ .

ديوان الخنساء أنيس الجلساء : بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٦ .

ديوان أبى دهبل : طبع أوربا .

ديوان طفيل الغنوى : طبع أوربا .

ديوان عمر بن أبى ربيعة : مطبعة السعادة .

ديوان لبيد : مخطوط بدار الكتب .

السمط : مطبعة لجنة التأليف .

شرح الحماسة : مطبعة لجنة التأليف .

الشعر والشعراء لابن قتيبة : طبع أوربا .

الطبرى : بريل ١٨٨١ .

طبقات الشعراء لابن المعتز : مطبعة دار المعارف .

العقد الفريد : بولاق ١٢٩٣ ولجنة التأليف .

الفهرست : ليبزج ١٨٧٢ .

كتاب المعمرين : مطبعة السادة ١٣٢٣ .

معجم البلدان وأشير إلى البلد : طبع ليبزج ١٨٧٠ .

معجم الشعراء : القدسي ١٣٥٤ .

المفضليات : مطبعة المعارف .

المؤتلف والمختلف مع معجم الشعراء : القدسي ١٣٥٤ .

نقائض جرير والفرزدق : بريل ١٩٠٨

نهاية الأرب : مطبعة دار الكتب .

وفيات الأعيان : أشرنا إلى موضع الترجمة لاختلاف الطبعات .

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بدل الاشتراك بكتاب الأغانى

« يصدر الكتاب ٢٥ مجلدا بما فيه الفهارس » .

بدل الاشتراك بكامل كتاب الأغانى فى عموم البلاد العربية :

١٥٠ ليرة لبنانية (غلاف) أو ما يعادلها ، بما فيه أجور البريد العادى .

٢٠٠ ليرة لبنانية (مجلد ومبصوم بالذهب) بما فيه أجرة البريد العادى .

ثمن الجزء (غلاف) ٦ ليرات لبنانية (مجلد ومبصوم بالذهب) ٨ ليرات

بدل الاشتراك خارج البلاد العربية يضاف إليه فرق أجور البريد ترسل قيمة الاشتراك باسم السيد خليل طعمه ص . ب ٥٤٣

بيروت

وكلاء التوزيع والاشتراكات

الوكلاء العموميون	دار الثقافة ومكتبتها	— ساحة رياض الصلح — بيروت	
مصر والسودان	مؤسسة المطبوعات الحديثة	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق	مكتبة المثنى	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الأردن والقدس	مكتب التوزيع العربى	— محمد المحتسب	القدس
المملكة العربية	مكتبة دار الفكر	— عبد الرحمن المنيعى	الرياض
إيران	مكتبة الأسد	— محمد الأسد	طهران
الكويت	مكتبة الطلبة	— عبد الرحمن الخرجى	الكويت
الخليج الفارسى	المكتبة الوطنية	— إبراهيم محمد .	البحرين
عدن	أحمد سعيد حداد		المكلا
تونس	دار الكتب الشرقية	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر	المكتبة الجزائرية	— شريفى عمرو	الجزائر
المغرب	دار الكتاب	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة	المكتبة العصرية	— نصر الله الحريشى	طنجة
فرنسا	المكتبة الشرقية	— صموليان	باريس

الثمن ٦٠٠ غ . ل . أو ما يعادلها